الرحالة الأوربيون

في مملكة بيت المقدس الصليبية

١٠٩٩ - ١١٨٧ ميلادية



الرحـــالة الاوربيـــون

الطبعة الأولى
١٩٩٢م

مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
تليفون وفاكس : ٧٥٦٤٢١

الرحّالة الأوروبيّون
في مملكة بيت المقدس الصليبيّة
١٠٩٩ - ١١٨٧ ميلادية

تأليف

د. محمّد مؤنس أحمد عوض

كلية الآداب - جامعة عين شمس

القاهرة ١٩٩٢م

الإهـداء

الى أستاذى أ٠ د٠ قاسم عبده قاسم

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكليـة

الآداب جامعة الزقازيق وفاء واعزازا وتقديرا ٠٠

« ارتحلوا ..... انطلقوا أيهـا الرحالة ، فانتم

لستم نفس الأشـخاص عنـد بدء الرحلة » ..

ت. س. اليوت

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة ، الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ ــ ١١٨٧م) ٠ وهو بذلك يحوى موضوعا من أهم الموضوعات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ومرجع تلك الاهمية ــ فى تقديرى ــ يرتبط ارتباطا وثيقا بوضعية أولئك الرحالة أنفسهم ، فقد زاروا المنطقة خلال مرحلة الصراع الاسلامى ــ الصليبى وسجلوا كل ما شاهدوه من أوضاع سواء على المستويات السياسية أو الاقتصادية أو الدينية ٠ وفضلا عن ذلك فانهم أحيانا شهود عيان لأحداث سياسية هامة جرت فى المنطقة فى خضم ذلك الصراع ، وهكذا ، فمن الممكن رصد تاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية من خلال مؤلفات أولئك الرحالة ، مع عدم اغفال أهمية المصادر التاريخية الاخرى بطبيعة الحال ٠

ومن الملاحظ أن اهتمامات أولئك الرحالة جاءت مختلفة عن اهتمامات المؤرخين الرسميين ، اذ أن المؤرخ الصليبى وليم الصورى William of Tyre ــ وهو مؤرخ المملكة على مدى القرن الثانى عشر م ــ كتب تاريخه من خلال الاهتمام بالجانبين السياسى والحربى ، ولم تحظ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية بنفس الاهتمام من جانبه ٠ ولذلك فان مؤلفات الرحالة الأوربيين ، سواء كانوا من المسيحيين أو اليهود ، الذين زاروا المنطقة حينذاك تقدم لنا مادة تاريخية هامة عن تلك الجوانب التى قل تناولها ٠

ومع ذلك فهم لم يكونوا مؤرخين محترفين ٠ ولا نتوقع أن نجد منهم من له نفس التكوين الفكرى لمؤرخ المملكة الصليبية الفذ ، ومن ثم لا نجدهم فى بعض الأحيان يدعمون رواياتهم بالأسانيد والبراهين الدالة على صدقها ، وأحيانا أخرى يأخذون ما سمعوه من أفواه معاصريهم على أنه حقيقة واقعة واجبة التصديق ، غير أن هذا

النقص يمكن تداركه من خلال مقارنة المصادر التاريخية والاقتراب من الحقيقة قدر الامكان ٠

ومن ناحية اخرى ، نجد أن أولئك الرحالة لم ينفصلوا عن عصرهم بل كانوا افرازا صادقا لذلك العصر ، والعصور الوسطى بصفة عامة توصف بأنها عصور الايمان ، سواء فى الشرق الاسلامى أو الغرب المسيحى ، وقد سيطرت الناحية الدينية على عقول الناس خلال تلك المرحلة ، ويصدق ذلك بوضوح على الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية ، اذ أنهم اهتموا اهتماما خاصا بالناحية الدينية من ذكر الكنائس ، والأديرة ، والمزارات المقدسة ، وايراد العديد من معجزات السيد المسيح عليه السلام ، والحواريين، والقديسين ، فضلا عن العديد من الاساطير٠

وتعليل اتساع مساحة الجانب الدينى فى رحلاتهم لا يعود فقط الى طبيعة العصر، بل أيضا الى أنهم كتبوا تلك الرحلات فى الاصل لكى تكون دليلا مرشدا لغيرهم من الحجاج الذين يقدمون الى تلك المنطقة حتى يتعرفوا على الأماكن المتصلة بذكريات المسيحية فى عهدها المبكر فى فلسطين ، وهى التى كانت الشغل الشاغل لهم ٠

وقد مثلت الناحية السابقة مشقة أمام البحث ، اذ تطلب استخراج الاشارات ذات الدلالات السياسيه والاقتصادية والمذهبية ـ احيانا ـ وذلك دون الاغراق فى الجانب الكنسى الذى تفيض به مؤلفات أولئك الرحالة ، ومقارنة تلك الاشارات بما ورد لدى المؤرخين المعاصرين سواء الصليبيين أو المسلمين ٠

وتجدر الاشارة الى أن اختلاف جنسيات أولئك الرحالة قد أفاد فى اختلاف نظرتهم وتعددها ، فهناك الرحالة الأسبانى والألمانى والروسى ، ومن الطبيعى أن تختلف اهتمامات كل منهم وفقا للبيئة التى نشأ فيها ومعطياتها السياسية والاقتصادية والدينية ، ونفس الأمر بالنسبة للجانب العقائدى ، فمن أولئك الرحالة المسيحى ، ومنهم اليهودى ، وتعددت واختلفت اهتمامات كل طرف ، فالأول اهتم بايراد الأماكن المسيحية المقدسة وتناول أوضاع الصليبيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، أما اليهودى فقد جعل جل اهتمامه منصبا على اعداد اليهود وأعمالهم ونشاطهم الاقتصادى ووضعهم فى المنطقة ، وعلاقتهم بالقوى الاسلامية وكذلك الصليبية ٠

ومن العقبات التى تعترض طريق البحث فى موضوع الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، اننا لا نعرف الا اقل القليل عن الجوانب الشخصية لكل رحالة، وليست لدينا تراجم مفصلة عن كل منهم على نحو يعيننا فى فهم رحلته ودراستها بصورة اكثر تفصيلا ومع ذلك فمن الممكن معرفة بعض الاشارات عنهم من خلال المعلومات المتناثرة التى تحويها رحلاتهم نفسها ، وذلك على الرغم من ادراكنا الكامل لحقيقة أن الرحالة عندما يكتب رحلته يتحدث عن الآخرين ، والمحيط الذى تعامل معه اكثر من

حديثه الشخصى عن نفسه هو ، وهنا نجد مفارقة واضحة بين الرحالة للأوربيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى ، فالأخيرون نجد أن كتب الوفيات والتراجم قدمت لنا مادة تاريخية مفصلة عنهم وعن شخصياتهم وتطور مراحل حياتهم ، بينما افتقدنا هذا الجانب بالنسبة للرحالة الأوربيين حينذاك ٠

وهناك ــ فضلا عما سبق ــ ناحية هامة من الضرورى التنويه عنها ، اذ أن أولئك الرحالة عاشوا فى عصر الحروب الصليبية ، وخاصة خلال القرن الثانى عشر م ، بما احتواه ذلك العصر من صور التعصب الواضح من جانب الصليبيين ضد كل ما هو غير مسيحى ، ومن ثم احتوت رحلاتهم على اشارات متحاملة تجاه المسلمين واتهموهم بأنهم وراء كل خراب حل بفلسطين خلال المرحلة التى سبقت خضوعها للسيادة السياسية الصليبية من خلال اقامة مملكة بيت المقدس هناك ، ومن ثم تطلب الأمر الحيطة والحذر فى معالجة مثل تلك الروايات وعدم الأخذ بها كحقيقة تاريخية واقعة ، اذ أن ذلك العصر شهد صراعا حربيا وسياسيا عنيفا بين الجانبين الاسلامى والصليبى وانعكست الروح العدائية على كل ما كتب ووصل الينا من ذلك العصر ، ويصدق ذلك بصورة واضحة على مؤلفات أولئك الرحالة ٠

وتحتوى هذه الدراسة على تناول لتسعة من الرحالة الأوربيين ، وهم سايولف الذى قام برحلته فيما بين عامى (١١٠٢ ، ١١٠٣م) ودانيال وقام برحلته بين عامى (١١٠٦ ــ ١١٠٧م) وفتيلوس (١١١٨ ــ ١١٣٠م) ويوحنا الورزبرجى (١١٦٠ ــ ١١٧٠م) وابو فروزين (١١٦٢ ــ ١١٧٢) وبنيامين التطيلى (١١٦٣ ــ ١١٧١م) وثيودريش (١١٧١ ــ ١١٧٢م) وبتاحيا الراتسبونى (١١٧٤ ــ ١١٨٧م) ويوحنا فوكاس (١١٨٥م) ٠ وقد قدمت لهم بمدخل تناولت فيه التطور التاريخى للرحلة الأوربية الى فلسطين حتى أخريات القرن الحادى عشر م ٠

ومن الضرورى أن أقرر عدم عثورى على أية دراسة علمية متخصصة باللغة العربية عن موضوع الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك باستثناء مقالة كتبها يوغوليوبسكى فى مجلة المشرق عن رحلة السائح الروسى الأب دانيال فى أول عهد الصليبيين(١) وذلك فى أحد أعداد عام ١٩٢٦م ٠ وقد غلب عليها الطابع الدينى الكنسى بصورة واضحة ٠ ومن ناحية أخرى ، ينبغى الا نغفل الجهد الذى قام به نقولا زيادة ، عندما تناول بعض أولئك الرحالة بصورة مقتضبة فى أحد فصول دراسة

---

(١) انظر : مؤنس أحمد عوض ، ببليوغرافيا الحروب الصليبية ، المراجع العربية والمعربة ، ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، ط القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٤٢٦ ٠

قام باعدادها وذلك فى عدة صفحات[1] وقد صدرت دراسته بعنوان « رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى » ، منذ ما يزيد على الأربعين عاما ، ولا ريب فى أنه على مدى تلك السنوات الطويلة منذ صدوره حتى الآن صدر خلالها العديد من الدراسات التاريخية المتخصصة عن مرحلة الحروب الصليبية على نحو اعان على فهم جوانب رحلات أولئك الرحالة بصورة لم تكن متوافرة من قبل .

وقد قمت بدراسة كل رحالة بصورة مستقلة موضحا ما تناوله من زوايا سياسيه وجوانب اقتصاديه ، ونواح دينيه ، دون الاغراق فى الجانب الكنسى الذى نجده بتفصيلات كبيرة فى معظم تلك الرحلات لاعتقادى بأن ذلك يحتاج الى باحث متخصص فى الآثار المسيحية فى بيت المقدس خاصة الكنائس ، كذلك اتجهت الى عقد مقارنة بين أولئك الرحالة قدر المستطاع وفي نفس الحين لم أغفل أن أعقد مقارنات بينهم وبين الرحالة المسلمين المعاصرين لهم .

وأود أن اقرر هنا اننى تناولت فى معرض دراستى لمؤلفات اولئك الرحالة ما ذكروه بشأن امارتى انطاكية وطرابلس ، على اعتبار انهما كانتا تابعتين لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن جهه اخرى ، وقع اهتمامى على ايراد كافة الجوانب الايجابية وكذلك السلبية فى رحله كل رحالة ، مع عدم اغفال روح وطبيعة العصر ، والمرحلة التاريخية ذاتها التى املت تصورات معينة ، وحرصت على التعرض بالنقد لبعض الرويات ذات الطابع الأسطورى أو التى يغلب عليها طابع المبالغة أو سمة التعصب .

واخيرا ، أود أن أعبر عن تقديرى للقائمين بالعديد من المكتبات مثل مكتبات كلية الآداب ــ جامعة عين شمس وكلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب ــ جامعة الزقازيق ، وجامعة القاهرة والجمعية التاريخية المصرية ، وكذلك الجمعية الجغرافية المصرية ، والجامعة الامريكية ، وخاصة قاعدة كريزويل بها ، ودار الكتب المصرية ، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، وكذلك المعهد الألمانى للآثار ، ودير الآباء الدومنيكان ودير الآباء الفرنسيسكان ، فضلا عن المكتبات الخاصة للعديد من الاصدقاء والزملاء .

ولا يفوتنى أن أقدم خالص تقديرى وشكرى لاثنين من المستشرقين ، احدهما الامريكى كريستوفر ملتشرت Christopher Melchert بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية . وثانيهما المستشرق الفرنسى بيير تينار Pierre Thenard وقد قدما لى العديد من الدراسات الهامة عن عصر الحروب الصليبية فى بلاد الشام على نحو افادنى فى اعداد هذه الدراسة .

---

(٢) تم تناول أولئك الرحالة فى الكتاب المذكور خلال الصفحات الممتدة من ص ٨٢ الى ص ٨٥ ، وقد أغفل الحديث عن بعضهم ، وتناول البعض الآخر فى أسطر معدودة .

كذلك اقدم تقديرى الى ا٠ د٠ قاسم عبده قاسم أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ٠ والذى كان أول من عرفنى علىأولئك الرحالة منذ عدة أعوام وافادنى بملاحظات هامة عند مناقشتى معه فى بعض جوانب البحث ، كذلك ا٠ د٠ احمد رمضان احمد ، أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس الذى شجعنى على أن امضى فى تأليف هذا البحث وقدم لى العديد من الملاحظات القيمة ، والحق أن الجهد الذى بذله معى ، يجعلنى اكرر تقديرى الخاص لسيادته ، ثم هناك أيضا ا٠ د٠ اسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس الذى افادنى بملاحظات هامة فى المرحلة المبكرة من اعداد البحث ٠

وفى الختام اقدم تقديرى للصديق العزيز/ د٠ الحسين زغلول مدرس التاريخ المصرى القديم لمعاونته لى فى ترجمة احدى الدراسات الهامة باللغة الالمانية ، واننى ادين له بعظيم التقدير لما بذله من جهد معى فى هذا الشأن ٠ وفضلا عن ذلك هناك دور هام قام به الصديق العزيز الأستاذ/عبد الله رمزى ٠ مدرس مساعد الأدب العبرى بقسم اللغة العبرية بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس ٠ اذ قام بترجمة رحلة الرحالة اليهودى الألمانى بتاحيا الراتسبونى عن اصلها العبرى ، بصورة افادتنى بشكل واضح لى اعداد الفصل الخاص بذلك الرحالة ٠ كما اتوجه بالشكر للأستاذ/عرفه السيد، امين مكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية لما اسداه لى من خدمة مخلصة صادقة للاستفادة من المكتبة المذكورة ٠

ويبقى لى أن اتوجه بآيات العرفان والاعزاز العميق لوالدى اللذين شجعانى بصفة مستمرة على المضى فى اعداد هذه الدراسة ، ولا املك اية كلمات تفى بحقهما وبفضلهما على ، فجزاهما الله عنى خير جزاء ، اما زوجتى الفاضلة فلها منى خالص التقدير اذ وقفت الى جوارى طوال ثلاث سنوات ، هى عمر تاليف هذا الكتاب منذ ان كان فكرة الى ان صار واقعا وحقيقة ، فلها منى خالص التقدير والعرفان ٠

واخيرا اذكر قوله تعالى :

« وفوق كل ذى علم عليم » ٠

وعلى الله قصد السبيل ٠٠

د٠ محمد مؤنس احمد عوض

مصر الجديدة فى ١٩٩١م

المدخــل

الرحلة الاوروبيــة الى فلســطين

حتى اخريات القرن الحادى عشر م

الرحلة الاوربيـة الى فلسـطين
حتى أخريات القرن الحادى عشر م

يتطلب تناول الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية ــ بالضرورة ــ عرض التطـور التـاريخى للرحلة الاوربيـة الى فلسـطين حتى أخريلت القـــرن الحادى عشر م حينما اندلعت الحروب الصليبية من الغرب الاوربى طمعا فى المغانم الاقتصادية للشرق الأدنى الاسـلامى ومتسترة تحت شـعار الصليب ، ومن الطبيعى تناول ذلك التطور التاريخى على كافة المستويات الدينية والسياسية والاقتصادية ٠

ويلاحظ أن المؤلفات التى كتبها الرحالة الاوربيون الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ ــ ١١٨٧م) تمثل ــ فى الواقع ــ امتدادا تاريخيا لرحلات أولئـك الرحالة الذين زاروا المنطقة فى مرحلة ما قبـل اندلاع الصليبيات ، اذ أن رحالة كل مرحلة قاموا بزيارة نفس الاماكن المتعلقة بذكريات المسيحية المبكرة ، والتى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس ولاسيما العهد الجديد ، وان اختلفت رواياتهم بالطبع من خلال طبيعة العلاقات السياسية الدولية خلال كل مرحلة عاصرها كل رحالة،وكذلك اختلاف شخصية كل رحالة من حيث ثقافته وبيئته وقدرته على الملاحظة وتحليل ما يشاهده فى المنطقة من أحداث ومواقف معينة ، ولا نزاع فى أن تلك الفروق الفردية تلعب دورا هاما فى اختلاف نوعية كل رحلة عن الأخرى وبالتالى اختلاف نظرة الباحثين لها ٠

وقـد تعددت الدوافع التى دفعت بالاوربيين الى القدوم الى فلسطين خلال تلك المرحلة ، فهناك مثلا الرغبة فى الحج Peregrinatio ، وزيارة الاماكن والمواقع التى ارتبطت بسيرة السيد المسيح عليه السلام ، ومثل عامل الحج جانبا هاما فى الدوافع التى حدث بهم الى القدوم الى المنطقة ، ومن ثم سنتناوله بصورة مفصلة ٠

وبالاضافة الى ذلك ، مثـل الدافع الاقتصادى ركنـا ركينا بين دوافع الرحلة الاوربية الى هناك ، اذ أن الكثيرين ذهبوا الى فلسطين وعادوا ومعهم العـديد من المقتنيات والسلع التجارية من أجل بيعها فى أوطانهم على سبيل تحقيق أرباح وفيرة ، خاصة اذا ما علمنا أن العديد من الأسواق التجـارية قد عقدت فى تلك البقـاع وقد مثل الحجاج قوة شرائية لها شأنها ، وفضـلا عن ذلك وجـد الكثيرون من التجار الذين انضموا الى صفوف الذين قاموا برحلة الحج الى فلسطين ، ولا ريب أنهم أرادوا الوقوف على احتياجات الشرق التجارية وهو أمر له أهميته البالغة لديهم ٠

وهناك أيضا الرغبة الملحة فى استجلاء سحر الشرق وغموضه ومشاهدة معالمه بوصفه عالمـا غريبـا عن أعين الأوربيين ، كذلك وجدت رغبـة قوية لدى المسيحيين الأوربيين فى الوقوف على أوضاع اخوانهم المسيحيين الشرقيين خاصة عندما خضعوا

لسيطرة قوى سياسية غير مسيحية مثل القوى الاسلامية ، ولم يكن من اليسير معرفة ذلك دون الارتحال الى هناك ومتابعة أوضاعهم عن كثب .

وقد قام العديد من الرحالة الاوربيين بالارتحال الى فلسطين فى مرحلة ما قبل الحرب الصليبية ، وتركوا مؤلفات هامة تروى تصوراتهم للمنطقة وأهم معالمها المقدسة ولا شك أن ذلك افاد فى تتبع التطور التاريخى للرحلة الاوربية الى تلك البقاع .

وبداية نقرر أن المسيحية ذاتها لم تقرر أمر الحج الى القدس ولا توجد أدنى اشارة فى العهد الجديد الى تلك الناحية ، ومع ذلك فمنذ أبكر الأزمنة شعر المسيحيون بالرغبة القوية فى أن يروا بأنفسهم تلك الأماكن التى ارتبطت بذكريات المسيحية المبكرة مثل الموضع الذى ولد فيه السيد المسيح عليه السلام ، والأماكن التى تنقل فيها فى أرجاء فلسطين المختلفة مبشرا بالدين الجديد ، وقد ورث المسيحيون عن اليهود تقديرا كبيرا لدينة القدس[1] .

وفى خلال القرنين الأولين للميلاد ، لم يكن أمر الترحال بهدف الحج الى المدينة المقدسة أمرا ميسرا ، اذ أن المدينة امتدت اليها يد التدمير عام ٧٠م على يد القائد الرومانى تيتوس Titus [2] . وذلك أثناء ثورة اليهود ، كذلك فان السلطات الرومانية ساهمت بدورها فى هذا الوضع ، اذ لم تكن لتسمح بمثل ذلك النشاط الدينى فى القدس .

وخلال تلك المرحلة المبكرة ، وجدت اشارات عن عدد من الأشخاص ذهبوا الى فلسطين الحج ، ومن أمثلتهم الاسقف فرميليان Firmilian of Caesates Mazaca وقد زار القدس في وقت مبكر من القرن الثالث[3] . وهناك اسقف كبادوكى هو الكسندر Alexander والذى زارها من بعد زيارة فرميليان بسنوات قليلة [4] .

ويلاحظ أن التطور الحقيقى فى فكرة الحج فى المسيحية حدث فى عصر قسطنطين ، الذى أوقف الاضطهاد الذى كان قد حل بالمسيحية ، وعمل على أن يتبع سياسة متوازنة تجاه القوى الدينية فى الامبراطورية الرومانية[5] ، ونجد أن أمه هيلينا Helena (سانت هيلينا فيما بعد) ارتحلت الى فلسطين من أجل الكشف عن رفات السيد المسيح ـ كما يعتقد المسيحيون ـ والحصول على كافة متعلقاته ، وقامت بالعثور على خشبة الصلب ـ كما يتصور المسيحيون ـ وأقامت موضعها كنيسة القيامة ، ومنذ ذلك الحين صار الحج الى تلك البقاع تقليدا قائما لدى المسيحيين[6] . وهم الذين حرصوا على أن يقتفوا أثر القدسة هيلينا فى ذهابها الى هناك .

ومن بعد رحلة القديسة هيلينا لدينا العديد من الاشارات عن أشخاص قاموا بالارتحال الى تلك البقاع التى عدت من أقدس مقدسات المسيحيين ، ومن أوائل الذين

قاموا بالارتحال الى هناك رجل من بوردو Bordeaux وقد كتب رحلته عام ٣٣٣م[١] عندما أكمل الامبراطور قسطنطين مبانيه هناك ، ومن بعد ذلك بنحو نصف قرن قدمت للحج سيدة تسمى ايثريا Aetheria وأحيانا عرفت باسم القديسة سيلفيا St. Silvia الأقطانية[٨] ، ومن المحتمل أنها قدمت من فرنسا ، أو اسبانيا ، أو منطقة تطل على المحيط الأطلنطى ·

ولعل من أهم الشخصيات التى قامت بالحج الى فلسطين خلال تلك المرحلة وتركت مؤلفات هامة فى هذا الشأن ، القديس جيروم St. Jerome [٩] ، وقد أمضى فترة من الوقت فى الصحراء بشمال بلاد الشام عند منطقة قنسرين من أجل أن يعد نفسه راهبا ، وبالفعل اختار الحياة الديرانية ، وفى مرحلة من مراحل حياته غادر روما الى الشرق فى أغسطس من عام ٣٨٥م ، وفى الخريف ذهب الى انطاكية من أجل مقابلة سيدتين من النبيلات من روما أم وابنتها وكانتا قد قررتا أيضا القدوم الى الشرق وأن تمضيا البقية الباقية من عمريهما فى الشرق كراهبتين واسمهما بولا Paula وايستوكيوم Eustochium [١٠] · ومن انطاكية شرع الثلاثة فى رحلة الحج والتى وصفها جيروم فى خطابين أحدهما كتب فى عام ٣٩٢م/٣٩٣م بعد ستة أعوام من قيامه برحلة الحج ويخاطب فيه سيدة نبيلة رومانية تدعى مارسيلا Marcella ويدعوها للقيام بنفس رحلته ويصف لها فى خطابه ما ينتج لها من مغانم ومكاسب روحية من جراء القيام برحلة الحج الى الأرض المقدسة غير أنه لا يسهب فى التفاصيل[١١] · أما الخطاب الثانى فنجد القديس جيروم يصف فيه رحلة الحج التى قام بها مع بولا Paula... منذ تسعة عشر عاما خلت[١٢] ·

وتأتى أهمية القديس جيروم ودوره فى تطور فكرة الحج الى بيت المقدس من خلال ادراك أنه اعتقد أن من التدين التعبد فى الموضع الذى وطأته قدما السيد المسيح عليه السلام[١٣] · وقد قوبل رأيه بالذيوع والانتشار والتحمس من أجل الاقتداء به وقد تضاعف عدد الحجاج الأوربيين الذاهبين الى المدينة المقدسة وشجعهم على ذلك دعم السلطات الرسمية البيزنطية بل لقد صار فى بيت المقدس وحولها مائتا دير ونزل تم تشييدها من أجل استقبال أولئك الحجاج وجميعها تقريبا كانت تحت الاشراف الرسمى البيزنطى[١٤] ·

وامتد الاهتمام بأمر الحج الى بيت المقدس ليشمل الطبقة العليا ، ومن ذلك أنه فى منتصف القرن الرابع استقرت ايودوكيا Eudocia وهى زوجة الامبراطور ثيودوسيوس الثانى Theodosius II استقرت فى القدس وأظهرت الامبراطورة اتجاها جديدا عندما قامت بارسال مقتنيات هامة الى أحد أقاربها فى القسطنطينية ، ومن أمثلتها صورة للسيدة العذراء والسيد المسيح عليهما السلام ويقال أنها صورت على يد القديس لوقا St. Luke [١٥] ·

وقد أبرز هذا الموقف ما اتصل برحلة الحجاج الى بيت المقدس من اقتناء الذخائر المقدسة مثل رفات القديسين والشهداء وملابسهم ومتعلقاتهم الشخصية ، وقد اكتسب أولئك الحجاج بعد عودتهم الى بلادهم مكانة مرموقة من خلال اقتنائهم لتلك المقتنيات التي تعود الى عهود المسيحية المبكرة وقد تم استخدامها من أجل تزيين الكنائس كذلك فان الملوك والأمراء فى الغرب الأوربى حرصوا على اقتنائها اعـــلاء لشـــأنهم في نظر رعيتهم (١٦) ٠

ومن القرن الخامس م وصلت الينا رحلة الى الأرض المقدسة قام بهـا رجـل يدعى ايو خيريوس **Eucherius** وقد عمل أسقفا لليون **Lyons** خـلال المرحلة الواقعة من حوالى عام ٤٣٤م الى ٤٤٩م(١٧) ٠ وقد كتب خطابا تناول فيه أمر رحلة الحج التى قام بها ، وأرسل ذلك الخطاب الى صديق له يدعى فاوستس **Faustus** (١٨) ٠

ومن جهة أخرى ، لدينا من نفس القرن مؤلف هام عن رحلة حج قام بها بطرس الأيبيرى **Peter The Iberian** وقد كان أسقفا مونوفيزيتيا (مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح) ولذا ، فقد عانى من الاضطهاد الذى حل به وكتبت سيرة حياته حوالى عام ٥٠٠م من جانب أحـد تابعيـه ، وهو يوحنـا رفوس **John Rufus** (١٩) وقد رافقه على مدى حياته ، وصاحبه في قسم من أسفاره فى فلسطين ٠ ومن الواضح انه قام بتلك الرحلة فى عام ٤٣٧م حيث ارتحـل من ايبريا (ضمن حـدود جمهورية جورجيا Georgia فى الاتحـاد السوفيتى حاليـا) الى القـدس ، والجـديد فى أمر ذلك الحاج انه لم يكتب رحلته بنفسه وانما كتبها أحد تابعيه(٢٠) ٠

وقد شهد القرن التالى ونعنى به القرن السادس ازدهارا واضحا لحركة الحج وتزايدت رحلات الرحالة الأوربيين وكتبت رحـلات متعددة تخلد ذلك ولكى تسـاعد الحجاج الآخرين الذين سيرتحلون الى الأرض المقدسة ٠ ومن الأمثلة التى وصلت الينا من رحالة ذلك العصر ثيودوسيوس Theodosius (٢١) وانطونيوس الشـهيد Antonius Martyr (٢٢) ، ويرى البعض انه كانت لا تزال هناك صلات تجارية بين الشرق والغرب ، ولم تكن هناك صعوبة لمواصلة الحج الى فلسطين ، وفضلا عن ذلك هنـاك رحلة وصلت الينا قام بها حاج من بياكنزا **Placenza** (٢٣) وهو من الحجاج المجهولين الذين تركوا مؤلفاتهم عن رحلاتهم الى القـدس ، وقـد تناول ذلك الرجل كافة المناطق التى شاهدها فى رحلته وكذلك الأشخاص الذين اتصل بهم وتعامل معهم ٠

ومن المظـاهر الدالة على ازدهار الحج خـلال ذلك القـرن تأليف مؤلفـات مرشـدة للحجاج ، ومن أمثلتها كتـاب مرشد أو دليل لبيت المقدس **The Breviarus** of Jerusalem (٢٤) ، ويبدو انه ألف من أجل أن يكون دليلا للحج ، خلال القرن السادس م ، ومثل تلك المؤلفات من المفترض انها وزعت فى الغرب الأوربى ، وكذلك فى الأماكن المقدسة ، وربما كانت تنتج على صورة صفحات عريضة ، وقام وكلاء

السفن بعرضها على المسافرين(٢٥) من الحجاج ، نظرا لكونهم مقبلين على زيـــارة أماكن جديدة بالنسبة لهم ولم يألفوها من قبل ٠

أما القرن السابع فقد شهد تطورا هاما فى مسيرة الرحلة الأوربية الى الاماكن المقدسة ، اذ تزايد الاتجاه نحو الحج من أجل التكفير عن الذنوب ، وهنا ينبغى أن نقرر أن ذلك الاتجـاه وجـد حتى من قبـل ذلك القـرن ، فالقديس ماركيـانوس Marcianus (القرن الخامس) استطاع أن يقنع البغايا التائبات بضرورة التكفير عن ذنوبهن من خلال الذهاب الى بيت المقدس والقيام برحلة الحج بفضـــل ما تحويه من شحنة دينية ونفسية مؤثرة ، وفى القرن السادس ذهب أهل الرها الى هناك من أجل التكفير عن الآثام التى اقترفوها فى حق الرب ، ومع ذلك فان القـــرن السابع شهد اتساع نطاق الناحية التكفيرية ويرى البعض أن التأثير الأيرلندى كان واضـحا فى هذا المجـال ، وفى هـذا الصــدد وجـد دور القـديس كولومبان St. Columban (٢٧) الذى عمل على اقامة العديد من الأديرة وشجع أمر الترحال الى الأرض المقدسة ، ويلاحظ أن نظام التكفير الايرلندى تقرر فيه أن يقوم الشخص الذى ارتكب الخطايا والآثام برحلة حج طويلة وشاقة ، وذلك من أجل أن يكفر عن تلك الآثام ، وهناك من يقرر أن هذه الاتجاه تطور تطورا واضحا فيما بعد الى حـــد صار معها خلال القرن الثامن م ، بمثابة ظاهرة دينية شائعة فى كافة أنحاء القـارة الأوربية(٢٨) ٠

وتجدر الاشارة الى أنه خلال القرن السابع م ، وصلت الينا رحلة هامة قام بها الأسقف الفرنسى اركولف Arculf ، وذلك فى عام ٦٧٠م والتى شملت مناطق مصر وبلاد الشام وكذلك القسطنطينية ، ومن الواضح أنه صادف مصاعب جمة خلال قيامه بالارتحال الى فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة هناك ، وهو أمر ذكره بصورة واضحة فى ثنايا رحلته(٢٩) ٠

ومن الأهمية بمكان ملاحظة أنه خلال ذلك القرن وقعت حركة الفتوحات العربية الكبرى ودخلت بلاد الشام بما فيها فلسطين تحت السيادة العربية الاسلامية ، ويلاحظ أنه بصفة عامة اتسمت سياسة المسلمين تجاه الأماكن المقدسة لدى المسيحيين بالتسامح الدينى ولم تتسم بأى صورة من صـور التعصب الدينى على نحو يشكل ظـــاهرة واضــحة ٠

ومن مرحلة القرنين السابع والثامن م وصلت الينا بعض المؤلفات التى كتبها عدد من الرحالة الأوربيين المسيحيين الذين قدموا للحج الى هناك ، ومن أمثلتهم رجل يدعى ادومنان Adomnan of Lona وقـد شغل وظيفـة كنسية فى ايونا Lona خلال المدة من عام ٦٧٩ الى ٧٠٤م(٣٠) ، وقد ألف كتابا عن الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين على جانب كبير من الأهمية واستعان به عدد كبير من

المعاصرين ، وقد أفاد فى تأليفه لذلك الكتاب مما ألفه آركولف Arculf الذى زار المنطقة فى مرحلة سابقة(٣١) .

وزد على ذلك هناك بعض الحجاج الذين قدموا من انجلترا وهم الذين تزايد عددهم بصورة واضحة ، ومن أمثلتهم ويليبالد Willibald (٣٢) وقد عمل أسقفا لمنطقة ايكستادت Eichstadt فى بافاريا Bavaria ، ومن المعروف أنه قام فى حداثة سنه بالارتحال الى فلسطين وذلك بعد مغادرته مدينة روما فى عام ٧٢٢م ، ولم يعد اليها الا عام ٧٢٩م بعد متاعب عدة صادفته(٣٣) .

ويضاف الى ذلك ، هناك أحد الرحالة ونعنى به الراهب ابيفانيوس Epiphanius The Monk (٣٤) ، وقد عاصر المرحلة المبكرة من عهد الخلافة العباسية ، ووضع دليلا للأماكن المقدسة فى فلسطين ، ويرى البعض أنه اكتمل فيما بين عامى ٧٥٠ ، ٨٠٠م(٣٥) ، وقد ألف ليكون مرشدا للحجاج والرحالة من آسيا الصغرى ومن المحتمل لأولئك القادمين من القسطنطينية الى مدينة بيت المقدس وبيت لحم والأردن .

ويبدو أن كتابة تلك المؤلفات المرشدة للحجاج قد تطورت مع مضى الزمن ، ومن المتصور انتشارها بصورة كبيرة ، نظرا لاحتياج أعداد غفيرة من الحجاج لها ، خاصة أولئك الذين يزورون تلك البقاع المقدسة لديهم وذلك للمرة الاولى ، ومن المنطقى أيضا تصور أن الذى قام بكتابة ذلك الدليل كان من اكثر الناس معرفة بالأرض المقدسة ، على نحو أهله للقيام بكتابة مثل ذلك الدليل الارشادى لغيره من الحجاج .

وتجدر الاشارة الى ازدهار حركة ارتحال الأوربيين الى تلك البقاع خلال عهد الدولة الكارولنجية ونجد أن شارلمان Carolus Magnus قد حرص الحرص كله على توطيد علاقاته مع الخلافة العباسية فى بغداد . وتلقى المصادر التاريخية المعاصرة أضواء كاشفة على العلاقات الكارولنجية ـ العباسية ، ويبدو أن الخليفة العباسى هارون الرشيد قد منح شارلمان مفتاح بيت المقدس وسمح باقامة نزل للحجاج ، وهناك من يرى أنه أعطاه حق الاشراف المعنوى على المدينة(٣٧) غير أننا نختلف مع هذا الرأى فالأرجح انه لم يمنحه مثل ذلك الاشراف المعنوى ، فيلاحظ أن أن الأساطير الاوربية نسجت الكثير حول شخصية وأعمال شارلمان بل انها صورته قد ذهب الى الحج الى تلك المدينة المقدسة ، ويبدو أن الاتفاق بين الجانبين تناول التعاون مع الكارولنجيين من أجل محاربة الأمويين فى الاندلس(٣٨) .

مهما يكن من أمر ، فقد شهد عهد شارلمان ازدهارا لحركة الرحالة الأوربيين الى الأراضى المقدسة فى فلسطين . وقد جرت محاولة من أجل تنظيم الحج تحت رعايته ، خاصة أنه أعاد تشييد الفنادق والنزل فى فلسطين ، وانشاءاته فى هذا الصدد تدل دلالة واضحة على أن العديد من الحجاج قدموا الى تلك البقاع ، ومن بينهم عدد

كبير من النسوة ، كذلك تم ارسال عدد من الراهبات الأسبانيات من أجل الخدمة فى كنيسة الضريح المقدس(٣٩) ٠

ومن لادلائل التى تشير الى أن عهد ذلك الامبراطور شهد تدعيما واضحا للحج المسيحى ، اننا لدينا وثيقة تاريخية تدل على مدى تسامح المسلمين تجاه قضية الحج المسيحى ، والوثيقة تعرف باسم « مفكرة بكنائس بيت المقدس » Commeroratorium on The Churches of Jerusalem (٤٠) ، وتحتوى حصرا لكنائس وأديرة المدينة والمناطق المجاورة لها ، وكذلك أسماء وعدد الشمامسة ، والأساقفة ، والرهبان الذين يقومون بالخدمة فى تلك المؤسسات الدينية المسيحية ، وهناك من يرى أن تلك الوثيقة قد كتبت حوالى عام ٨٠٨م فى ظل العلاقات الودية بين الخلافة العباسية والامبراطورية الكارولنجية ، وأن من المستحيل انجاز ذلك العمل الكبير الدقيق الاحصائى الطابع دون أن يكون من خلال موافقة رسمية(٤١) ، وقيمة الوثيقة أنها توضح أن المؤسسات المسيحية فى فلسطين كانت تعيش مرحلة هامة من الازدهار حينذاك(٤٢) دون أى اضطهاد رسمى من السلطات المسلمة ٠

ومع ذلك فان الأمر لم يستمر طويلا ـ كما يقرر رنسيمان ـ اذ تداعت الامبراطورية الكارلونجية ، وعندما قدم برنارد الحكيم Bernard The Wise (٤٣) من بريتانى لزيارة البقاع المقدسة عام ٨٧٠م ، ادرك أن المؤسسات التى شيدت فى عهد شارلمان لا تزال مستمرة فى العمل غير أنها كانت على ما يبدو خاوية(٤٤) ، وفى طريقها للانهيار ، ويقرر رنسيمان أن برنارد لم يستطع أن يقوم برحلته الا بعد أن حصل على جواز سفر من السلطات المسلمة التى كانت تسيطر حينذاك على مدينة بارى فى الجنوب الايطالى(٤٥) ، ونعتقد أن ذلك الاجراء كان اجراء أمنيا ضروريا ولا يمثل أى نوع من الاضطهاد الدينى ضد الحجاج الأوربيين ٠

وفى القرن العاشر م حدثت تطورات هامة فى أوربا وكذلك فى العلاقات بين الشرق والغرب كان لها دورها الفعال على مسيرة الرحلة الأوربية الى فلسطين خلال ذلك القرن ، اذ أن حركة ديركلونى والتى قامت باصلاح أوضاع الأديرة فى أوربا وقامت بنهضة دينة كبيرة عملت على أن تزدهر حركة الحج وقامت الأديرة الكلونية باقامة شبكة كبيرة ، تهتم بالحجاج وبشئونهم ، وتقوم بتقديم كافة التيسيرات اللازمة من أجل توفير ما يلزم الحجاج من احتياجات مختلفة(٤٦) ٠

وعلى مستوى العلاقات بين الشرق والغرب حدثت بعض التطورات المؤثرة اذ فقد المسلمون بعض مراكزهم الاستراتيجية الهامة ، كذلك نشط الأسطول البيزنطى يقوم بدوره الامنى فى البحر المتوسط ، ومن جهة أخرى نشطت القوى التجارية الايطالية من أجل اقامة علاقات تجارية وثيقة مع الموانىء الاسلامية(٤٧) ، وفى الشرق الاسلامى دخلت الخلافة العباسية فى مرحلة من مراحل الضعف ، وقام نوابها فى فلسطين بحسن

استقبال الحجاج الأوربيين الذين مثلوا دخلا ماليا هاما لميزانية البلاد فضلا عن حقوق فرض المكوس ، وعندما سيطر الاخشيديون ومن بعدهم الفاطميون على فلسطين تزايدت حركة الحج الى هناك(٤٨) ولم تكن هنـاك صـعوبة فى أن يقوم الحجاج باستخدام السفن من أجل أن تنقلهم من بارى الى الاسكندرية أو المدن الساحلية الشامية • وقد فضل أغلب الحجاج أن يقوموا بالابحار فى أحد السفن الايطالية الى القسطنطينية وزيارة مجموعة التحف الكنسية هناك ، ومن بعد ذلك يذهبون عن طريق البر الى فلسطين ويلاحظ أن الطريق البرى كان دائما اقل تكلفة من الطريق البحرى ووجدت هناك طرق برية ميسرة بين الأناضول وبلاد الشام(٤٩) •

ولدينا أسماء عدد كبير من أولئك الحجاج الذين زاروا فلسطين خـلال القرن العاشر م أو من أمثلتهم هيلدا Hilda كونتيسة سـوابيا Suabia التى ادركتها المنية فى بتلر خلال رحلة الحج التىقامت بها فى عام٩٦٩م(٥٠) ، كذلكجوديث Judith دوقة بافاريا Bavaria شقيقة أوتو الأول Otto I ، والتى كانت فى فلسطين فى عام ٩٧٠م (٥١) ، ومن النبلاء والنبيلات الذين قاموا بالحج خلال ذلك القرن هنـاك كونتات أرديش Ardeche ، واركى Arcy ، وانهالت Anhalt ، وفيينا Vienne وفردان Verdun ، وجوريزيا Gorizia ، كذلك قام بتلك الرحلة كبـار رجال الكنيسة ومن أمثلتهم أسقف أوليفولا Ollvola الذى قام بالترحال الى فلسطين فى عام ٩٢٠م(٥٢) ، والقديس كونراد St. Conrad أسقف كونستانس Constance وقام بتأدية الحج من خـلال ثلاث رحلات مستقلة ، والقـديس يوحنا St. John أسقف بارما Parma الذى لم تقل رحلاته الى هناك عن ست رحلات ، وكذلك رئيس دير اوريلاك Aurillac ورئيس دير مونتييه Montier (٥٣) ، وقد صاحب هؤلاء عدد كبير من الرجال والنساء الفقراء غير أن مؤلفى الحوليات لم يعنوا بايراد أسمائهم بطبيعة الحال •

ويمثل القرن الحادى عشر تطورا هاما ومؤثرا بالنسبة للحج الى فلسطين بصورة واضحة على نحو ميزه على القرون السابقة • ويلاحظ انه حوالى أوائل ذلك القرن قام الخليفة الحاكم بأمر الله باضطهاد العناصر المسيحية فى دولته ، ويقال انه قام بتدمير كنيسة الضريح المقدس The Church of The Holy Sepulchre ، ومع ذلك ينبغى أن نذكر أن اضطهاد الحاكم بأمر الله لم يكن موجها ضد العناصر المسيحية فقط، بل كذلك ضد العناصر المسلمة السنية أيضا ، ويمثل عهده مرحلة استثنائية قصيرة اذا ما قورن بسماحة القوى السياسية الاسلامية تجاه رعاياها من العناصر المسيحية ، وفى أواخر عهده عاد الى اتباع سياسة التسامح وسمح لمن أجبر على اعتناق الاسلام بالعودة لدينه •

ومن بعد عهد الحاكم بأمر الله ، وجد اتجاه نحو وقف سياسته تجاه العناصر المسـيحية ، ونجـد أن الامبراطور البيزنطى رومانوس الثـالث Romanus III

(١٠٢٨ ــ ١٠٣٢م) قد اتفق مع الفاطميين من أجل اعادة بناء كنيسة الضريح المقدس، وقد قام الامبراطور قسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢ ــ ١٠٥٥م) بارسال عماله من أجل المشاركة فى أعمال البناء ، ومن مظاهر تحسن العلاقات بين الجانبين ، استمرار حركة الحج وذلك من خلال الثغور الاسلامية التى عدت من المنافذ التى استخدمها الحجاج للوصول الى الأماكن المقدسة(٥٥) ٠

ومن جهة أخرى ، حدثت بعض التغيرات الهامة فى القارة الأوربية كان لها أثرها الايجابى على حركة الحج المسيحى ، اذ تحول الهنغاريون الى المسيحية وذلك فى عام ٩٧٥م بفضل القديس ستيفن St. Stephen (٥٦) على نحو فتح مرة أخرى الطريق البرى عبر الدانوب والامبراطورية البيزنطية وهو طريق فضله الهنغاريون ، كذلك فان الامبراطور البيزنطى باسل الثانى Basil II (٩٧٦ ــ ١٠٢٥م) (قصاب البلغار Bulgar-Octonus) اخضع كافة مناطق شبه جزيرة البلقان الى السيادة البيزنطية(٥٨) ، وكان بامكان الحجاج القادمين من وسط أوربا أو فلاندرز Flanders على هذا الأساس أن يرتحلوا عبر أراضى الامبراطور الغربى حتى يصلوا الى هنغاريا بالقرب من فيينا Vienne وعندئذ كان فى مقدورهم أن يعبروا هنغاريا الى بلغراد Belgrad على الحدود البيزنطية(٥٧) ، ثم انهم وصلوا الى أحد الثغور الفاطمية بين اللاذقية Latakia وطرطوس Tortosa وفضل الحجاج الذين قدموا من فرنسا وايطاليا ، أن يستخدموا طريق ابوليا Apulia ويعْبُروا مضايق الأدرياتيك Adriatic ، ومن هناك وصلوا الى دراخيوم Dyrrachium ومنها الى القسطنطينية(٥٩) ٠

ومن الأهمية بمكان ملاحظة تزايد أعداد الحجاج الأوربيين الذين قدموا الى المنطقة خلال ذلك القرن ، وهناك اشارات متعددة دالة على أولئك الذين قاموا بالقدوم الى هناك ، وخلال عامى ١٠٠٢م ، ١٠٠٣م ، هناك اشارة عن راهب مجهول من تور Tours ، وناسك من بامبرج Bamberg ، وفولك نيرا Fulk Nerra كونت أنجو Anjou ، وقد قام بثلاث رحلات الى فلسطين ووافته منيته فى عام ١٠٤٠م فى مدينة متز Metz (٦٠) ٠

وفضلا عن ذلك ، ارتبطت الأساطير بالحج الى الاماكن المسيحية المقدسة ، ففى عام ١٠٠٣م لدينا أسطورة عن شخص ما يدعى جى Guy ، وهو راهب من برابانت Brabant يظهر فى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى يظهر فيه أولاف تريجفيسون Olaf Tryggveson (٦١) الذى يعد الملك المسيحى الأول للنرويج Norway ويلاحظ أن هذه القصة أسطورية تماما ، اذ أن اولاف مات عام ١٠٠٠م فى معركة سفولد Svold ، لكن شعبه اعتقد أنه استطاع الفرار والحج الى المدينة المقدسة . ومثل أمر حجه الى هناك جزءا من تلك الأسطورة البطولية(٦٣) ٠

وتوالت أعداد الحجاج ، وكذلك الاشارات المتعلقة بأولئك الاشخاص الذين قاموا بالرحلة الى تلك البقاع المقدسة ، وقد قام أحد الكهنة الفرنسيين فى عام ١٠٠٤م بالحج الى هناك وهو جوزلين الفليرى Gauzlin of Fleury ، (٦٣) ، وفى العام التالى أى عام ١٠٠٥م حج روجير الفيجى Roger of Figeac (٦٤) • كذلك وردت لدينا اشارات عن بويو رئيس أساقفة تريبه Trier الذى قام برحلته عام ١٠٣٨م وذلك برفقة الناسك سيميون • وحوالى منتصف ذلك القرن وتحديدا عام ١٠٥٤م ، أشار البعض الى قيام فوشيه Fulcher الذى عمل قسيسا ملحقا بقصر الامبراطور هنرى الثالث بالارتحال ، غير أن رحلته لم تكن موفقة ، وفقد أمواله فى الطريق (٦٥) •

وهكذا ، تزايد أعداد من يقومون بالترحال الى فلسطين خلال ذلك القرن على نحو خاص ، ولدينا اشارة هامة وردت لدى أحد المعاصرين وهو رالف جلابر Ralph Glaber ، اذ يقرر أنه فى البداية ذهب العامة ، ثم أولئك الذين انحدروا من الطبقة الوسطى ، ثم قام بالحج العديد من الملوك والكونتات والركيزات والأساقفة، وليس هذا فحسب ، بل النساء أيضا وهو أمر لم يعهد من قبل ، وقد تمنى العديدون أن يدركهم الردى هناك بدلا من أن يعودوا أدراجهم الى بلادهم(٦٦) •

ومعنى ذلك ، أن القرن الحادى عشر م — وهو القرن الذى وقعت فى ختامه حركة الصليبيات • شهد تضخم ظاهرة الحج الى فلسطين ، وقد غادرت الغرب الأوربى أعداد ضخمة فى وقت مبكر من الربيع وخلال رحلتهم كانوا فى مجموعات صغيرة أو كبيرة ، وأحيانا وصل عددهم الى الألف شخص ، وفى المدة من عام ١٠٦٤ الى ١٠٦٥م حدث الحج الكبير الذى قاده سيجفريد Siegfried رئيس أساقفة ماينز Mainz وجونثر Gunther أسقف بامبرج Bamberg ومعه عدد آخر من رجال الكنيسة(٦٧) ، ويقال ان عدد الحجاج بلغ سبعة آلاف أو عشرة آلاف(٦٨) ، وقدره البعض باثنى عشر ألفا من الرجال والنساء(٦٩)ووجدت عناصر مسلحة تقوم بحمايتهم وكانوا منظمين تنظيما جيدا ، غير أن أغلب الحجاج كانوا يقومون بالحج دونما تسليح (٧٠) ، ويقال ان عدد الذين عادوا من تلك الرحلة بلغ نحو مائتين فقط (٧١) اذ تعرضوا لهجمات المسلمين بالقرب من يافا ، ومن المحتمل وجود مبالغة فى تقليل عدد الذين نجوا من أجل أن يقوموا برحلة الحج الى المحارم المقدسة، لاظهارهم بمظهر الابطال الذين تحملوا المشاق من أجل ان يقوموا برحلة الحج الى المحارم المسيحية المقدسة ، حتى يكونوا مثالا وقدوة لغيرهم •

ولا نزاع فى ان ذلك الحشد الكبير كان بمثابة أكبر جماعة انضم بعضها الى بعض فى مسيرة واحدة قبل بدء الحركة الصليبية ، وكان بين هؤلاء الالمان أساقفة ورؤساء أسقفيات وعدد من الاقطاعيين والنبلاء والفرسان ، وقد ساروا فى مناطق وسط أوربا الى القسطنطينية ثم الى آسيا الصغرى Asia Minor ثم منها الى بلاد الشام وتحديدا الى فلسطين (٧٢) ، وفضلا عن ذلك قامت حملة

كبيرة للحج الى فلسطين فى عام ١٠٨٨ بقيادة الكونت روبرت الأول الفلاندرزى Robert I of Elanders ، وذلك قبل سبع سنوات فقط من الدعوة للحمله الصليبية الأولى .

ويلاحظ أن عدة مصاعب واجهت أولئك الحجاج فى رحلتهم الى الاراضى المقدسة ، منها ما اتصل بالظروف والاحوال المناخية ، خاصة حرارة الطقس فى جبال الاناضول ، ووعورة المسالك البرية لا سيما في المناطق الجبلية والصحراوية، كذلك احتمال تعرض الحجاج الى الامراض واحتمال وفاتهم من جراء ذلك مع نقص الرعاية الصحية والوعى الطبى بصفة عامة فى ذلك العصر ، اما فى مجال البحر ، فهناك خطر العواصف المدمرة التى تعصف بالسفن وتهددها بالغرق ، ومن المصاعب التى واجهت الحجاج ما اتصل بالناحية السياسية ، من ذلك أن النورمان بعد أن هاجموا أملاك الامبراطورية البيزنطية فى جنوب ايطاليا صار الحجاج النورمان يتعرضون للمضايقات من جانب الموظفين البيزنطيين ، كذلك وجدت بعض المشكلات الناجمة عن تمرد بعض الامراء المسلمين فى بلاد الشام على الخلافة الفاطمية ، على نحو كان من الممكن أن يؤثر على سيولة تدفق حركة الحجاج المسيحيين الى فلسطين (٧٣) .

وينبغى ألا يغيب عن أذهاننا أن الصراع بين القوى الاسلامية السياسية والمذهبية المتناحرة مثل العداء السنى ـ الشيعى قد أثر على حركة الحج المسيحى الى هناك ، ومن المعروف أن السلاجقة قد تمكنوا من الاستيلاء على بيت المقدس فى عام ١٠٧١م من خلال قائدهم اتسز(٧٤) ، وذلك بعد أن ظلت خاضعة للسيطرة الفاطمية ، وان استردها الفاطميون منهم قبيل مقدم الغزو الصليبى للمنطقة ، ويلاحظ أن السلاجقة لم يضطهدوا عناصر الحجاج المسيحيين ، وهناك من المؤرخين الأوربيين المحدثين من يقرر ذلك صراحة (٧٥) .

ولا نزاع فى ان الحج المسيحى لعب دورا بارزا فى اندلاع الحركة الصليبية ، اذ ادعت البابوية ممثلة فى البابا أوربان الثانى Urbanus II (١٠٨٨ ـ ١٠٩٩م) أن الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين قد تعرضت للتخريب ، وأن المسيحيين أنفسهم يتعرضون للاضطهاد ، وأن هذا هو الحال بالنسبة للحجاج الأوربيين ، وذلك من خلال المجمع الذى عقده فى كلير مونت بجنوب فرنسا ، والذى ألقى فيه خطابه الشهير فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م(٧٦) ، ويلاحظ أن استمرار الحج الى تلك البقاع المقدسة لدى العالم المسيحى قد أدى الى اعتقاد ساد الأوربيين بضرورة أن تكون المناطق التى شهدت ميلاد السيد المسيح المعجز ومعجزاته ـ تكون تحت السيادة المسيحية ومن جهة أخرى صورت الحوليات الصليبية جموع الصليبيين الأوائل على أنهم حجاج مسلحون . ومعنى ذلك أن الحركة الصليبية قد اعتمدت على رافدين أساسيين هما : الحج الى البقاع المرتبطة بذكريات المسيحية فى عهدها

المبكر ، والحرب المقدسة ضد أعداء المسيح (٧٧) ، وفى الرافد الأخير أمكن تحويل المسيحية من ديانة مسالمة ترفض الحرب وتنبذ لغة القوة الى ديانة محاربة يحشد معتنقوها آلة الحرب الضخمة من أجل الاعتداء على الشعوب غير المسيحية ، ويلاحظ أن مثل هذا التطور الخطير لم يحدث بين عشية وضحاها بل استغرق أمدا طويلا من أجل تدريب المسيحية أى جعلها ديانة محاربة ٠

مهما يكن من أمر ، فقد قدم الصابيبيون الى المنطقة وتمكنوا بفضل ما كانت تعانيه من تفشى ظاهرة التشرذم السياسى والتصارع المذهبى ـ تمكنوا من اقامة كياناتهم السياسية الدخيلة فى صورة مملكة بيت المقدس الصليبية وتوابعها فى امارات الرها وأنطاكية وطرابلس ، ولا جدال فى أن المملكة اللاتينية أولت لأمر الحج أهمية كبيرة من أجل الظهور بمظهر المدافع عن المحارم المسيحية المقدسة أمام رعاياها من العناصر المسيحية فى الداخل وكذلك امام عالم المسيحية فى كافة أنحاء المعمورة ٠ وعملت على توفير الراحة والأمان ـ قدر الاستطاعة ولكن دون جدوى فى الكثير من الأحيان بفضل المقاومة الاسلامية ـ وتمثل ذلك فى اقامة أماكن مخصصة لاستقبال المرضى والجرحى من الحجاج أو من خلال تخصيص قوات تقوم بحماية الطرق البرية التى سلكها الحجاج منذ أن وصلت سفنهم الى الموانىء الخاضعة للسيادة السياسية الصليبية الى المواقع المقدسة فى أنحاء المملكة اللاتينية المختلفة ٠

ولا نزاع فى أن أعداد الحجاج القادمين الى تلك المواضع المقدسة قد تزايد بصورة متضاعفة وملحوظة خلال عهد السيادة الصليبية على أجزاء من المنطقة العربية ، وخاصة من خلال الدعم الرسمى المتواصل فضلا عن اتساع املاك كنيسة مملكة بيت المقدس بصفة عامة ، وتدفق الدعم المادى والمعنوى للكيان الصليبى فى بلاد الشام على اعتبار أنه يقوم بحماية تلك البقاع المقدسة لدى المسيحيين فى مواجهة الأعداء ٠

وبصفة عامة نلاحظ انعكاس ذلك الوضع السابق على مؤلفات الرحالة الأوربيين أنفسهم فبدلا من الكتابة عن المواقع المقدسة من خلال احساس بالاغتراب والقلق ، وجدنا الأمر تغير بصورة كبيرة اذ اتسمت مؤلفات الرحالة الأوربيين التى وصلت الينا من تلك المرحلة بالحماس الشديد والثقة بالنفس والدعم المستمر المعنوى للمشروع الصليبى والتحمس له ولا نزاع فى أنهم شعروا أن تلك البقاع التى قصدوها بالحج مثلت جزءا لا يتجزأ من بلادهم ٠

ذلك ، عرض لتطور الرحلة الأوربية الى فلسطين حتى أخريات القرن الحادى عشر م • أما تطورها على مدى القرن الثانى عشر م ، فسنرصده من خلال عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩_١١٨٧م) وتركوا مؤلفات هامة تروى تطور أحداث رحلاتهم الى هناك ، وقد ألقت تلك المؤلفات أضواء كاشفة على العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والكنسية المتصلة بتلك المملكة ، الأمر الذى سنحاول تناوله بصورة مفصلة على امتداد الفصول التالية •

الهوامش :

(١) Runciman, «The Pilgrimages to Palestine before 1095», in Setton, A Historp of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1969, P. 68.

(٢) William of Tyre, A History of deeds done beyond the sea, Trans. by Babcoch and Krey, Vol. I, New York 1943, P. 341.

Book, A History of RomeTo 565 A.D., New York 1964. P. 305.

قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ، ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٣١ .

(٣) Rumciman. Op. Cit., P. 69.

(٤) Runciman, Op. Cit., P. 69.

(٥) عن موقف الامبراطور قسطنطين من الفرق المسيحية ، انظر : رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، قسطنطين ، ط القاهرة ١٩٧٤م .

(٦) عن القديسة هيلانة ودورها ، انظر :

Eusebius. Extraits from Eusebius Life of Constantine, Trans. by John Bernard, P.P. T.S., Vol. I, London 1896, P. 11.

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, London 1978, P. 166.

Runciman, A History of The Crusades, Penguin Books, Vol. I. London 1978,. P. 39, The Pilgrimages, P. 69.

أسحق عبيد ، « قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصلب ، أسطورة أم حقيقة » مجلة كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، م (١٧) عام ١٩٧٠م ، ص٥ ـ ص ٢١

وقد ذكر الرحالة المسلم الادريسي فى كتابه نزهة المشتاق ، أن كنيسة القيامة يتجه اليها المسيحيون من كافة البقاع للحج ، وفى ذلك اورد ما نصه « هى ـ أى كنيسة القيامة ـ المحجوج اليها من جميع بلاد الروم التى فى مشارق الأرض ومغاربها » . عن ذلك :

الادريسى ، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ، تحقيق جابريلى وديلافيلا ، ط نابولى ، جـ٤ ، ص ٣٥٨ .

(٧) Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Cusades, London 1977, P. 1.

وانظر الترجمة الانجليزية للرحلة :

The ITinerary of the Bordeau Pilgrim, Trans. by Stewart, P.P.T.S., Vol. I, London,, 1896.

وأيضا الدراستين الهامتين لكل من مومرت وايبره :

Mommert, «Das Jerusalem des Pilgers Von Bordeaux 333» ZD P.V., T XXIX XXX, 1906 1907, PP. 193 - 195.

E ber h, «Der Teich Betsaida a beim Pilger Von Bordeaux Z.D.P.V., T XXIX—XXX, 1906—1907, P P. 193—195.

وعن الطبعات المتعددة للرحلة والدراسات الهامة التى تناولتها ، انظر :

Tobler, Bibliographia Geographica Palestinae, Leipzig 1867, P. 5.

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1965, P. 33.

(٨) Wilkinson, Op. Cit., P. 3.

(٩) القديس جيروم «St. Jerome», ويسمى أيضا سوفرونيوس يو سابيوس هيرونيموس Sephronius Eusebius Hieronpmus وقد ولد فى ستريدو Strido بدلماشيا Dalmatia حوالى عام ٣٤٢م ، ويعد من أكثر آباء الكنيسة تعليما وثقافة . وقد درس فى روما مدة ثمانية عشر عاما ، وفى عام ٣٧٤م اتجه الى بلاد الشام وعاش بين جموع الرهبان والمتنسكين الى الشرق من انطاكية ، وهناك تعلم اللغة العبرية بفضل مساعدة احد الأحبار اليهود ، وفيما بعد ارتحل الى القسطنطينية حيث اتصل بجريجورى النازيانزى Gregory of Nazianzus ، وقد ساعده على تعلم اللغة اليونانية واتقانها ، وفى عام ٣٨٢م ، ارسل اليه البابا دماسوس يستدعيه الى روما وذلك من اجل القيام بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة اللاتينية ، ويقال ان ذلك العمل استغرق منه عدة سنوات ، وقد انهمك جيروم فى الحياة الديرانية والتنسك ، وكان له تاثير كبير على اتباعه من الرجال والنساء على حد سواء ، كذلك قام بالارتحال الى بيت لحم من اجل التعبد فى تلك الأماكن التى شهدت حياة السيد المسيح ، وقد ادركته منيته هناك بعد صراع طويل مع المرض وذلك فى عام ٤٢٠م ، ويلاحظ انه يتم الاحتفال بعيد ذلك القديس فى يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عنه انظر :

Edcy. Amer, «St Jerome», Vol. XVI, U.S.A., 1985, P. 23—24.

Academic Amer. Encp., «St Jerome», Vol. XI, New Jersp 1981, P. 398.

Ency. Brit., «St. Jerome», Vol. XIII, London 1958, P. 2—3.

Latourette, A History of Christianity, New York 1953, P. 231—233.

ATTwater, Op. Cit., P. 185—186.

اسحق عبيد ، معرفة الماضى ، من هيرودوت الى توينبى ، ط القاهرة ١٩٨١م ، ص ١٤٩ — ص ١٥١ ، من آلارك الى جستنيان ، دراسة فى حوليات العصور المظلمة ، ط القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٥٩ — ١٦١ .

(١٠) Wilkinson, Op. Cit., P. I.

القديسة بولا St Paula ، ولدت فى روما عام ٣٤٧م ، ووفقا لما ذكره القديس جيروم St. Jerome ، فانها تزوجت من السيناتور توكسوتيوس ، وقد توفى ، فتركها ارملة لها خمسة اطفال ، وقد بلغت من العمر حوالى ثلاثة وثلاثين عاما ، وتحت تاثير صديقتها المخلصة القديسة مارسيلا والقديس جيروم اتجهت الى حياة دراسية علمية ، وفى عام ٣٨٥م عقدت العزم على ان تستقر فى بيت لحم بجوار

القديس جيروم،ورافقتها فى ذلك أختها القديسة ايستوكيوم،واتخذت القديسة بولا مركزا مرموقا من بين النساء اللائى احطن ذلك القديس ، وأقامت نزلا للنساء وآخر للرجال، وقد تعلمت اللغة اليونانية من والدها ، كذلك اتجهت نحو دراسة اللغة العبرية ، وقد أفادها ذلك عندما سعت الى دراسة الكتاب المقدس تحت اشراف أستاذها ، ومن المعروف انهـا توفيت فى بيت لحم ، وذلك فى عام ٤٠٤م ، وقـد تقرر أن يكون يوم الاحتفال بعيدها ، يوافق يوم السادس والعشرين من شهر يناير ٠

عن القديسة بولا انظر :

ATTwater. Op. Cit., P. 269—270.

اما القديسة ايستوكيوم St. Eustochium ، فقد ولدت فى روما عام ٣٦٨م، وقـد رافقت القديس جيروم خـلال اقامته فى بيت لحم ، وغدت تلميذة متفوقة من تلميذات ذلك القديس ، وتعلمت اللغة اليونانية كذلك درست اللغة العبرية شأنها فى ذلك شأن أختها بولا ، وقد افادها ذلك ــ بلا ريب ــ فى دراسة الكتاب المقدس ، وعندما توفيت بولا عام ٤٠٤م ، احتلت ايستوكيوم مكانها فى مرافقة الأرامل فى بيت لحم ، وقـد عبر القديس جيروم عن أسفه عليها بقوله « انها كانت امرأة ذات جسد نحيل وروح عظيمة » ، وقد توفيت القديسة ايستوكيوم فى المدينة المذكورة عام ٤١٩م ٠ وتقرر أن يكون يوم الاحتفال بعيدها يوافق يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، ويلاحظ أن هناك أحد الأديرة قـد اقيم على شرف تلك القديسة وحدد البعض موقعه بأنه بين جرش وبيت المقدس عن القديسة ايستوكيوم ، انظر :

ATTwater, Op. Cit., P. 124.

وانظر خطاب بولا وأختها الى صديقتهما مارسيلا Marcella . عن الأماكن المقدسة فى فلسطين ٠ من خلال الترجمة الانجليزية التى قام بها أوبرى ستيورات :

The Letter of Paula and Eustochium to Marcella about The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. I, London 1896.

أيضــا :

Paula et Eustochium, De Locis Sanctis, P.L., T. XXII, 482—492.

وعن طبعات الرحلة انظر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P. 5.

وعن دير ايستوكيوم انظر :

Claude, Conder, Lieut, «Medieval Topography of Palestine», P.E.F., London 1875, P. 93.

(١١) Wilkinson, Op. Cit., P. I.

(١٢) Wilkinson, Op. Cit., P. I.

وعن خطابات القديس جيروم انظر :

The Pilgrimage of The Holy Paula, by St. Jerome, Trans. by Aubrey Stewart, P.P. T.S., Vol. I, London 1896.

وأيضا : Wilkinson, Op. Cit., PP. 47—52.

(١٣) Runciman, The Pilgrimages, P. 69.

(١٤) Runciman, A History of The Crusades, Vol. I, P. 40.

(١٥) القــديس لوقا St. Luke ، من المحتمــل أنه ولــد فى أنطاكيــة Antioch من أصل يونانى ، وقد تحدث عنــه القــديس بولس St. Paul على اعتبار أنه طبيب ، وهو مؤلف الانجيل الذى يحمل اسمه وسفر أعمال الرسل ، ويبدو أنه صاحب القديس بولس فى رحلتيه الثانية والثالثة التبشيريتين وفى رحلتــه الى ايطاليا ، وقــد مات لوقا فى اليونان عام ٧٠م ، ولم يكن قــد تزوج بعــد ، ويقال انه مات شهيدا ، غير أن ذلك موضع شك كبير ، ويلاحظ أن القديس لوقا يعــد بمثابة القديس الحامى للأطباء والجراحين ، وكذلك رسامى اللوحات الفنية ، وهو نفسه كان يعد رساما كبيرا ، وعلى الرغم من ذلك فان اللوحات التى يقال انه رسمها للســيدة العذراء والسيد المسيح عليهما السلام ترجع الى عهد متأخر للغاية وذلك وفق ما يقرره دونالد أتووتر ، وتجــدر الاشــارة الى أن يوم الاحتفال بعيد القديس لوقا ، هــو الثامن عشر من شهر اكتوبر ٠

ATTwater, Op. Cit., P. 223.

على عبد الواحد وافى ، الأسفار المقدسة ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٨٥ ٠

(١٦) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٣ ٠

(١٧) Wilkinson, Op. Cit., P. I

(١٨) انظر نص الخطاب مترجما الى الانجليزية :

The Epitome of St. Eucherius about certain Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P. T.S., Vol. II, London 1890.

وأيضا : Wilkinson, Op. Cit., P.P. 53 -55.
Ruhricht, Op. Cit., P. 7.

(١٩) Wilkinson, Op. Cit., P. 4.

(٢٠) انظر الرحلة مترجمة الى الانجليزية ٠

John Rufus, in Jsrusalem Pilgrims, PP. 57—58.

(٢١) انظر الرحلة :

Theodosius, The Topography of The Holy Land, Trans. by J.H. Bernard, P.P. T.S., Vol. III, London 1893.
Wilkinson, Op. Cit., P.P. 63—71.

(٢٢) انظر رحلته :

Antonius Martyr, The Holy Places visited by Antonius Martyr, Trans. by Stewart, P.P. T.S., Vol. II, London 1896.

(٢٣) Wilkinson, Op. Cit., P.P. 79—89.

(٢٤)
The Breviarius of Jerusalem, in Jerusalem Pilgrims, P.P. 59—61.

(٢٥) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٥

(٢٦) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٧٢ ، حاشية (٧١) .

(٢٧) القديس كولمبان St. Columban ، ولد في لينستر في عام ٥٤٠م ، وقد تحول الى سلك الرهبنة منذ شبابه عندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره ، وتأثر تأثرا كبيرا من جانب الرهبان الأيرلنديين ، وكان في صحبته مجموعة من الرهبان بلغوا سبعة من بينهم القديس جال St. Gall ، وبعد فترة قصيرة اسس ثلاثة مراكز ديرانية في ثلاث مناطق هى انجيراى Annegray ولوكسويل Luxeuil ، وفونتين Fontaine . واوجد نظاما ديرانيا خاصا به ، وتراسل مع البابا جريجورى الأول Gregory I ، وعلى اثر منازعات دينية اجبر القديس كولبان ومجموعة من الرهبان الأيرلنديين على مغادرة وطنهم ، واستطاعوا الوصول الى بريجنز Bregenz على بحيرة كونستانس Constance . ومنها اتخذ القديس طريقه الى الألب Alps ، ثم الى لومبارديا Lombardy ، وقد بلغ حينذاك السبعين من العمر . كذلك دخل فى منازعات اخرى مع خصوم له وارسل فى اعقابها خطابا الى البابا بونيفاس الرابع Boniface IV . وقد امتد تأثير المؤسسات الديرانية التى اقامها ليشمل مناطق عديدة فى فرنسا والمانيا ، وادركته منيته فى بوبيو Bobbio بايطاليا فى عام ٦١٥م ، ويلاحظ ان يوم الاحتفال بذكراه يوافق الثالث والعشرين من شهر نوفمبر . عنه انظر :

ATTwater, Op. Cit., P. 91—92.

Ency. Brit., «Columban», Vol. VI, London 1958, P. 75, Ency. Amer., «Columbanus», Vol. VII, U.S.A., 1985, P. 338.

ستيفن جوين ، « دور أيرلندا فى تاريخ العصور الوسطى » ضمن موسوعة تاريخ العالم ، نشر جون هامرتن جـ٥ ، ط القاهرة ، ص ٢٧ ـ ص ٢٨ .

(٢٨) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢٩) عن رحلته انظر : The Pilgrimage of Arculfus in.

The Holy Land, Trans. by Macpherson, P.P. T.S., Vol. III, London, 1895.

Ruhricht, Op. Cit, P. 12—13. : وانظر دراسة عمران الممتازة عن الرحلة

محمود سعيد عمران ، « اركولف ورحلته الى الشرق » ، ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، تحرير قاسم عبده قاسم ، ورأفت عبد الحميد ، م (٣) ، ط القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣١٨ ـ ص ٣٤٨ .

Runciman, A History of The Crusades, Vol. I, P. 42, The Pilgrimages, P. 71.

عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، تجارية ، ثقافية ، صليبية ، ت . فيليب صابر يوسف ، ط القاهرة ١٩٧٢م . ص ٣٠ .

وعن طبعات رحلة اركولف واهتمام الباحثين بها انظر :

Tobler, Op. Cit., P. 8.

(٣٠) Wilkinson, Op. Cit., P. 9.

(٣١) العنوان الأصلى لرحلة ادومنان هو :
De Locis Sanctis

انظر رحلته مترجمة إلى الانجليزية :
Adomman of Lona, in Jerusalem Pilgrims, PP. 93—116.

ايضا اشارة هامة لدى :
Ency. Brit. «Pilgrimage», Vol. XVII. U.S.A., 1959, P. 937.

(٣٢) انظر رحلته :
Willibald, Hodoeporicon, Trans. by Brownlow, in P.P.T.S. Vol. III, London 1892.

وعن طبعات الرحلة والدراسات حولها انظر :
Tobler, Op. Cit., P. 10.

(٣٣) Wilkinson, Op. Cit., P. 80.
Runciman, The Pilgrimages, P. 72.

(٣٤) انظر ترجمته الى الانجليزية :
Epiphanius The Monk, in Wilkisson, Jerusalem Pilgrims P. 11.

والترجمات والطبعات المتعددة :
Ruhricht, Op. Cit., P. 16—17.

(٣٥) Wilkinson, P. 11.

(٣٦) Annales Regni Francorum, in Loyn and Percival, The Reign of Charlemagne, Documents on Carolingian government and administration. London 1975, P. 42.

Pernoud, The Crusades, Trans. by Mclead, London 1962, P. 15.

(٣٧) ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٣٣ ، العصر العباسى الأول ، او القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، ط القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٦٩ .

(٣٨) ماجد ، العصر العباسى الأول ، ص ٢٧٠ .

(٣٩) Runciman, The Pilgrimages, P. 72, A History of The Crusades, P. 43.

(٤٠) العنوان الأصلي للدليل المذكور هو :
Commemoratorium De Casis Dei Vel monasteriis.

عن طبعات ذلك الدليل انظر :

Ruhricht, Op. Cit., P. 15—16.

وانظر الترجمة الانجليزية .

Commororatorium on The churches of Jerusalem, in Wilkinson, Op. Cit., P. 137—138.

(٤١) Wilkinson, Op. Cit., P. 12.

(٤٢) Wilkinson, Op. Cit., P. 12.

(٤٣) انظر ترجمة الرحلة الى الانجليزية :

Bernard The Wise, The I Tinerary of Bernard The Wise, Trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.

(٤٤) Runciman, The Pilgrimages, P. 72, A History of The Crusades, Vol. I, P. 43.

عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٤٥) Runciman, A History of The Crusades, Vol. I, P. 43.

(٤٦) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٨ — ص ٣٩ .

(٤٧) Runciman, The Pilgrimages, P. 73, A History of The Crusades, Vol. I, P. 63.

(٤٨) Runciman, The Pilgrimages, P. 73.

(٤٩)
Runciman, The Pilgrimages, P. 73, A History of The Crusades, Vol. I, P. 44.
Oman, A History of The Art of War in The Middle Ages, Vol. II, London 1924, P. 237.

(٥٠) Runciman, The Pilgrimages, P. 73.

(٥١) Ibis, P. 73.

(٥٢) Ibid, P. 73.

(٥٣) Ibid, P. 73.

(٥٤) Ibid, P. 74.

وعن سياسة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله تجاه أهل الذمة واضطهاده لهم أنظر :

ابن الأثير ، الكامل ، جـ٧ ، ص٢٤٠ ، ابن حماد ، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامى نقرة وعبد الحليم عويس ، ط٠ القاهرة ١٤٠١هـ ، ص ٩٩ — ص١٠٠ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، ط٠ القاهرة ١٩٧١م ، ص ٩٤ ٠

Vatikiotis, «Al-Hakim Bi-Amrillah : The God-King Idea realised», I.C., Vol. XXIX, No. I, January 1955, P. 6.

ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ط٠ القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٩٩ — ص١٠١ ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٣٤ ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ط٠ القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٦٠ ، ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ، ت٠ حسن حبشى ، ط٠ القاهرة ١٩٦٧م ، ص٥٦ — ص٥٧ ٠ الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة ، ط٠ القاهرة ١٩٦٩م ، ص ١٧٥ ٠

(٥٥) Runciman, The Pilgrimages, P. 74.

(٥٦) Ibid, P. 75.

Tout, The Empire and The Papacy, London 1971, P. 178.

القديس ستيفن الهنغارى St. Stephen of Hungary ، هو ملك هنغاريا ، ولد فى ازيترجوم Esztergom ، وقد تم تعميده عندما كان صبيا مع والده دوق جيزا Geza على يد القديس دالبرت البرجوى Dalbert of Prague ٠ وقد تزوج جيسيلا Gisela ، شقيقة الامبراطور هنرى الثانى Henry II ، وفى عام ٩٩٧م خلف والده فى الدوقية ، وأخضع البلاد للأمن والنظام ، ووطد دعائم سلطته السياسية ، وتسلم التاج الملكى من البابا سلفستر الثانى Silvester II ، وفى عام ١٠٠١م تم تتويجه كأول ملك لهنغاريا Hungary وبذل ستيفن جهده من أجل تحويل شعبه الى المسيحية ، وعمل على تأسيس عدة أديرة ، وقد صادفت سياسته معارضة من جانب العناصر الوثنية ، وقد استخدم العنف حيالها ويمثل القديس ستيفن مكانة رفيعة فى تاريخ هنغاريا ، ومكانته تلك تفوق مكانة عدد من الأبطال والملوك الهنغاريين الآخرين ، وقد شهدت سنوات عمره الأخيرة اصابته بالمرض ، والصراع المشين من جانب أقربائه فى صورة المنازعات المحتدمة على خلافته فى عرش البلاد ، وقد خلف القديس ستيفن ابنا واحدا هو امريك Emeric أو امرى Imre والذى وصف بأنه قديس هو الآخر ، وقد كانت وفاة القديس ستيفن فى بودا Buda فى ١٥ أغسطس عام ١٠٢٨م ، ويتم الاحتفال بعيده فى يوم ٢ سبتمبر ٠ عنه أنظر :

ATTwater, Op. Cit., P. 314.

(٥٧) Runciman, The Pilgrimages, P. 75.

(٥٨) Ibid, P. 75.

(٥٩) Ibid, P. 75.

(٦٠) Beazley, The Dawn of Modern Geographp, A History of expedition and geographical science from the close of the ninth to the middle of the thirteenth century, Vol. II, London 1901, P. 125.

(٦١) Ibid, P. 126.

(٦٢) Ibid, P. 126. note (1).

(٦٣) Ibid, P. 126.

(٦٤) Ibid, P. 126.

(٦٥) Ibid, P. 129.

(٦٦) Ralph Glabor, Historiarum, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims, P. 174.

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ط· الكويت ١٩٩٠م ، ص ٢٢ ، الخلفية الأيديولوجية ، ص ٢١٩ ـ ص ٢٢٠ ، حيث توجد فى الملاحق الترجمة العربية لنص رالف جلابر ·

(٦٧) Beazley, Op. Cit., P. 129.

زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ت· الياس شاهين ، ط· موسكو ١٩٨٦م ، ص ٢٣ ، عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ·

Riant, «Inventaire critique des lettres historique de croisades», A.O.L., T.I., Paris 1881, P. 53—54.

(٦٨) Runciman, Pilgrimages, P. 76, Tout, Op. Cit., P. 178.

(٦٩) زابوروف ، المرجع السابق ، ص ٢٤

(٧٠) Runciman, Op. Cit., P. 76.

(٧١) Beazley, Op. Cit., P. 129.

وعن رحلة الحج الألمانية بالتفصيل انظر :

Joranson, «The Great German Pilgrimage of 1064—1065», The Crusades and other Historical essays, presented to D.C. Munro, New York 1928, P.P. 3—43.

(٧٢) Runciman, Op. Cit., P. 76.

(٧٣) Runciman, Op. Cit., P. 76.

(٧٤) عن نشاط انسز انظر :

ابن القلانس ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط٠ دمشق ١٩٨٣م ، ص ١٧٤ ـ ص ١٧٥ ، شاكر مصطفى « دخول الترك الغز الى الشام » ، المؤتمر الاول لتاريخ بلاد الشام ، ط٠ عمان ١٩٧٧م ، ص ٣٦٢ ـ ص ٣٧٥ ، سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ط٠ دمشق ١٩٨٤م ، ص ١٥٧ ـ ١٦٥ ٠

(٧٥) Thompson, Economic and Social History of the middle ages, Vol., I, London 1959, P. 391.

(٧٦) عن خطاب البابا اوربان الثانى فى مجمع كلير مونت ، انظر :

Robert The Monk, in Peters, The First Crusade, The chronicles of Fulcher of Chartres and other source materials, Philadelphia 1971, P.P. 1—4, Baldric of Dol, PP. 6—10, Guilbert of Nogent, PP. 10—13.

Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennesse 1967, PP. 62—65.

Munro, «The Speech of Pope Urban II at Clermont», A.H.R., Vol. II, 1905, P.P. 231—242.

جوزيف نسيم يوسف ، « الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية » ، مجلة كيلة الآداب ـ جامعة الاسكندرية ، م(١٦) عام ١٩٦٣م ، ص ١٩٨ ـ ص ٢٠٥ ٠

(٧٧) عن فكرة الحرب المقدسة وتطورها انظر :

Brundage, Holy War and The Mediebal Lawyers, in Brundage The Holy

War, Ohio State 1977, PP. 99—139. Cowdrey, The Genisis of The Crusade, in Brundage, The Holy War, Ohio State 1977, PP. 9—32, Saunders, The Crusade as a Holy War, in Brundage, The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964.

ايضـــا :

عمر كمال توفيق ، مقدمات العـــدوان الصـــليبى ، الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ، ط٠ القاهرة ١٩٦٩م ، ص٣ ـ ص ٥ ٠ قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية ، ص ١٤ ـ ص ٢٠ ، محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينيـــة الاسلامية والمسيحية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م ، ص ٣٤٦ ـ ٣٥٣ ٠

الفصل الأول

سـايولف

١١٠٢ ـ ١١٠٣م

ســــايولف
١١٠٢ ـ ١١٠٣م

تمثل رحلة سايولف الى فلسطين[١] ، اهمية خاصة من بين الرحلات المبكرة التى قام بها الرحالة الأوربيون خلال القرن الثـانى عشر م ، لأنهـا جرت خـلال السنوات الأولى من تاريخ الاستقرار الصـليبى فى بلاد الشـام وهى تعطى لنـا صورة هامة عن الصراع الاسلامى الصليبى خلال ذلك العهد المبكر ، وتلقى الضوء على الصعاب التى واجهت بعض الحجاج من اجل الوصول الى الأماكن المقدسـة لدى جموع المسيحيين ، وفضـلا عن ذلك احتوت الرحلة على تنـاول هام لمظـاهر التدمير والتخريب اللذين حلا بالعديد من المدن فى فلسطين على نحو خاص ٠

والواقع اننا لا نعرف شيئا مفصلا عن سايولف نفسه ولكن من خلال رحلته امكن للباحثين معرفة بعض الحقائق الهـامة عن صاحبهـا ، وكذلك عن المرحلة الزمنية التى اسغرقتها الرحلة وتوقيتها بصورة أكثر تحديدا ٠

وسايولف من انجلترا ، ويرى دى فيزاك ـ وهو مترجم الرحلة الى الفرنسية ـ أن سايولف هو لقب اطلق على صاحب هذه الرحلة ، نظرا لكثرة ترحاله واسفاره ، وهو يشبه تعبير « كلب البحر » [٢] ، مع ملاحظة أن كلمة Wulf شائعة كتعبير للأسـماء الانجليزية ، أما كونه من رجال الكنيسة أو من العلمانيين ، فهـذه ناحية ليس من اليسير استجلاء معالمها ، ولكن بصفة عامة تغلب عليه العاطفة الدينية بصورة واضحة[٣] ٠

أما بالنسبة لقضية توقيت الرحلة ، فنجد أن سايولف يذكر أمر الملك بلدوين الأول Baldwin I ورايموند كونت تولوز Raymond count of Toulouse ، واوردهما معا فى خلال ترحاله فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية ٠ وهذا جعل البعض يرى أن رحلته جرت فى الأعوام الأولى من القرن الثانى عشر م ، لأن بلدوين الأول توج ملكا على المملكة فى عام ١١٠٠م ، وتوفى رايموند فى عام ١١٠٥م[٤] ٠ ومن جهة اخرى فان ذلك الرحالة يذكر بعض المواقع على ساحل الشام لا تزال فى أيدى المسلمين ، ولكن وجدت بعض المواقع التى سقطت فى قبضـة الصليبيين مثـل طرطوس Tortoso التى استولى عليها رايموند فى مارس عام ١١٠٢م ، أما عكا Acrarom ، فكانت خاضعة للسيادة الاسلامية ، ولم يستول عليها الصليبيون الا عام ١١٠٤م ، ومعنى ذلك أن سايولف قام برحلته فى أوائل القرن الثانى عشر م قبل عام ١١٠٤م ومن المحتمل انه قام بها بين عامى ١١٠٢ ، ١١٠٣م تقريبا[٥] ٠

ويلاحظ أن سايولف ذكر رفى رحلته انه صادف عاصفة عنيفة ـ وهو فى طريقه الى فلسطين ـ استمرت سبع ليال ، عند جزيرة قبرص Cyprus ' (٦) ، كذلك واجه أخرى بالغة العنف عند جزيرة كافالانيا Caphalania ، وأدت الى اغراق عدد من أصحابه الذين رافقوه على متن السفينة التى أقلته على نحو سبب له حزنا وأسفا كبيرين(٧) .

وهكذا ، فان رحلته توضح لنا المخاطر التى عانى منها أولئك الرحالة الذين قدموا الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ، ويبدو أن العواصف التى هددت سفن الحجاج الأوربيين فى عرض البحر كان لها ما يمكن وصفه بالنصيب الأوفر من الخطر الذى أحدق بهم ، وذلك فى عصر افتقد وسائل الاتصال الحديثة بين السفن المبحرة فى عرض البحر ، ولا نغفل نوعا آخر من المخاطر التى أحدقت بهم ونفى بها الهجمات التى كان يشنها المسلمون ضدهم لادراكهم أنهم جزء لا يتجزأ من الصليبيين الغزاه القادمين الى المنطقة ، وأنهم يناصبون المسلمين العداء بصفة عامة ، .

وجدير بالقول ، ان أولئك الرحالة حرصوا ما وسعهم الحرص على ايراد ما لا قوة من صعاب فى طريقهم الى أن وصلوا الى تلك البقاع المقدسة ، وذلك من أجل أن يوصحوا لمعاصريهم ـ واللاحقين من بعدهم ـ مدى ايمانهم وورعهم وتقواهم التى دفعتهم الى مواجهة كافة تلك الصور من المشقة والهلاك من أجل زيارة الأماكن المرتبطة بذكريات المسيحية المبكرة ، ومن المحتمل انهم أحيانا لجئوا الى المبالغة فى تصوير تلك الصعاب ليظهروا أمام الآخرين فى صورة بطولية .

ومن الجوانب الهامة التى تحويها رحلة سايوف ، ما ذكره بشأن المقاومة الاسلامية ضد الحجاج المسيحيين القادمين من أوربا ، ويتسم وصفه فى هذا المجال بالحيوية والتفصيل على نحو فاق ما ذكره رحالة آخر زار المنطقة فى وقت مقارب ونعنى به دانيال الروسى Abbot Daniel (١١٠٦ ـ ١١٠٧ م) وجاء وصفه من خلال تناوله للطريق الممتد من يافا (Joppa) الى بيت المقدس Jerusalem اذ قطعه خلال رحلة امتدت يومين ، ويصفه بأنه طريق جبلى وصخرى خطر للغاية(٨) ، ومكمن الخطورة لدى ذلك الرحالة أن العرب يكمنون فى كهوف الجبال ، وذلك من أجل مراقبة الطريق نهارا وليلا بغرض اهتبال الفرصة المناسبة لمهاجمة أولئك الذين يكونون قليلى العدد ، ولا تتوافر لديهم حماية كافية (٩) ، ويقرر انه فى خلال لحظات فانهم يظهرون وينتشرون فى كل مكان ، وفى الحال يختفون من فورهم(١٠) ، ويبدو انه خص بذلك عناصر البدو التى سكنت تلك المنطقة والذين من المرجح انهم قاموا بذلك الدور .

ويبدو من خلال هذا الوصف الذى يقدمه ذلك الرحالة ، أن المسلمين قاموا

بما يشبه حرب العصابات ضد الصليبيين القادمين من الغرب الأوربى ، وقد اعتمدت تلك المصادمات بين الجانبين على أسلوب الكر والفر والمباغتة وتحقيق اكبر قدر من الخسائر فى صفوف الصليبيين · ثم الرجوع الى مواقعهم الحصنة فى الجبال ، دون أن يكونوا قد خسروا الكثير من رجالهم ، ويبدو أن المسلمين فى فلسطين حينذاك قد أدركوا أن المعارك بين الجيوش النظامية الاسلامية والصليبية قد أدت الى الحاق الهزائم بهم على نحو أدى بدوره الى نجاح الصليبيين فى تحقيق أهدافهم واحتلال أجزاء هامة وحيوية من بلاد الشام والجزيرة ، ومن ثم فان الحل المنطقى فى نظرهم فى شن هجمات سريعة تلحق الأضرار وتستهلك طاقاتهم وتحرمهم من الدعم البشرى القادم من أوربا وتجعل أمر استقرارهم فى المنطقة باهظ التكاليف ·

ومن الواضح أن جهود المسلمين فى هذا المجال كان لها أثرها خاصة فى الطرق التى سلكها أولئك الحجاج من الساحل الفلسطينى الى بيت المقدس ، ويقرر نفس الرحالة ، أن أى أمرىء يقوم بمثل تلك الرحلة بمقدوره أن يرى ذلك ، ويا له من عدد كبير من الأجساد البشرية ملقاه « سواء فى الطريق أو على جانبه ـ ملقاة للوحوش الضارية[11] » ، وقد استلفت نظر سايولف ناحية هامة ، وهى أن القتلى من الصليبيين يتركون فى العراء دون أن يدفنوا ، وفى ذلك يذكر أنه ربما أخذت الدهشة البعض لرؤية ذلك الموقف ، اذ لماذا يرقد المسيحيون فى ذلك المكان دون أن يقبروا أو يوضعوا فى قبور خاصة بهم ، ويجيب بنفسه بقوله « ان الأرض نفسها غير صالحة لذلك ، لكونها ذات طبيعة صخرية وعرة ولا تصلح لأعمال الدفن ، ثم من الخطر أن يقوم المرء بحفر قبر لغيره ، لأنه فى تلك المنطقة الخطرة ، من الممكن أن يصنع قبرا لنفسه ، لا لصديقه ان هو فعل ذلك[12] » ·

وهكذا ، فان تلك الرحلة تكشف لنا أن عنف المقاومة الاسلامية فى ذلك الطريق بلغت حدا دفعت الصليبيين الى تجنب دفن قتلاهم خوفا من أن يغتنم المسلمون الفرصة ويفتكون بهم · وهذا الوصف البارع الذى يفيض حيوية وتفصيلا يفيدنا فى ادراك حجم المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين خلال تلك المرحلة المبكرة من وجودهم فى فلسطين ويلاحظ أننا لا نجد ذكرا واضحا لحجم تلك المقاومة فى داخل فلسطين ضد الغزاة من خلال المصادر العربية المعاصرة ، فابن القلانسى الذى عاصر مقدم الحملة الصليبية الأولى جعل جل اهتمامه دمشق ولم يعط نفس القدر لأحداث تتعلق بحركة المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين فى تلك المنطقة التى اشار اليها ذلك الرحالة ·

وينبغى الا نتصور تلك المقاومة الاسلامية بمعزل عن حركة الجهاد ضد الصليبيين سواء فى الجزيرة أو فى بلاد الشام ، وفى نفس ما أورده سايولف ما يوضح أبعاد اتهام تلك الأنشطة التى قام بها المسلمون ضد الحجاج المسيحيين بأنها من قبيل أعمال القرصنة والسلب والنهب ، اذ أن نفس ذلك الرحالة يقرر ما نصه « يحدق الخطر فى هذا الطريق ليس فقط بالفقير والضعيف بل أيضا بالثرى والقوى

والكثيرين يقتلون على أيدى العرب »(١٣) ، ومن الواضح أن الاقدام على قتل الفقراء يدل دلالة واضحة على أن قاتليهم لم يهدفوا الى سلب أموالهم وأمتعتهم ، ولكن الرغبة فى مقاومة موجة الغزو الصليبى للمنطقة ، وبالتالى فان من الانصاف أن نقرر أن حركتهم اتسمت بطابع الجهاد ولا تتصف بطابع القرصنة واللصوصية ٠

وتوجد ناحية هامة تثيرها رحلة سايولف وتتصـل بالأوضـاع العمرانية فى فلسطين خلال تلك المرحلة المبكرة من عهد الوجود الصليبى بها ، فذلك الرحالة يكيل الاتهامات للمسلمين بأنهم هم الذين خربوا العديد من المدن الفلسطينية ، والأمثلة التى أوردها فى رحلته متعددة ، منها ما ذكره عن مدينة بيت لحم ، اذ يذكر أنه لا يوجد شىء قد ترك قابلا للسكن من جانب العرب ، بل تم سلب كل شىء ونهبه وذلك كمـا هو شأن كل الأماكن المقدسة الأخرى خارج أسوار مدينة القدس(١٤) ، وأيضا فانه عندما يذكر مدينـة الخليل يشير الى أنهـا وقت رحلتـه نهبت وخربت على أيدى العرب(١٥) ، وفضلا عن ذلك أشار الى أنهم خربوا مدينة الناصرة بصورة كاملة(١٦) ٠

والواقع أننا لا نجد دليلا واضحا يؤكد حدوث ذلك الخراب بالمدن المذكورة ، أو ارجاع ما حل بها من صنوف الدمار ، على عاتق المسلمين ، ومن الممكن تصور أن مثل ذلك الخراب ــ ان وجـد ــ كان بمثابة نتيجة طبيعيـة للصراع الحربى الاسلامى ــ الصليبى وليس من المنطق تحميل المسلمين مسئولية تخريب تلك المدن بالصـورة التى يذكرها ذلك الرحالة ، وهناك اشـارة هامة أوردها العظيمى فى تاريخه تفيد بأن الصليبيين عملوا على تعمين مدن الساحل(١٧) ــ التعمير هنا يقصد به اقامة القلاع والحصون وليس المعنى الحديث ــ ومن الطبيعى أن المدن الساحلية نالها قسطا من الخراب بسبب العمليات الحربية والمقاومة الاسلامية لموجة الغـزو الصليبى ، أما المدن الداخلية التى أشار اليها سايولف فاننا لا نجد ما يدعم اتهامه للمسلمين بأنهم يتحملون مسئولية ذلك ٠

وهكذا ، فيبدو أن مرجع تلك الاشارات التى وردت فى تلك الرحلة الى طبيعة المرحلة التاريخية ذاتها والتى حوت قدرا كبيرا من التعصب من جانب الصليبيين على نحو خاص ضد كل ما هو غير مسيحى ٠ وللتدليل على ذلك الاتجاه التعصبى ما نلمسه خلال رحلة سايولف نفسه اذ يشير الى بلاد العرب Arabia بقوله « وعلى الجانب الآخر من الأردن توجد بلاد العرب ، وهى التى تناصب المسيحيين عداء شـديدا ، ولا تصادق كل الذين يؤمنون بالله(١٨) » ولا مراء فى أن عقلية بمثل هذه الصورة فى عصر تلك كانت طبيعته ، وليس من المستبعد أن تقدم لنا اشارات بمثل تلك الصورة ، ويعلق البعض على اتجاه سايولف بقوله أنه « شديد النقمة على العرب ، فلا يعثر على مكان مخرب أو متهدم حتى يسرع يتهمهم بذلك »(١٩) ٠

ومن الجوانب الهامة التى تشير اليها رحلة سايولف ، ما يتصل بطرق الحج التى سلكها الحجاج المسيحيون القادمون من أوربا ، فبالاضافة الى الطريق المعتاد

من يافا Joppa الى بيت المقدس Jerusalem والذى أشار اليه ذلك الرحالة(٢٠)، هناك أيضا اشارة هامة يستفاد منها أن الطريق الآخر وقع فيما بين الناصرة ومدينة كنا الجليلية Cana of Galilee (٢١) وعند منتصف الطريق ، وقعت قرية تسمى قرية روما Romo ، وعندها يوجد مكان للضيافة يتخذه الحجاج القادمون من عكا الى طبرية ، وقد شجع على ذلك ، ما امتاز به موقع ذلك النزل اذ أن الناصرة وقعت على الجهة اليمنى ، بينما وقعت الجليل فى الجهة اليسرى(٢٢) .

وتفيد الاشارة السابقة فى توضيح ناحية هامة ، وهى أن الوصول الى الأماكن المسيحية المقدسة كان يتم من خلال عدة طرق من أجل توفير انسياب حركة الحجاج وتدفقهم على أراضى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ولا شك فى أن المنطقة فيما بين الناصرة وكنا الجليلية ازدهرت فيها الأنشطة التجارية من خلال تركز الحجاج فيها ، ومن اليسير توقع تزايد حركة الخدمات المقدمة لأولئك القادمين الى الأماكن المقدسة ، ومن المرجح أنه فى خلال ذلك العصر أدى تدفق الحجاج المسيحيين الى ازدهار بعض المدن والقرى الواقعة على طرق الحج ، ويبدو أن ذلك كان من أثره زيادة عمرانها وتوسعها بصفة عامة .

ومن جهة أخرى ، يحتل الساحل الشامى أهمية لدى سايولف ، ومن الملاحظ أن الاستيلاء على الساحل مثل بالنسبة للصليبيين قضية بالغة الحيوية(٢٣) ، اذ كان معناه بالنسبة لهم استمرار الدعم المادى والمعنوى من جانب الغرب الأوربى وتدعيم وجودهم فى بلاد الشام بالسيطرة على المدن الساحلية التى تضع فى قبضتها فعالية حركة التجارة من صادرات وواردات وما يستتبع ذلك من الحصول على الأموال الطائلة من عوائد المكوس المفروضة على حركة التجارة بكافة صورها وأشكالها .

وعند مقدم ذلك الرحالة الى المنطقة وقيامه بالترحال فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية فى المدة من ١١٠٢ الى ١١٠٣م ، لم يكن الصليبيون قد استولوا بعد على كامل الساحل الشامى الممتد من الاسكندرونة شمالا حتى غزة جنوبا ، بل أنه حتى ذلك الوقت ، وجدت بعض المراكز الخاضعة للسيادة الاسلامية ، ومن أمثلتها صور Tyre والتى سقطت فى أيديهم عام ١١٢٤م ، وعسقلان Ascalon التى سقطت فى عام ١١٥٣م ، فى عهد الملك الصليبى بلدوين الثالث . وقد أدرك سايولف تلك الناحية وقد ذكر « اننا مررنا على طول المدن الواقعة على الساحل والذى استولى الفرنج على بعضه . ولا يزال بعضه الآخر فى قبضة العرب »(٢٤) .

ويقدم لنا اشارات عن المدن الساحلية وأسمائها فى بداية الحكم الصليبى ، ومن أمثلتها أرسوف Atsuph كما هو الشائع وتسمى أزوتس Azotus فى اللاتينية ، وقيصرية فلسطين Caesarea Palestina (٢٥) وحيفا Cayphas وهذه المدن يسيطر عليها الملك بلدوين (أى بلدوين الأول ١١٠٠ ـ ١١١٨م) ومن بعد

ذلك تأتى مدينة عكا Acras ويذكر عنها انها بالغة القوة وتسمى أكارون Accaron (٢٦) ، ومن بعد ذلك صور Tyre وصيدا Sidon ، وجبلة Jubelet (١٧) وبيروت Baruth ، وكذلك طرطوس Tartusa ، ويشير الرحالة الى أن من يسيطر عليها هو الدوق رايموند Raymond – ويعنى بذلك رايموند الصنجيلى – ثم هناك طرابلس Tripolis واللاذقية Latacia ، وجبيل Gibel (٢٨) ٠

ومن الملاحظ هنا ، ان سايولف عندما يذكر المدن الساحلية السابقة لا يوردها وفق ترتيب موقعها الجغرافى ، ولكن يذكرها بصورة مختلطة مما عكس عدم دقته فى هذه الناحية ، ومن جهة أخرى ، فنظرا لأن السفينة التى اقلته مرت على الساحل الشامى فقط ولم ينزل الى تلك المدن ، فقد جاءت اشاراته عنها مقتضبة ولا تحوى ما يفيد بشأن أوضاعها الاقتصادية ولا سيما التجارية ٠

ومن الجوانب الأخرى التى تميزت بها رحلة سايولف اشارته الى أمر الصراع البحرى بين الفاطميين من ناحية والصليبيين من ناحية أخرى ، وذلك من خلال محاولات الفاطميين دعم دفاعات المدن الساحلية فى بلاد الشام التى كانت تابعة لهم والتى لم تكن قد سقطت بعد فى قبضة أعدائهم الصليبيين ، وفى هذا المجلل يعد ذلك الرحالة شاهد عيان معاصر لمناوشات حربية وقعت بين الطرفين وشهدتها أمواج شرق البحر المتوسط فى مقابل الساحل الشامى ، اذ انه يذكر انه بينما كانت السفينة التى تقله تمر فيما بين حيفا وعكا ، ظهرت ست وعشرون سفينة من سفن العرب (يقصد الفاطميين بالطبع) وكانت تابعة لقائد صور وصيدا ، من أجل شن الحرب ضد ملك بيت المقدس(٢٩) وقد كادت تجرى معركة بين السفينة التى تقل سايولف والسفن الفاطمية ، ويشير الى أن سفينته احتوت على رجال مسلحين من أجل الدفاع عنها من هجمات الأعداء ، وانهم كانوا على أهبة الاستعداد للموت من أجل عقيدتهم ، ويذكر أن عددهم بلغ المائتين(٣٠) ، مما يعكس من ناحية أخرى ، ضخامة تلك السفن التى تقل مثل تلك الأعداد الكبيرة من الحجاج ، ومن يدافع عنهم ، كما أن ذلك يوضح أن السفن التى اقلت الحجاج احتوت على عناصر حربية تقوم بالدفاع عنها ضد هجمات المسلمين فى عرض البحر ، وقد ذكر سايولف ، أن قائد أسطول المسلمين طلب من أحد أتباعه أن يقوم بالصعود الى سارية السفينة من أجل أن يتبين ما يفعله الصليبيون ، وعندما علم بامكاناتهم الحربية ، لاذ بالفرار(٣١) ٠

ويعلق ذلك الرحالة على الموقف قائلا « ان العناية الالهية انقذتهم من الوقوع فى قبضة الأعداء »(٣٢) كما أشار الى أن الصليبيين فى يافا قد استولوا – فيما بعد – على ثلاث سفن من تلك السفن الفاطمية ، وانهم أثروا من جراء المغانم والأسلاب الكبيرة(٣٣) ٠

واذا نحينا جانبا الجانب السياسى والحربى ، فاننا نجد أن رحلة سابولف احتوت على تناول هام للكناس والأديرة التى ازدخرت بها مملكة بيت المقدس الصليبية ، ومثل هذا الاتجاه سنجده بصورة واضحة فى مؤلفات كافة الرحالة الأوربيين حتى أولئك الذين زاروا المنطقة فيما بعد رحلة سايولف ، خاصة العناصر المسيحية منهم .

مهما يكن من امر ، فان سايولف أورد عددا من تلك المؤسسات والعمائر الدينية ، ومن أمثلتها كنيسة الضريح المقدس ، وهى تسمى أيضا كنيسة الشهيد Martyrium ، وتعد البقعة الأولى التى يراها الزائر ليس فقط بسبب اتجاهات الشوارع ، بل بسبب أنها أكثر الكنائس المزدانة المحتفل بها ، ويلاحظ أنها شيدت على يد رئيس الأساقفة ماكسيموس Maximus The Archishop ، وذلك بمساعدة الامبراطور قسطنطين Constantine • وامه هيلينا Helena (٣٤) ، وقد ذكر ذلك الرحالة أن القبر المقدس ـ كما يتصور المسيحيون ـ يوجد فى وسط تلك الكنيسة وهو محاط بحائط بالغ المنعة والحصانة ، ومغطى خشبية من هطول الأمطار عليه على نحو يلحق به الضرر(٣٥) اذا أن الكنيسة شيدت دون أن يكون لها سطح يقيها شر ذلك • ثم أنه ذكر أمر المكان الذى عثر فيه على الصليب المقدس Holy Cross ـ وفق اعتقادات المسيحيين ـ وكذلك الصلبان الأخرى ، حيث تم بناء كنيسة فيما بعد على شرف الملكة هيلينا(٣٦) ولكنها دمرت على ايدى الوثنيين • ويقصد بهم خسرويز والفرس وذلك عام ٦١٤م(٣٧) •

وبالاضافة الى ذلك ، اشار الى كنيسة القديسة مريم Sancta Maria (٣٨)، وكذلك كنيسة القدسة آن ام القديسة مريم St. Anne (٣٩) ، وأيضا كنيسة الروح المقدسة Holy Ghost (٤٠). •

وفضلا عن ذلك ، هناك كنيسة اخرى الا وهى كنيسة القديسة مريم ، وتسمى بارفا Parva (٤١) ، حيث يوجد عدد من الراهبات اللائى يخدمنها هى وابنها على نحو كامل من التفانى والاخلاص ، وفضلا عن تلك الكنيسة ، هناك واحدة مخصصة لشرف القديس لازاروس(٤٢) •

وتجدر الاشارة الى أن أهمية ما ذكره سايولف بشأن تلك الكنائس انها تمثل أول وصف لها من جانب رحالة زار فلسطين بعد نجاح الصليبيين فى اقامة مملكة بيت المقدس ، ويقرر أحد الباحثين أن أهم ما احتوته رحلة ذلك الرحالة هو وصفه لكنيسة الضريح المقدس قبل أن يمسها الصليبيون باصلاح أو اضافة(٤٣) مع ملاحظة أن تلك الكنيسة بالذات ستحظى باهتمام كبير من كافة الرحالة المسيحيين الذين سيزورون المنطقة • ولم تقف اهتمامات سايولف الدينية عند حد ايراد عدد كبير من الكنائس فقط ، بل انه اتجه الى تناول الأديرة أيضا ، وفى هذا المجال ذكر عدة أديرة فى مملكة بيت المقدس ، ومن أمثلتها دير القديس سابا(٤٤) Monastry of St. Sabas

وقد ذكر عنــه أنه بالغ الجمال والاتساع وأن هنــاك أكثر من ثلاثمائة من الرهبان اليونانين • يعيشون ضمن جماعة ديرانية تخدم الرب والقديس(٤٥) ، كذلك اشار الى وجود دير آخر مكرس لنفس القديس • ويلاحظ أن دير القديس ساباس حظى باهتمام عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المملكة مما عكس مدى أهميته ومكانته بين الاديرة التي خضعت لسيادة الصليبيين ، وهناك ايضا ذلك الدير الخاص بالقديسة مريم Monastry of The Blessed Virgin Mary وقد وصــفه بالعظمة والثراء •

ولا يغفل ذلك الرحالة الاشارة الى الأديرة الثلاثة التي شيدت على قمة جبل تابور(٤٦) ، أحدها اقيم لشرف الســيد المسيح ، والثــانى لشرف موسى ، والثــالث الذى يعد عنهما أقيم لشرف ايلياس Elias (٤٧) ، عليهم الســلام ، ويلاحظ أنه من الآن فصاعدا سترد فى مؤلفات الرحالة الاوربيين اشارات عن تلك الأديرة •

والواقع أن تناول ساتولف للأديرة التي وجدها فى انحاء مملكة بيت المقــدس الصليبية خلال رحلته ، يستدعى بالضرورة تناول سياسة المملكة تجاه تلك الأديرة حينذاك ، ويلاحظ أن المملكة الصليبية خلال عهد بلدوين الأول واجهت بعض المصاعب المــالية ، اذ أن خطط ذلك الملك الدفاعية والتوسعية احتاجت دعما ماليا كبيرا من أجل تمويلها ، والملاحظ أن أكثرية مرافق البلاد صار رهن احتكارات القوى التجارية الايطالية ، كذلك فان الموارد الاقطاعية فى ذلك الحين لم تكن ــ على ما يبدو ــ لتكفى من أجل دعم الجهاز الحربى ، ثم أن الثروات التي أمكن الحصول عليها من الغنائم والأسلاب التي وجدت من جراء الاستيلاء على المدن الاســلامية لم يكن من الممكن الاعتماد عليها ، ومن جهة أخرى ، كانت الرسوم المــالية المفروضــة على الحجاج والقوافل التجارية ، عرضة للتغير وفق مقتضيات الأحوال(٤٨) •

ولا مراء فى أن تلك الأزمة المــالية والتي اتضحت معالمها قد جعلت الملك الصليبى يسعى ما وسعه السعى من أجل الحصول على موارد اضافية لخزانة المملكة • واتجه الى الأديرة بفضل ما عرف عنها من ثراء عريض ومن امثلتها دير صهيون ، الذى بلغ من الثراء حدا جعله أحيانا يمتلك حيا بأكمله فى مدينة بيت المقدس نفسها ، وذلك مع تمتعه بحق فتح بوابة فى الأسوار المحيطة بالمدينة ، وامتلك ممتلكات وأراضى ، وبساتين وأســواق فى عسقلان ، ويافا ، ونابلس ، وقيسارية ، وعكا ، وصــور ، وانطاكية ، وكيليكيا ، وبلغ الأمر الى حد أن صارت له أملاكه فى صقلية ، وايطاليا ، وفرنسا من جراء تبرعات عناصر الحجاج(٤٩) •

وهكذا عمل بلدوين الأول على الحصول على بعض الهبات التي قدمت الى تلك الأديرة ، ويقال انه فى عام ١١٠١م ، طلب من بطريرك بيت المقدس أن يتنازل للخزانة عن قسم من الايرادات التي كانت تصل الى البطريركية ، من أجل دعم ميزانية المملكة الصليبية الوليدة(٥٠) •

ومع ذلك ، فمن الملاحظ أن ذلك الملك الصليبى كان على ادراك بضرورة الاهتمام بالأديرة ورعايتها وتشجيع رجال الدين والرهبان على الاستقرار فى ربوع المملكة لدعم الكثافة السكانية بها وذلك دون أن يتعرضوا لضغوط قوية ومستمرة من جانبه ، ونجد أنه فيما بعد ، بعد أن تحسنت الأوضاع المالية للمملكة ، قام بتقديم بعض الهبات لأحد الأديرة وهو دير Notre Dame ،فى وادى يوشفات Josaphat الذى اشتهر بالثراء العريض وذلك فى عام ١١٠٨م(٥١) ، وقد استمرت تلك السياسية فى عهد خلفه بلدوين الثانى الذى أصدر مرسوما أكد فيه الهبات التى حصل عليها ذلك الدير فى عهد سلفه(٥٢) ٠

وبالاضافة الى كافة الجوانب السابقة التى احتوتها رحلة سايولف ، نجد أنها تناولت ناحية هامة تتعلق بالبدايات المبكرة لهيئة الاسبتارية ، وهى التى عرفت فى المصادر اللاتينية باسم :

Ordo Equitum Hospitaliorum Sancti Johannis Hierosolymitani (٥٣) ٠

اذ أنه بعد أن ذكر كنيسة القديسة مريم Sancta Maria ، والتى تسمى أحيانا بارفا Parva ، أشار الى أنه بالقرب منها تقع مستشفى مخصصة لشرف القديس يوحنا المعمدان John the paptist (٥٤) ، وهذه الاشارة تعد تقريبا الأولى من نوعها فى مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين زاروا فلسطين ، تحت حكم الصليبيين فى خلال تلك المرحلة المبكرة للمستشفى التى أسسها الأمالفيون أهل مدينة أمالفى Amalfi (٥٥) الايطالية ، والتى كانت نواة هيئة الاسبتارية ٠

ومن المتفق عليه أن الهيئة اعتمدت على القديس يوحنا المتصدق(٥٦) John The Almsgiver وجعلته القديس الحامى لها ، ثم استبدلته فيما بعد بالقديس يوحنا المعمدان John The Paptist وهو الذى كان يتمتع بشهرة أعرض من شهرة يوحنا المتصدق ٠

وينبغى أن نقرر أن فكرة انشاء المستشفيات قديمة ولم تكن وليدة تلك المرحلة التى زار فيها سايولف مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد أقيمت فى أوستريا وكذلك فى ايطاليا عدة مستشفيات(٥٧) ، وحرص الأباطرة البيزنطيون على اقامة العديد منها فى القسطنطينية(٥٨) وغيرها من مدن الامبراطورية البيزنطية ، كذلك مما يذكر فى هذا المجال أن المسلمين شيدوا العديد منها وهى التى عرفت لديهم باسم البيمارستانات(٥٩) فى بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من الحواضر الاسلامية وبلغت درجة رفيعة المستوى من الخدمات الطبية ٠

وهكذا احتوت رحلة سايولف على تناول العديد من الجوانب الهامة على المستويات

السياسية والحربية والدينية وعلى الرغم من ذلك يمكن أن يوجه اليه بعض النقد ، حيث انه افتقد تقديم الأسانيد المبرهنة على صـواب أقواله فى بعض المواضـع مثل اتهامه للمسلمين بأنهم يتحملون مسئولية التخريب الذى حل بعدد من مدن فلسطين وهناك أيضا الناحية التعصبية التى تتضح من خلال اشارته لبلاد العرب وأن سكانها على عداء مع كل المؤمنين بالله ، ومع ذلك فيلاحظ أنه لم يعبر صراحة عن المسلمين بتعبير الكفار Infidels وانما بتعبير Saracens ، وبذلك اختلف عن غيره من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة فى مرحلة تاليـة لرحلتـه ، واستعملوا تعبير الكفـار ليطلقوه على المسـلمن ، ومن أمثلتهم ثيودريش Theoderich وهو الذى سنخصص له فصلا مستقلا فيما بعـد ٠

والجدير بالذكر هنا ، أن سايولف أغفل بعض الحقائق التاريخية ، ومن أمثلتها مسئوبية الصليبيين عن مذبحة بيت المقدس الرهيبة التى جرت ١٥ يوليو ١٠٩٩م(٦٠) ، واستمرت عدة أيام من بعد ذلك التاريخ ، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين، واعترفت بها المصـادر التاريخيـة الصليبية المعـاصرة بل ان المؤرخين الصليبيين المتأخرين عنها ، مثل وليم الصـورى William of Tyre لم يستطع اغفالها وذكرها فى تاريخه(٦٧) ، وقد أغفل سايولف الاشارة اليها على الرغم من أنه زار بيت المقـدس بعـد عامين فقط من أحـداث المذبحة المروعة ، واكتفى بأن كال الاتهامات للمسلمين بصورة جزافية ، وقد يقول قائل ان من المفروض أن نتناول ما ورد فعـلا فى الرحلة ، لا أن نحاسب الرحالة على ما لم يذكره ، ولكن فى حالة سايولف هذه من الممكن التصور أنه تعمد اغفال ذلك الحدث الهام ، الذى لا نشـك لحظـة فى أنه استمر تردده الألسن بعد وقوعه بعامين فقط ٠ ومن المرجح أن ذلك الرحالة عمد الى اغفال تلك الناحية ، من خلال منطلق تعصبى ، وحتى لا يلصق ببنى جلدته ، أية شوائب أو نقائص تعرضى بهم ٠

مجمل القول أن رحلة سايولف احتوت على تناول العديد من الجوانب السياسية والحربية والكنسية المتصلة بمملكة بيت المقدس الصليبية فى سنوات عمرها الأولى على نحو أفاد فى دراسة تاريخها ٠

الهوامش :

(١) اعتمدت فى اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة سايولف
والعنوان الأصلى للرحلة هو : Saewulfi ad Peregrinatione Saewuli...
Hierosolyman et Terrae Sanctam

وهنــاك ترجمــة للرحلة الى الفرنسية قام بهــا م· دى فيزاك D'Avezac
ضمن مجموعة الرحلات والمذكرات التى صدرت من جانب الجمعية الجغرافية ، المجلد الرابع ، باريس عام ١٨٣٩م ، على مدى الصفحات من ٨١٧ الى ٨٥٤ ، عن ذلك :

D'Avezac, «Relation des voyagues de Saewulf à Jerusalem et en Terre Sainte», Recueil de Voyagues et de mémoires publié par la société de géographie, T. IV, Paris 1839. P.P. 817—954.

كذلك قام توماس رايت Thomas Wright بترجمة الرحلة الى الانجليزية، وضمنها كتابه الرحلات المبكرة فى فلسطين الصادر فى لندن عام ١٨٤٨م على مدى الصفحات من ٣١ الى ٥٠ عن ذلك انظر :

Thomas Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, P.P. 31—50.

أيضا :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die Geographie der Heigen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, P. 29.

وهناك ترجمة الى الانجليزية قام بها Bishop of Lifton فى مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الرابع وصدرت فى لندن عام ١٨٩٦م ، وهى التى اعتمدت عليها بصورة أساسية فى اعداد الفصل ·

عن ذلك انظر :

Saewulf, Pilgrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. IV, London 1896.

(٢) Ibid, P. VII

(٣) Ibid, P. VII

(٤) Ibid, P. VI.

وقد ذكر مترجم الرحالة أن رايموند الصنجيلى قـد توفى عام ١١٠٨م ، كذلك اعتقد فيليب حتى أن ذلك الأمير الصليبى توفى حوالى عام ١١٠٠م ، على الرغم من ذكره انه قام بتشييد قلعة أمام طرابلس عام ١١٠٣ م ، وفى موضع آخـــر ، قـــرر أن طرابلس نفسها لم تسقط حتى عام ١١٠٤ م ، أى بعد مضى أربع ســنوات على وفاة رايموند ، مع ملاحظــة خطأ ذلك التحــديد على اعتبار أن طرابس ســقطت عام ١١٠٩ م بعد حصار دام زهاء سبع ســنوات ، اما ســالم فقــد ذكر فى دراســته الهامة عن طرابلس الشــام أن رايموند توفى فى ٢٨ مارس عام ١١٠٥م وذلك فى

ص ٩٦ ، غير أنه لم يلبث أن قرر أن ذلك الأمير الصليبى توفى فى ٢٨ نوفمبر عـام ١١٠٥م ، انظر ، ص ١٤١ من نفس الكتاب ، والواقع الذى اختلف مع كافة الآراء السابقه فقد توفى ذلك الأمير الصليبى عام ١١٠٥م ، واتفق كل من فوشيه الشارترى ووليم الصورى على ذلك العام ، وقرر الأول أن ذلك حـدث فى غرة شـهر مارس عام ١١٠٥م ، بينما ذكر الثانى أنه توفى فى اليوم الأخير من شهر فبراير • ومن الواضح أن الفارق بين الرأيين يسير للغاية ، ويلاحظ أن ابن القلانسى ذكر وفاته ضمن حوادث عام ٤٩٨هـ بما يوافق التحديد الذى ذهب اليه كل من المؤرخين الصليبيين من حيث العام نفسه ، غير أنه ذكر تحديدا مغايرا لـما ذهب اليـه المؤرخين الصليبيين السابقين ، والواقع أن المؤرخين الصليبيين من الممكن الاعتماد على آرائهم فيما يتصل بالتواريخ الدقيقـة المتصلة بالأمراء ولاطلاعهم على المصـادر الرسمية من وثائق ومكاتبات الى غير ذلك ، على نحو لم يتأت للجانب الاسلامى •

عن رأى المترجم انظر تعليقه على نصوص رحلة سايولف :

Ibid, P. 27, note (7).

ورأى حتى ، انظر :

حتى ، تاريخ سوريا ولبنـان وفلسطين ، جـ٢ ، ت• اليـازجى ، ط• بيروت ، ١٩٥٩م ، ص ٢٣٢ •

انظر أيضا :

السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، ط• الاسكندرية ١٩٦٣م ، ص ٩٦ ، ص ١٤١ •

أيضا : Fulcher of Chartres, P. 181.

William of Tyre, Vol. I, P. 462.

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق زكار ، ص ٢٣٧ •

محمد الشيخ ، الامارات العربية فى بلاد الشـام فى القرنين الحـادى عشر والثالث عشر م ، ط• الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٢٤١ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ط• القـاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٣٠٦ ، عمر كمـال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبيه ، ط• الاسكندرية ١٩٥٨م ، ص ٢٠٤ •

Runciman, Vol. II, P. 61.

Oldenbourg, Les Croisades, Paris 1967. P. 236.

(٥) Saewulf, P. VI.

والجـدير بالذكر أن دى فيزاك رأى أن رحلة سايولف جرت خلال المرحلة يوم ١٣ يوليو ١١٠٢م حتى يوم ١٧ مايو ١١٠٣م ، عندما غادر يافا عائدا أدراجه الى بلاده ، وقد اعتمد فى تقديره ذلك على اشارات وردت فى الرحلة عن أيام معينة مثل ١٣ يونيو ، ٢٢يوليو ، ٩ أغسطس ، ٢٣ أغسطس ، ٢٣ أغسطس الى غير ذلك ، كما ورد فى الرحلة ، تنـاول لـما عرف بالأيام المصرية ، وهى التى ذكرت فى التقاويم الفلكية المصرية القديمة على اعتبار أنها أيام غير محظوظة ، ولا يستحب القيام فيها بعمل هام خشية ألا يكلل بالنجاح ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره وليم النيوبرجى William

رئس أساقفة كنتربرى من أن ريتشارد الأول Richard I ملك انجلترا of Newburgh قد تم تتويجه فى اليوم الثالث من سبتمبر وهو وفقا للمعتقدات الوثنية القديمة من الأيام السيئة أو التى لا يحالفها الحظ ، ويقرر دى فيزاك أن الأيام الثالث عشر والثانى والعشرين من يوليو كانت من ذلك النوع من الأيام ، وقد وردت فى رحلة سايولف ، وقد ذكر مترجم الرحلة Bishop of Clifton ، ذلك فى مقدمة ترجمته للرحلة والتى استعنت بها فى اعداد هذا الفصل ، كذلك أشار الى نفس الأمر بيزلى Beazley والى ذلك الرأى ، غير أن من الملاحظ أن الرحلة نفسها لا نجد فيها تحديدا زمنيا عن السنوات التى استغرقتها ، وتظل السنوات من ١١٠٢ ، ١١٠٣م قضية ترجيحية لا يمكن القطع بها ، وعلى ذلك ليس فى امكاننا أن نأخذ بما ذهب اليه دى فيزاك ومن أيده بصورة كاملة .

عن ذلك :

Ibid, P. VII.

Beazley, The Dawn of modern geography, A Historp of expedition and geographical science from he close of the ninth to the middle of the thirteenth century, Vol. II, London 1901, P. 140.

أيضا :

Hagenmeyer, «Chronologie de l'Histoire du Royaume de Jerusalem», Règne de Boudouin I (1101—1118), R.O.L., T. II, Années 1909—1911, P. 89.

(٦) Saewulf, P. 5.

(٧) Ibid, P. 2.

ويقرر المترجم أن الأماكن التى تم الوصول اليها عن طريق البحر غالبا ما ذكرها الرحالة فى العصور الوسطى على اعتبار أنها جزر .

عن ذلك : Ibid, P. 2 (note (5).

(٨) Ibid, P. 8.

(٩) Ibid, P. 8.

(١٠) Ibid, P. 8.

وجدير بالذكر أن العرب دعاهم اليونان بتعبير Sarakeni ، وفى اللاتينية Saraceni ، وكانوا فيما مضى يطلقون عليهم Skenitae ، ومعناها فى اللغة اليونانية سكان الخيام ، ويرى جيلمان أنه تعبير أطلقه اليونان ليعنى القبائل التى كانت تجوب الصحارى الواقعة الى غرب نهر الفرات ، ومع مضى الوقت صار يطلق ليعنى المسلمين بصفة عامة .

عن ذلك انظر :

جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ١ ، ط· بغداد ١٩٥٠م ، ص ١٢٤ ·

Gilman, The Saracens from the earliest times to the full of Bagdad, London 1897, P. III.

(١١) Saewulf, P. 8.

(١٢) Ibid, P. 8—9.

(١٣) Ibid, P. 9.

(١٤) Ibid, P. 24.

(١٥) Ibid, P. 24.

(١٦) Ibid, P. 24.

(١٧) Ali Saviem, Azimi Tarihi, Selculslularium Ilgili Bolumber, Ankara 1988, P. 28.

(١٨) Saewulf, P. 23.

(١٩) نقولا زيادة ، رواد الشرق العربي فى العصور الوسطى ، ط· القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ٨٢ ·

(٢٠) Saewulf. P. 8.

(٢١) Ibid, P. 26.

كفر كنا ، وقعت على بعد ثمانيـة ك·م الى الشمال الشرقى من الناصرة على الطريق المتجه الى بحيرة طبرية ، ويحيطها من الجهة الشمالية والغربية سهل البطوف، وقد اعتبرت من اعمال طبرية وعدها البعض سوقها ، ويقال أن قبر النبى يونس عليه السلام يوجد بها ، وارتبطت كفر كنا لدى المسيحيين بأن فيها حول السيد المسيح عليه السلام المـاء الى خمر ، ومن جهة اخرى فقد احتوت على العديد من المزارات المتصلة بالصالحين والمتصوفة ·

منها انظر :

يوحنا ، الاصحاح الثانى ، من ١ الى ١٢ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ت· احمـد خالد البدنى ، ط· الرياض ١٩٨٢م ، ص ٥٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط· باريس ١٨٩٤م ، ص ٤٤ ، شيخ الربوة ،

نخبــة الدهر فى عجــائب البر والبحــر ، تحقيق مهرن ، ط· برسبرج ١٨٣٥ م ·
ص ٢١٢ ، ابن عبد الحق البغدادى ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،
ج٣ تحقيق البجاوى ، **ط· القاهرة ١٩٥٥م ، ص ١١٧١** ، العثمانى ، تاريخ صفد ،
تحقيق برنارد لويس B.S.O A.S., Vol. XV, 1953. ص ٤٨٥

Fulcher of Chartres, P. 262.

Zeller, «Kefr Kenna», P.E.F., Vol. I, London 1869, P.P. 71—73.

Dussaud, Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, Paris 1927, P. 10.

Le Strange, Palestineunder Islam, London 1890, P. 49.

(٢٢) Saewulf, P. 26.

(٢٣) عن ذلك انظر :

هايد ، تاتريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١ ، ت· محمد رضا ، ط· القاهرة ١٩٨٥م ، **ص ١٤٩** ·

(٢٤) Ibid, P. 27.

عسقلان Ascalon ، وقعت على ساحل فلسطين على بعد اثنى عشر ك·م الى الى الشمال من غزة ، وعندما قدم الصليبيون الى المنطقــة كانت عسقلان خاضــعة لسيطرة الفواطم ، ومثلت ميناء تجاريا هاما وقاعدة بحرية متقدمة للفاطميين فى فلسطين ، وقد سقطت فى قبضة الصليبيين فى عام ١١٥٣م ، وزارها الادريس وهى خاضعة لسيادتهم ووصفها بأنها معدودة فى أرض فلسطين ·

عنها انظر :

اليعقوبى ، كتاب البلدان ، تحقيق دى جويه ، ط· لندن ، ص ٣٢٩ ، الزهرى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق B.E.O., T. XXI, Année 1968 ص ٢٢٦ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص ٣٥٧ ، الهروى ، مقتطفات من رحلته تحقيق تشارلز شيفر ، A.O.L., T. X, Année 1881 ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، تحقيق وستنفليد ، ط· ليبسك ١٩٨٩م ، ص ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط· بيروت ١٩٦٠م ، ص ٢٢٢ ، ابن عبد الحق البغــدادى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٩٤٠ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط· بيروت ، ص ٥٩ ، آدم سميث ، الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة ، ط· بيروت ب ـ ت ، ص ١٥٤ ·

Ency. of Isl., «Ascalon», Vol. I, London, P. 710—711.

وعن تفاصيل خضوعها للصليبيين ، انظر :

William of Tyre, Vol. II, P.P. 184—234.

Baldwin, «The Latin States under Baldwin III andl Amalric I», in Setton, The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958, P. 536—538.

Jacques de Verone, Le Pelerinage du Moine Augustin Jacques de Verone, publié par Ruhricht, R.O.L., T. III, Année 1895, P. 180.

عبد اللطيف عبد الوهاب السيد ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الثالث (١١٤٣ – ١١٦٣م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م ، ص ١٣٨ – ص ١٤١ ٠

(٢٥) Saewulf, P. 27.

أما أرسوف فتقع على بعد عشرة أميال الى الشمال من يافا على ساحل فلسطين ، وبنها وبين قيسارية نحو ثمانية عشر ميلا ، وبينها وبين الرملة اثنى عشر ميلا ، ومن المحتمل أن اسم أرسوف Arsuf مشتق من اسم الاله السامى رسيف Reseph وفى القرون الأولى من عهد الخلافة عدت أرسوف واحدة من المدن الحصينة الرئيسية فى فلسطين ، وقد احتلها الصليبيون فى عهد الملك بلدوين الأول وذلك فى عام ١١٠١م ، وفيما بعد استردها المسلمون فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م ، ولكن أخضعها الصليبيون لسيادتهم فيما بعد ، وسقطت بصورة نهائية فى قبضة المسلمين فى عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٧٨م ٠

عن أرسوف أنظر :

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق دى جويه ، ط٠ ليدن ١٩٠٩م ، ص ٥٤ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٠٣ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ط٠ باريس ١٨٤٠م ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، شافع بن على حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط٠ الرياض ١٩٧٦م ، ص ٨٩ – ٩٠ ٠

Fulcher of Chartres, P. 12 P. 29.

William of Tyre, Vol. I, P. 434.

كشاف البلدان الفلسطينية ، ط٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٩٦ ٠

صابر دياب ، سياسة الدولة الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ط٠ القاهرة ١٩٧١م ، ص ٢٩١ – ص ٢٩٢ ٠

عبد الهادى شعيرة ، « الرملة ورباطاتها السبعة » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩م ، ص ٤٣ ٠

عبد الحفيظ محمد على ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين فى الشرق الأدنى فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م ، ص ٢١ ٠

وبالنسبة لقيسارية ، فانها تكتب قيسرية أو قيسارية وتقع على الساحل الفلسطيني ، وتبعد عن يافا من الناحية الشمالية بنحو ثلاثين ميلا ، وهى على بعد اثنين وستين ميل شمال غرب بيت المقدس ، وبعدت عنها عكا بنحو ستة وثلاثين ميلا ، وقد استولى عليها الصليبيون فى عام ١١٠١م • عنها انظر :

Anonpmous, The deeds of The Franks and other pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962, P. 87, Fulcher of Chartres, Hist. of the expedition to Jerusalem, P. 153 —154, William of Tyre, Hist. of deeds, Vol. I, P. 435—436.

أبو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام فى العصر الاسلامى ، ط• الاسكندرية ١٩٩٠م ، أسامة زكى زيد ، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى — الاسلامى ، ط• الاسكندرية ١٩٨١م ، ص ١٠٠ ، حاشية (٥) •

Saewulf, P. 27.

(٢٦) حيفا ، مدينة على الساحل الفلسطينى تقع الى الجنوب من عكا ، والى الشمال من قيسارية ، ويلاحظ أن اسم حيفا اختلف فى أصله ، واعتقد البعض انه يرجع الى اسم رئيس الكهنة قيافا (راجع انجيل لوقا ، الاصحاح الثالث ، فقرة ٢) أو الى اسم بطرس وهو كفا ، وقد استمر العرب يطلقون عليها حيفا ، ووجدت عدة اشكال لكتابة اسم المدينة فى اللغات الاجنبية مثل Caipha, Cofa, Chopha

Heiffa, Kheifa, Haipha, Caiffa

وقد وقعت حيفا على الجزء الجنوبى من أكبر خليج على شاطىء فلسطين ، وتعد منفذا الى البحر لمرج بن عامر ، وهو المرج الوحيد الذى يشق جبال فلسطين الغربية ، وهذا المرج يمثل انحدارا تدريجيا الى غور الأردن ، فهو يشكل بالتالى نقطة اتصال سهلة وميسرة الى سهل البقاع فى لبنان ومناطق دمشق وحوران ، وتعتبر حيفا مركزا لشبكة طرق تتجه شمالا وشرقا وجنوبا ، وقاع البحر عندها آمن ، ويخلو من أية معوقات طبيعية أمام حركة السفن • وقد استولى الصليبيون على حيفا فى عام ١١٠٠م ، ونعرف أنه فى شهر يوليو من ذلك العام طوق المدينة من جهة البحر أسطول من البندقية ، وكان تانكرد على رأس المحاصرين لها من الجهة البرية ، وقد حارب سكانها باستبسال خلال شهر تقريبا ، وعندما دخلها الصليبيون قاموا بذبح سكانها ، وخلال الأحداث التى تلت اخضاع المسلمين لمدينة بيت المقدس عام ١١٨٧م تم تحطيم المدينة ، وأخيرا سقطت حيفا فى قبضة المسلمين فى عهد السلطان الظاهر بيبرس وذلك فى عام ١٢٦٥م •

عن حيفا أنظر : ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٠٠٣ •

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق الخويطر ، ط• الرياض ١٩٧٦م ، ص ٢٣٤ •

Fulcher of Chartres, P. 142.

William of Tyre, Vol. I, P. 399, Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 87—88, Stevenson, The Crusades in the east, P. 33, P. 40, P. 150, Press, Palestina und Sudsyrien reisehandbuch, Berlin 1921, P. 249—250.

الكس كرمل ، تاريخ حيفا فى عهد الأتراك العثمانيين ، ت. تيسير الياس ، جامعة حيفا ، المركز اليهودى العربى ، معهد دراسات الشرق الأوسط ، ط. حيفا ١٩٧٩م ، ص ٢١ ـ ص ٢٧ ، زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ص ١٢٩ ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م . ص ٥٥ ـ ص٥٦ .

أما عكا ، فهى تكتب عكاء أو عكة أو عكا ، وهى من مدن الساحل الفلسطينى ، وبعدت عن قيسارية مسافة ستة وثلاثين ميلا ، ولم تكن هذه المدينة محصنة حتى عهد ابن طولون حاكم مصر ، وأراد أن تكون لها نفس حصانة صور ، وقد جلب اليها العمال والصناع ، واقام بها التحصينات اللازمة ، واستولى عليها الصليبيون وعلى رأسهم الملك بلدوين الأول Baldwin I علم ١١٠٤م ، وحدثنا عنها الادريس فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر م بأنها مدينة كبيرة السكان ولهـا ميناء مأمون الملاحة ، وزارها ابن جبير عام ١١٨٥م ، واشار اليهـا على أنهـا من مدن الفرنج الرئيسية وزاخرة بالسكان والنشاط الاقتصادى لا سيما التجارى ، عنها انظر :

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط. ليدن ١٩٦٧م ، ص ١٦٢ ـ ص ١٦٣ ، ناصر خسرو ، سفر نامه ، تحقيق الخشاب ، ط. القاهرة ١٩٤٥م ، ص ١٥، الادريسى، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق، تحقيق جابريلى وديلافيلا وآخرون، ج٤، ط. نابولى ، ص ٣٦٥ ، ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٠م ، ص ٢٧٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٦٢م ، ص ٣٥ .

Fulcher of Chartres, P. 176, William of Tyre, Vol. I, P. 454—456, Le Strange, Op Cit., P. 334.

مكسيموس مونروند ، تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب ، ت. مكسيموس مظلوم ، ج١ ، ط. أورشليم ١٨٦٥م ، ص ٢٢١ ـ ص ٢٢٢ ، سيد الحريرى ، الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩١١م. ص ٤٩ .

Saewulf, P. 27. (٢٧)

وجبلة مدينة بساحل الشام من أعمال اللاذقية ، ووقعت بالقرب من حلب . وقد سقطت فى قبضة الصليبيين وذلك بعد سقوط طرابلس فى ١٢ يوليو ١١٠٩م ، اذ اتجه الصليبيون الى الاستيلاء على مدينتين ساحليتين مجاورتين ، وكانتا بلنياس Balanyas والتى سقطت دون مقاومة ثم جبلة ، وتم حصارها والاستيلاء عليها فى ٢٣ يوليو من نفس العام ، وقد تمكنت قوات تانكرد من الاستيلاء عليها خلال حصار طرابلس الحديث ، وقد تعرضت جبلة لعدة هزات زلزالية كبيرة خلال القرن الثانى عشر م ، مثل زلزالى عام ١١٢٤م ، ١١٥٣م ، عن جبلة انظر :

ابن عبد الحق البغدادى ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٢ .

William of Tyre, Vol. II, P. 370.

Sato Tsugitako, The Syrian coastal Town of Jubala, its History and present situation, Tokyo 1988, P.P. 45—71.

Rey, «Les Seigneurs de Giblet», R.O.L., T. III, Paris 1895, P.P. 398—422.

(٢٨) Saewulf, P. 27.

جبيل ، من المعروف أنها وقعت فيما بين بيروت وطرابلس ، وبعدت عن بيروت بنحو ثمانية فراسخ ، وقد سقطت بفضل المساعدة التى قدمها الجنوية للصليبيين ، واشتمل الأسطول الجنوى على أربعين سفينة وحصل الجنوية على ثلث المدينة كمكافأة لهم ، ويلاحظ أن جبيل كانت من المناطق المرتبطة بتوزيع الموارنة فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ومن المؤكد أنها مثلت معقلا تقليديا للوجود المارونى فى لبنان على نحو خاص خلال ذلك العصر عن موقعها واستيلاء الصليبيين عليها انظر :

الادريسى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٧٢ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢ ، ابن عبد الحق البغدادى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣١٤ .

William of Tyre, Vol. I, P. 330, P. 476, Stevenson, The Crusaders in The east, P. 55, Jpejian, Byblos Through ages, Beirut 1968.

سامية محمد أحمد ، جبيل تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص ٤٣ ، انيس فريحة ، اسماء المدن والقرى اللبنانية ، ط. بيروت ١٩٥٦م ، ص ٨٩ ، محمد الشيخ . الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، ط. الاسكندرية ١٩٧٢م ، ص ٢٠٣ .

(٢٩) Saewulf, P. 27.

ويشير ابن القلانسى الى مواجهات بحرية بين الفاطميين والصليبيين من خلال مهاجمة الأسطول الفاطمى المواقع الصليبية على الساحل الشامى ، عن ذلك انظر :

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٣م ، ص ٢٦٠ .

وأنظر أيضا ما ذكره فوشيه الشارترى .

Fulcher of Chartres, P.P. 187, P. 2262, P. 296.

(٣٠) Saewulf, P. 28.

(٣١) Ibid, P. 28.

Ibid, P. 28. (٣٢)

Ibid, P. 28. (٣٣)

ونجدر الاشارة الى أن مترجم الرحلة يوضح أن هناك ارتباطا بين محاولات الفاطميين مهاجمة الصليبيين فى الشام ، من خلال نشاط أسطولهم البحرى ، وبين المواجهات الحربية بين السلاجقة والصليبيين فى الجزيرة الفراتية مثل معركة حران الى جرت عام ١١٠٤م ، والتي اشترك فيها سقمان بن أرتق صاحب ماراين ، وجكرمش اتابك الموصل وقد واجها بلدوين دى بورج Baldwin de Bourg أمير الرها وجوسلين Joselin صاحب تل باشر وبوهيمند Bohemond أمير أنطاكية وقد انتصر فيها المسلمون انتصارا كبيرا وتم أسر كبار الأمراء الصليبيين مثل بلدوين دى بورج وجوسلين بينما تمكن بوهيمند من الفرار ، ويقرر أن فى الوقت الذى وقعت فيه الصادمات البحرية الفاطمية - الصليبية - والتى أورد سايولف ذكرا لها فى رحلته - جرت فى الجزيرة الفراتية معركة حران ١١٠٤م ، غير أننى لا أميل الى تأكيد ذلك الاتجاه ، على اعتبار أن رحلة ذلك الرحالة جرت قبل عام ١١٠٤م على الأرجح ، وبالتالي فان المعركة قد جرت بعد الرحلة ، وهكذا فمن الصعب تصور أن الحادثتين قد وقعتا فى وقت واحد ، خاصة أن المعركة البحرية التى أورد الرحالة المذكور أمرها فى رحلته لا نعرف تحديدها الزمنى بدقة بينما نعرف أمر معركة حران وعام حدوثها وهو ١١٠٤م ، عن رأى المترجم انظر :

Saewulf, P. 27, note (11).

وعن معركة حران وآثارها السياسية والحربية على الصراع الاسلامى - الصليبى انظر :

William of Tyre, Vol. I. P. 458.

ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامى الدهان ، جـ٢ ، ط دمشق ١٩٥٤م ، ص ٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٣١ ، علية الجنزورى ، امارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٩٧ - ص ١٠٠ ، عصام عبد الرءوف ، بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى ، ط. القاهرة ب - ت ، ص ١٣٨ - ص ١٣٩ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٤٤٥ .

Cahen, La Syrie du nord à L'époque des Croisades, Paris 1940, P. 236.
Basrker, The Crusades, London 1949, P. 27, Stevenson, The Crusades in Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 41.
The east, Beirut 1968, P. 77.

Saewulf, P. 9. (٣٤)

Pernoud, The Crusades, P. 16.

Saewulf, P. 9. (٣٥)

وعن كنيسة الضريح المقدس انظر :

Theoderich, Description of The Holy Places, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S. Vol. V, London 1984, P.P. 7—21.

Fulcher of Chartres, P. 117, P. 131—132.

Schlumberger, Chalandon, Blanchert, Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943, P.P. 134—135.

Elsten, The Traveller's Handbook for Palestine and Syria, London 1929, P.P. 102- 119.

(٣٦) Saewulf, P. 11.

(٣٧) Ibid. P. 11. note (1).

(٣٨) Ibid. P. 14.

(٣٩) Ibid, P. 14.

(٤٠) Ibid ,P. 17.

(٤١) Ibid, P. 14.

(٤٢) القديس لازاروس St. Lazarus ، يظهره العهد الجديد على أن السيد المسيح قد أعاد اليه الحياة ـ باذن الله تبارك وتعالى ـ بعد أن مات ، وعاش لازاروس مع أختيه مريم ومرتا فى قرية بيتانى بالقرب من بيت المقدس ، ويقال أن قبره فى قرية العازرية (بيت عنا) على قارعة الطريق المؤدية الى أريما .

عنه أنظر :

يوحنا ، الاصحاح (١١) من ١ الى ٥٢ ، الاصحاح (١٢) من ١ الى ١١ .

الادريسى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٦١ .

Bernard The Wise, P. 9.

Attwater, Penguin dictionary of Saints, P. 216, P. 238.

كامل العسلى ، تراث فلسطين فى كتابات عبد الله مخلص ، ط. عمان ١٩٨٧م ، ص ١٩٢ ـ ص ١٩٤ .

(٤٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤٤) وقع دير مار سابا على بعد خمسة عشر ك٠م الى الجنوب الشرقى من بيت المقدس ، وقد تم بناؤه عام ٤٨٤م واضيفت اليه اضافات معمارية فى عهد الامبراطور جستنيان ٠

نعولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ ، حاشية (٦) ، عبد الحميد زايد القدس الخالدة ، ط٠ القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٢٥٨ ،

Drake, «Mr. Tyrwitt Drake's Reports», P.E.F., London 1874, P. 28.

القديس ساباس St. Sabas ٠ ولد هذا القديس فى مدينة قيسارية Caesarea فى كبادوكيا Cappadocia وذلك فى عام ٤٣٩م ، ويعد أحد البارزين من الجيل الأول من الرهبان ، وقد صار قدوة لغيره على نحو صارت معه تعاليمه تؤثر تاثيرا كبيرا على الحركة الديرانية الشرقية ، وعندما كان شابا صغيرا لازم القديس ايوثيميوس الكبير Euthymius The Great ، وفى عام ٤٧٨م أسس جماعة ديرانية فى منطقة مقفرة فيما بين بيت المقدس Jerusalem والبحر الميت Dead Sea ، وقد ازدهر أمرها من بعد ذلك بصورة كبيرة ، وفى عام ٤٩٣م كانت له زعامة على كافة الرهبان فى فلسطين الذين عاشوا حياة مشابهة لحياته التقشفية ، وقد لعب القديس ساباس دورا نشطا فى التاريخ الكنسى العام لتلك المرحلة ، وارسل مرتين من قبل بطريرك بيت المقدس الى القسطنطينية ، ووصلتنا سير حياته عن طريق كيريل البيسانى Cyril of Scythopolis وقد قابل القديس ساباس وتاثر بتعاليمه ، ويسمى دير ذلك القديس باسم مارسابا Mar Saba ويعد أحد أقدم الأديرة المعمورة فى العالم ، ويشغله رهبان تابعين للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، وادركت المنية القديس ساباس فى عام ٥٣٢م ، ويلاحظ أن عيد الاحتفال به هو الخامس من ديسمبر، عنه أنظر :

Attwater, The Penguin Distionarp of Saints, P. 301.

وعن انتشار الحركة الديرانية فى فلسطين خلال تلك المرحلة انظر :

رأفت عبد الحميد ، « كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزانطى » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٥) عام ١٩٧٨م ، ص ٩٩ ٠

(٤٥) Saewulf, P. 21.

(٤٦) جبل طابور Tabor ، هو جبل الطور ، ويقع فى اقليم الجليل ويطل على مرج بن عامر ، وارتفع عن سطح البحر بنحو خمسمائة وثمانية وثمانين مترا ٠ واحتل موقعا استراتيجيا هاما وكان موضع اهتمام واعجاب الصليبيين ، ولدينا وصف هام لذلك الجبل من جانب الرحالة الروسى دانيال Daniel ويقرر أن ذلك الجبل من عجيب صنع الله ٠ على نحو يعجز المرء عن ان يصفه ، وهو بالغ الجمال والروعة ، ومنعزل عما سواه من الجبال ، وهناك نهر يجرى فى الوادى الذى يقع أسفل الجبل ، وتنمو فوق الجبل كافة انواع الأشجار المثمرة مثل الزيتون والتين ، وغيرها من اشجار الفاكهة ، ويقرر نفس الرحالة انه من الصعوبة بمكان

تسلق تلك الجبل نظرا لتكويناته الصخرية الوعرة ، وقام بنفسه بتسلقه ويقول انه بدأ في ذلك في الساعة الثالثة من اليوم (؟) وبلغ قمته في الساعة التاسعة .

عن جبل الطور أنظر :

Anonymous, The deeds of ths Franks, P. 100, Abbot Daniel, The Pilgrimage of Abbot Daniel in The Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895, P. 66—67, Fulcher of Chartres P. 272.

الشابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط. بغداد ١٩٥١م ، ص ١٣٣ ، ابن عبد الحق البغدادي ، المصدر السابق ، جـ٢ . ص ٨٩٦ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين . جـ٧/ق٢ ، ص ١٣ ، طه ثلجي الطراونة ، المرجع السابق ، ص ٧٥ ــ ص ٧٦ ، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٦ ، سعيد عبد الله البيشاوي ، الممتلكات الكنسية مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ ــ ١٢٩١م) ط. الاسكندرية عام ١٩٩٠م ، ص ٦٩ ، حاشية (٢) .

(٤٧) Saewulf, P. 24.

والأديرة الثلاثة هي دير التجلي ودير الياس ودير موسى . وقد احتلت أهمية كبيرة في اقليم الجليل خلال تلك المرحلة ، وقد أشار الشابشتي وابن فضل الله العمري الى دير التجلي ، وذكر الأول أن للناس يقصدونه من كافة المواضع وأن موقعه حسن وهو من المواضع الطيبة ، ووصف الدير بالاتساع والمناعة في البناء واحتوى على موضع مخصص لاستقبال الحجاج واستضافتهم ، واحتوى على كنيسة عرفت بكنيسة المخلص ، أما دير القديس الياس فوصف بصغر الحجم ، وقد حظى الصليبيين ، واستمر في ازدهاره حتى أواخر القرن الثاني عشر ، ويلاحظ أنه يعرف أيضا بالدير البيزنطي ويشير المؤرخ الصليبي وليم الصوري الى أن القوات الأيوبية هاجمت ذلك الدير وأن الرهبان عملوا على الدفاع عنه ، عن ذلك انظر :

الشابشتي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ ، العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، جـ١ ، تحقيق أحمد زكي ، ط. القاهرة ١٩٢٤م ، ص ٣٣٧ ،

Abbot Daniel, P. 66-67, William of Tyre, Vol. II, P. 495.

ليلى طرشوبي ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ــ كلية الآداب ــ جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م ، ص ١٩٧ ــ ص ٢٠٦ حيث تتناول تلك الأديرة بصورة مفصلة .

(٤٨) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، ط. بيروت ١٩٦٩م ، ص ٨٠ ــ ٨١ .

(٤٩) عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٤٨٤ ـ ص ٤٨٥ ، ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام ، مجلة المستقبل العربى ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧م ، ص ٢٦ ٠

(٥٠) زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ص ١٥٣ ٠

(٥١) Kohler, «Chartres de l'Abbaye de Notre Dame de la Vallée de Josaphat en Terre Sainte (1102—1291)», R.O.L., T. VII, P. 112.

وقد وقع وادى يوسفات شرق بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا ، وجبل صهيون غربا ، وبخلال العصور الوسطى أطلق عليه المؤرخون أسماء متعددة مثل وادى جهنم ، أو وادى مريم ، أو وادى النار أو وادى سلوان ، وقد وردت الاشارة الى ذلك الوادى لدى مؤلفات العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة خلال عهد السيادة الصليبية فى فلسطين وحتى بعد ذلك ، ويلاحظ أن ذلك الوادى احتوى ـ خلال مرحلة دراستنا هذه ـ على العديد من النساك الذين أقاموا فيه ، واحتوى كذلك على أحد الأديرة الهامة ، وقد أشار الى ذلك الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجى فى ثنايا رحلته ٠

عن ذلك أنظر :

الادريسى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٦٢ ، ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص ٢٨٨. Saewulf, P. 18.

William of Tyre, Vol. I, 341.

John of Wurzburg, Description of the Holy Land. Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896, P. 50, P. 51.

Burchard of Mont Sion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1896, P. 69, P. 71, P. 72.

Ludolph Von Suchem, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, Vol. XII, London 1895, P. 97, P. 110.

Felix Fabri, The Wanderings of Felix Fabri, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S. Vol. VII, part II, London 1893, P. 458.

سعيد البيشاوى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ ٠

(٥٢) Kohler, P. 118 119.

(٥٣) Hume, Medical Work of The Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem, Institute of The History of Medicine of The John's Hopkins University, Baltimore 1940, P. 3.

Saewulf, P. 14. (٥٤)

القديس يوحنا المعمدان ، هو أحد رجال الدين من يهودا ، عاش فى خلال المرحلة التى سبقت ظهور السيد المسيح عليه السلام مباشرة ، وكان والده يدعى زكريا ، وهو كاهن يهودى ، وأخذ يوحنا المعمدان يقوم بدوره فى التبشير بالسيد المسيح ، وقام بتعمديه ، ويرى البعض أن تعاليم يوحنا كان لها أثرها الهام على المعاصرين ، وقد لقى مصرعه على يد هيرودس ، ويلاحظ أن العهد الجديد ـ لا سيما انجيلى متى ومرقص ـ يحتوى على اشارات هامة عن دوره التبشيرى ، عنه أنظر : متى الاصحاح (١) من ١ الى ٦ ، الاصحاح (٣) ، من ١٣ : ١٧ ، مرقص ، الاصحاح (٦) من ١٤ الى ٢٩ ، لوقا ، الاصحاح (٩) من ٧ الى ٩ .

Hastings, Dictionary of The Bible,New York 1952, P. 509—510, Grant, Historical introduction to the new testament, New York 1963, P.P. 309—312, Unger, Unger's Bible dictionary, Chicago 1944, P. 599—600.

سامى سعد الأحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ط· بغداد ١٩٧٩م ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ ·

(٥٥) أمالفى Amalfi ، مدينة وقعت فى كامبانيا Campania بايطاليا فى مقاطعة سالرنو Salerno ، على بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة سالرنو على الساحل الشمالى من الخليج الذى يحمل اسم المدينة Gulf of Salerno ، وكانت أمالفى مستعمرة بيزنطية ، وعلى الرغم من أنها كانت موجودة من القرن الرابع الميلادى ، الا أنها لم تكن لها أهمية تجارية كبيرة حتى أواسط القرن السادس ، وشاركت مع المدن الايطالية التجارية الأخرى مثل البندقية فى التجارة مع الشرق ، وازدادت أهميتها فى القرن التاسع م ، وذلك بعد انتهاء ارتباطها بنابولى ، ويرجح بعض الباحثين تزايد نفوذ تلك المينة الى تلك الاعفاءات التى حصلت عليها من جانب الامبراطورية البيزنطية ، وحافظت أمالفى على تجارة مزدهرة مع صقلية والشام ومصر ، وجرت عملتها فى التعامل التجارى فى عالم البحر المتوسط ، وساعدت أساطيلها البابا ليو الرابع Leo IV ضد هجمات المسلمين عام ٨١٨م ، وحصلت على استقلالها منذ وقت مبكر من القرن الحادى عشر ، وفى حوالى عام ١٠٧٣م أرغمت على الاعتراف بالتبعية لروبرت جويسكارد Robert Guischard زعيم النورمان الذى هاجمها على رأس جيشه، واعتبر البعض هذا التاريخ بداية حقيقية لتدهور أمالفى كقوة تجارية حيث صارت موضعا للمنافسة من جانب جنوة وبيزا ·

عن أمالفى ودورها التجارى أنظر :

Ency. Brit. «Amalfi», Vol. II, P. 703.

Encp. Amer., «Amalfi», Vol. I, P. 659.

Chamber's Ency., «Amalfi», Vol. I, P. 315.

Pirenne, Mohammed and Charlemagne, London 1954, P. 152.

Citarello, «The relations of Amalfi with the Arab World before the Crusades», Speculum, Vol. XVII, P.P. 299—312.

Krueger, «The Italian cities and the Arabs before 1095», in Setton, A History of the Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958, P. 52.

King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930, P. 13.

أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ت٠ أحمد عيسى ، ط٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٣٣٩ ــ ص ٣٤٠ ، عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط٠ الاسكندرية ١٩٥٨م ، ص ١٩٣ ، حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ، ط٠ القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٦١١ ، سرور ، الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ط٠ القاهرة ١٩٦٢م ، ص ١٥٦ ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ط٠ القاهرة ١٩٦٧م ، ص ٢٤٩ ، راشد البراوى ، حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، ط٠ القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١٢٨ ، هايد ، المرجع السابق ، ج٢ ، ت٠ أحمد رضا محمد رضا ، ط القاهرة ١٩٩١م ، ص ٧٢ ٠

(٥٦) القديس يوحنا المتصدق ، ولدهذا القديس فى أماسوس Amathus فى جزيرة قبرص Cyprus ، وذلك فى عام ٥٦٠م ، ويلاحظ أن الشطر الأعظم من حياة ذلك القديس غير معروف ، وذلك باستثناء انه عاش مع زوجته وأسرته فى قبرص أو مصر ، ومن المحتمل انه شارك فى الحياة العامة عندما بلغ الخمسين من عمره تقريبا عندما كان لا يزال من العلمانيين ، ولم ينضم بعد الى السلك الكنسى ، وقد وقع الاختيار عليه ليكون بطريركا للاسكندرية ، وسعى ذلك القديس من أجل اعلاء شأن الأرثوذكسية الى حد بعيد ، وقام بدور خيرى كبير من أجل انشاء المستشفيات للمرضى ورعاية المحتاجين وقدم المساعدات للفقراء وكذلك الهبات المنتظمة ، وعندما قام الفرس بمهاجمة بيت المقدس فى عام ٦١٤م ، قدم يوحنا المتصدق مبالغ كبيرة من المال وكذلك كميات من الأغذية لأهل المدينة ، وعاد أدراجه الى قبرص حيث أدركته منيته هناك فى عام ٦١٩م ، ويلاحظ أن يوم الاحتفال بعيده يوافق يوم الحادى عشر من نوفمبر ، عنه أنظر :

William of Tyre, Vol. I, P. 80, note (1).

Attwater, Op. Cit., P. 190—191.

مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، حاشية (٢) ٠

(٥٧) Miller, «The Knights of St. John and The Hospitallers of The Latin West», Speculum, Vol. LIII, 1978, P.P. 709—718.

Deanesly, History of medieval church, London 1975, P. 209. (٥٨)

نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م ، ص ٨ .

وعن نشأة وتطور المستشفيات فى الامبراطورية البيزنطية ، أنظر دراسة تيموثى ميلر الهامة :

Timothy Miller, The Birth of The Hospital in The Pyzantine Empire, Baltimore 1985.

وقد قام ديمتريوس كونستانتيلوس Demetrius Constantelos بعرض الكتاب ونشر فى مجلة Speculum عدد أبريل من عام ١٩٨٧م على مدى الصفحات من ٤٥٠ الى ٤٥٥ .

Speculum, April 1987, P.P. 450—455.

(٥٩) عن ذلك أنظر :

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٥٦ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٧٠ ـ ص ١٧١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص ٢٨١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق سركيس ، ط. بيروت ١٩٠٩م ، ص ٢٣٠ ـ ص ٢٣١ ، أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، ط. دمشق ١٩٣٩م . وهو دراسة هامة متخصصة لا يمكن اغفالها ، كامل السامرائى ، مختصر تاريخ الطب العربى ، جـ٢ ، ط. بغداد ١٩٨٥م ، ص ١٢٥ ـ ص ١٣٣ ، كامل حسين ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٥٤ ، توفيق الطويل ، من تراثنا العربى الاسلامى ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٨٥م ، ص ١٣٨ ، عاشور ، « المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية » ، المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام ، ط. عمان ١٩٧٤م ، ص ٢٢٤ ، مؤنس أحمد عوض ، تاريخ الطب العربى ومكانة عبد اللطيف البغدادى فيه (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) بحث مقدم لأعمال مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب ، الرقة ـ الجمهورية العربية السورية ، معهد التراث العلمى العربى بحلب ، ابريل ١٩٩١م ، ص ١٦ ، مونتجومرى وات ، فضل الاسلام على الحضارة العربية ، ت. حسين أحمد أمين ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٥٤ ، نقولا زيادة ، دمشق فى عصر المماليك ط. بيروت ١٩٦٦م ، ص ٨٤ .

(٦٠) عن تلك المذبحة أنظر :

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962, P. 51, Fulcher of Chartres, History of The Expedition to Jerusalem, P. 1222.

Raymond d'Aghilliers, in Peters, The First Crusade, Pennsylvania 1971 P. 209.

ابن القـلانس ، ذيل تاريخ دمشــق ، تحقيق اميدروز ، ط· بيروت ١٩٠٨م ، ص ١٣٧ ، ابن ميسر ، منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hist. Or. T. III ص ٤٦٣ ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ط· بيروت ، ص ١٩٧ ، اليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٣ ، ط· حيـدر اباد الدكن ١٣٤٨هـ ، ص ١٥٤ ، ابن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، جـ٩ ، ط· حيدر اباد الدكن ١٣٥٩هـ ، ص ١٠٨

Hagenmeyer, «Chronologie de la première Croisade», R.O.L., T. VII, Année 1899, P.P. 477—478, Gottein, «Contemporary Letters on The Capture of Jerusalem by The Crusades», J.J.S., Vol. X, 1952, P.P. 162— 177.

عاشور ، أضواء جـديدة على الحروب الصليبية ، ط· القـاهرة ١٩٦٤م ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ ، قاسم عبـده قاسم ، الحــروب الصليبيــة ، نصوص ووثائق ، ط· القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢٧٦ ، العروسى المطوى ، الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، ط· بيروت ١٩٨٢م ، ص ٥٤ ، حسن حبشى ، الحرب الصليبية الأولى ، ط· القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٧٩ ، جوزيف نسيم يوسف ، الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبى ، ط· بيروت ١٩٨١م ، ص ١٥ ·

(٦١) William of Tyre, Vol. I, P. 312.

الفصل الثاني

دانيال

١١٠٦ ـ ١١٠٧م

تعد رحلة دانيال الروسى(١) واحدة من الرحلات الهامة التى قام بها الرحالة الأوربيون الى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ومرجع تلك الأهمية يكمن فى أن تلك الرحلة تمت فى بدايات عهد الاستيطان الصليبى فى بلاد الشام ، ومن ثم احتوت على عدة جوانب هامة على مستوى العلاقات السياسية والحربية بين مملكة بيت المقدس والقوى الاسلامية المجاورة ، فضلا عن الجوانب الاقتصادية والكنسية ، وكل ذلك من خلال أول تسجيل لرحلة روسى زار المنطقة ·

ويتطلب الأمر ، عرض ارتباط الروس بالمسيحية خاصة منذ القرن العاشر الميلادى ، والدور الذى لعبته الامبراطورية البيزنطية فى هذا الشأن ، وأثر ذلك على قيام وتطور رحلات الروس الى البقاع المسيحية المقدسة فى فلسطين ·

ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن الكيان الروسى ظهر الى الوجود من خلال تنظيم من القبائل السلافية شبه البدوية والتى وجدت فى مناطق الغابات الممتدة على طول أنهار الدنيبر Dnieper ، وغرب أنهار دفينا Dvina ، ولوفات Lovat وكذلك عناصر الفرنجيان Varangians أو الروس ومجموعات صغيرة من المغامرين الاسكندنافيين ، وهم الذين عرفوا بصفة عامة فى تلك المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ــ عرفوا باسم الروس Phos (٢) ، وقد تدعمت الصلات بينهم وبين الامبراطورية البيزنطية ومن مظاهر ذلك أن التجار الروس كانوا من بين العناصر الأجنبيه التى ترددت على القسطنطينية فى القرن العاشر م ، وعاملتهم الامبراطورية معاملة خاصة ، وهذا يمكن ادراكه من خلال نصوص المعاهدات التجارية التى وقعت بين الطرفين(٣) والتى حرص الروس من خلالها أن يحصلوا على العديد من الامتيازات التجارية ، ولا مراء فى أن النشاط التجارى لهم قد ازدهر من خلال الممرات المائية التى ربطت بين البحر الأسود والبحر البلطى ، وعلى نحو خاص طريق كييف Kiev ــ نوفجورود Novogorod (٤) ·

واذا نحينا جانبا الناحية الاقتصادية التجارية نجد أن عناصر من الروس قدمت للعمل كمرتزقة فى الجيش البيزنطى ، وفى القرن العاشر نجدهم شكلوا قسما وفعالا من الحرس الامبراطورى ، وعرفوا باسم الورنك صاحب الصيت الذائع(٥) ·

والواقع أن القرن العاشر م لا يعد قرنا هاما فى العلاقات الروسية ــ البيزنطية على المستوى الاقتصادى والحربى فقط ، بل أيضا من الناحية الدينية المذهبية ، وقد بذلت الامبراطورية البيزنطية جهدها الجهيد من أجل التبشير بالمسيحية الأرثوذكسية

فى صفوف العناصر الروسية تدعيما للنفوذ الدينى لكنيسة القسطنطينية ٠ وتوطدت العلاقات بين الجانبين بصورة كبيرة خاصة خلال النصف الثانى من ذلك القرن ، على نحو ساعد ــ ولا ريب ــ فى تدعيم الصلات الدينية والمذهبية ، ومن مظاهر هذا التوطد ، قيام القيصرة الروسية أولجا Tsarina Olga بزيارة القسطنطينية فى عام ٩٥٧م واعتناقها المسيحية الأرثوذكسية ، ولا ريب فى أن ذلك مثل تطورا هاما ومهد لأحداث كبيرة حدثت فيما بعد ذات تأثيرات فعالة ٠

وقد حدث التطور الأكبر فى عهد حفيدها الأمير فلاديمير Vladimir I (٦) (٩٨٠ ــ ١٠١٢م) والذى نمت فى عهده الدولة الروسية نموا كبيرا ، الى الدرجة التى صارت تسيطر فيها على مناطق امبراطورية الخزر على نهر الفولجا ، واحتلت مكانة رفيعة كأقوى قوة سياسية واقتصادية فى شمال أوربا ٠

وقد عقد فلاديمير اتفاقية مع الامبراطور البيزنطى باسل الثانى Basil II (٩٧٦ ــ ١٠٢٥م) تقرر فيها أن يعتنق الأمير الروسى المسيحية وأن يتزوج الأميرة أنا Anna شقيقة الامبراطور(٧) ، غير أن الأخير ماطل فى تنفيذ ذلك الاتفاق الهام ، وأمام ذلك الموقف قام فلاديمير ــ على سبيل الضغط العسكرى والسياسى ــ بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson الحيوى الهام على البحر الأسود ، كذلك لعبت العلاقات الخارجية البيزنطية دورها فى هذا المجال ، اذ أن حاكم انطاكية برداس فوكاس Bardas Phocus (٩٨٦ ــ ٩٨٧م) شق عصا الطاعة على الامبراطور البيزنطى ، واستولى على مناطق عديدة من أملاكه ، واضطر باسل الثانى أن يراسل الروس ٠ من أجل مساعدته فى مواجهة حركة التمرد المتزايدة ، وبالفعل قام الأمير الروسى بتقديم مساعدة حربية للقسطنطينية(٨) ، ويقرر شارل ديل أن الامبراطور طلب عون أمير كييف فأرسل الأخير اليه ستة آلاف من الجند المرتزقة(٩) ، بفضلها تمكن من أن يلحق الهزيمة ببرداس فوكاس وحلفائه من الأيبريين فى معركة أبيدوس فى أبريل عام ٩٨٩م ، وفيما بعد وافق الامبراطور على أمر المصاهرة(١٠) ، بعد أن اقنع فلاديمير باعتناق المسيحية وفرضها على رعاياه فى كييف ٠

وهكذا تم الارتباط بين روسيا والامبراطورية البيزنطية من خلال المذهب الأرثوذكسى (١١) ، ومما يذكر فى هذا الصدد ، أنه خلال القرن العاشر م ، تأثر العديد من أفراد الفئات العليا فى روسيا بالثقافة والعقيدة المسيحية فى الامبراطورية البيزنطيه ، وقد كان طبيعيا أن يتجه الأمراء الحاكمون الى المذهب الأرثوذكسى (١٢) ٠

ومن أجل القيام بتحويل روسيا الى المسيحية تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاديمير ، وقد قرر الأخير أن يتم بناء الكنائس فى نفس الأماكن السابقة التى كانت تعبد فيها الآلهة الوثنية ، وتقام فيها الطقوس الدينية ، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف ، بل أيضا فى مناطق الغابات ، وتم تشييد المدارس التى حرصت الفئات العليا على أن تلحق أبناءها بها ، ومثلت تلك المدارس الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية ، والتى هدفت الى تخريج عناصر تعمل بالسلك الكنسى فيما بعد (١٣) .

وبصفة عامة ، كان التحول الى المسيحية فى روسيا بصورة تدريجية ، فقد بدأ بالفئات العليا فى المجتمع ثم انتشر ببطء لدى العناصر الأدنى (١٤) ، وليس معنى ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر أية مقاومة ، فيلاحظ أن عناصر الوثنيين لاذت بالفرار الى الأدغال والغابات (١٥) وبقيت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون ، ولكن بفضل الكنائس والأديرة التى تم تشييدها ، فان روسيا صارت تحتل مكانها اللائق بها ، ضمن المراكز الروحية للمسيحية فى ذلك العصر (١٦) .

وقد تدعمت ارتباطات روسيا بالمسيحية من خلال ابن فلاديمير ونعنى به ياروسلاف Yaroslaff (١٠١٥ ـ ١٠٥٤ م) الذى عمل على أن يدعم سياسة والده ، ويبلغ بها آفاقا أرحب ، ويقرر شارل ديل أن فلاديمير صار كلوفس روسيا ، وصار ياروسلاف شرلمانها (١٧) ، ولكن كلا منهما كان يدين لبيزنطه بعناصر عظمته التاريخية ، ولاريب فى أن أهم أعمالهما ما اتصل بالعلاقات الروسية ـ البيزنطية .

ويبدو أنه فى أعقاب اعتناق الروس للمسيحية ، وجدت عناصر عديدة منهم تسعى الى القيام برحلات الى البقاع المقدسة فى فلسطين من أجل الحج ، ويرى البعض أنه منذ القرن الحادى عشر على نحو خاص ، تقاطروا الى فلسطين وبيت المقدس ، حتى صار حضورهم الى هناك من الأمور المعتادة المألوفة(١٨) .

أما عن الطرق التى سلكها الرحالة والحجاج الروس الى هناك ، فنعرف أنهم كانوا ينطلقون من مدينة كييف ثم تقلهم سفن خفيفة حيث يجتازون نهر الدنيبر Dnieper ، وذلك فى حالة نجاتهم من القبائل التى وجدت على ضفتى النهر ، ثم من هناك ساروا الى بلغاريا ومنها شقوا طريقهم الى العاصمة البيزنطية القسطنطينية (١٩) ، ويبدو أن أنه من هناك أقلتهم المراكب الى شرق البحر المتوسط

والساحل الشامى خاصة مدينة يافا ، وفى هذا القسم من الرحله كان من الممكن أن يتعرضوا للعديد من الأخطار لا سيما خطر عواصف البحر الهائجة التى كان من الممكن أن تغرق سفنهم ومراكبهم ، ثم الهجمات المسلحة من جانب المسلمين (٢٠) الذين كانوا يجاهدون أعداءهم فى تلك البقاع ٠

ومع ذلك ، فيبدو أن مصاعب الطريق البحرى السابقة الاشارة قد دفعت بالبعض الآخر الى اتخاذ الطريق البرى الأكثر أمنا ، والذى من خلاله اجتازوا مناطق آسيا الوسطى الى شمال بلاد الشام ومنها الى فلسطين (٢١) ٠

ومع مقدم الحجاج الروس الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ، وجدت من بعد ذلك مؤلفات تتناول رحلة الحج الى تلك البقاع ، ويلاحظ هنا أن رحلة دانيال Daniel تعد وبحق ــ كما يلاحظ البعض ــ أول أثر من جنسها لكاتب روسى (٢٢) ، ومع ذلك فان معلوماتنا منه قليلة وغير مؤكدة ، ونستمد بعضا منها من خلال رحلته نفسها ، ونعرف أنه من المحتمل أنه قدم من مقاطعة تكريلكوف Tchernigov الروسية فى روسيا الصغرى Little Russia ، ومن المفترض أنه هو دانيال الذى عمل أسقفا لمنطقة سوريف Suriev فى عام ١١١٥ م ، والذى أدركته منيته فى يوم التاسع من سبتمبر من عام ١١٢٢ م (٢٤) ٠

أما فيما يتصل بالرحلة الزمنية التى جرت خلالها رحلة دانيال ، فهناك عدة تصورات فى هذا الشان ، فالملاحظ أنه يذكر فى ثنايا رحلته اشارة الى الدوق الروسى الكبير ميشيل سفياتوبولك اسيا سلافويتش Michet Svfatopolk Isiaslavowitsch (١٠٩٣ ــ ١١١٣م) والملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ ــ ١١١٨م) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ، ويذكر أن مدينة عكا Acre قد سقطت فى قبضة الصليبيين ، ولما كانت تلك المدينة قد سقطت فى أيديهم فى ٢٦ مايو عام ١١٠٤م ، فان البعض يرى أن الرحلة من الممكن تصور أنها جرت خلال المرحلة من عام ١١٠٤ الى عام ١١١٣م كذلك فان الأب دانيال أشار الى أنه صاحب الملك الصليبى خلال حملة قام بها ضد دمشق ، ووفقا لتحديدات هاجنماير فانه يرى أن تلك الحملة من جانب الصليبيين قد حدثت فيما بين عامى ١١٠٦م ــ ١١٠٧م ، وهناك تصور آخر يرى أن رحلة ذلك الرحالة الروسى ، لا نجد فيها أية اشارة عن البطريرك اللاتينى وذلك خلال حديثه عن احتفال (الشعلة المقدسة) وأن أحد الأساقفة قد حل مكانه ، ويقرر البعض أنه لم يكن هناك بطريرك لاتينى فى بيت المقدس خلال عيد الفصح لعام ١١٠٧م ، وقد غادر البطريرك دايمبرت

Dagobert المدينة فى عام ١١٠٣م ، واتجه من كان بديلا له ونعنى به ابريمار Ebremar الى روما فى عام ١١٠٦م ، وهكذا فان أسبوع عيد الفصح الذى أمضاه دانيال فى المدينة من المرجح انه كان خلال عام ١١٠٧ وهكذا فان التصور الأقوى ، أن تكون تلك الرحلة قد تمت خلال المدة من عام ١١٠٦ الى عام ١١٠٧ م تقريبا (٢٥) .

ويلاحظ أن دانيال قد حرص فى رحلته على أن يعرض للطريق الذى سلكه الى أن وصل المدينة المقدسة ووصف الطريق الى القسطنطينية وأهم المناطق التى مر بها مثل مدينة هيراكليوم Heracleum وأشار الى جزيرة كريت Crete ولم ينس الاشارة الى العديد من القديسين وأماكن قبورهم ، كذلك تناول مدينة افسوس Ephesus (٢٦) وجزيرة بانتوس Pantos (٢٧) وكذلك جزيرة قبرص Cyprus ويهمنا فى الواقع الاشارة الى تلك الجزيرة الأخيرة التى لعبت دورا هاما وحيويا فى الحركة الصليبية كنقطة عبور الى بلاد الشام ، ومركز تقهقر ـ بعد فشل المشروع الصليبى هناك فى أخريات القرن الثالث عشر م ـ ظل يقوم بدوره الهجومى ضد المسلمين ، وقد وصفها بانها ذات امتداد عظيم وانها عامرة بالسكان بصورة كبيرة ، ومنتجة لكافة أنواع المنتجات ، كذلك أشار الى أنها ـ على المستوى الكنسى ـ تشتمل على عشرين أسقفية ، واورد اشارات عن بعض القديسين الذين دفنوا فيها (٢٨) .

ويلاحظ أن ذكر دانيال لجزيرة قبرص جاء بصورة ضمنية ولم يتناولها بالتفصيل ، اذ أنه تناولها كنقطة عبور الى فلسطين ، ومن ثم انتفت فى رحلته أية اهتمامات سياسية ، أو اقتصادية ذات أهمية كبيرة بشأن تلك الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى الهام .

ومهما يكن من أمر ، فهناك ملاحظة عامة بشأن رحلة الأب دانيال ، اذ أنه يستعمل المقاييس الروسية عندما يذكر الأبعاد والمسافات التى بين المدن التى أوردها فى رحلته ، وفى هذا الصدد يستعمل تعبير Verses ، والفرس ، وحدة قياس روسية تساوى ٣٥٠٠ قدم (٢٩) .

وقد أوضح ذلك الرحالة فى ثنايا رحلته ، أنه بفضل من الله وتوفيقه ، وجد لدى لورا ساباس Laura of St. Sabas (٣٠) ، أحد الرجال الاتقياء الورعين الطاعنين فى السن ، وقد اتخذه مرشدا ودليلا من أجل معاونته فى رحلته فى البقاع

المقدسة سواء فى بيت المقدس Jerusalem أو فى غيرها من المناطق مثل طبرية Tiberia ، وجبل الطور Tabor ، والناصرة Nazareth وغيرها ، وقد مكث الاب دانيال مدة وجيزة فى لورا القديس سباباس St. Sabas (٣١) ، ومن هناك تمكن من زيارة كافة المناطق التى تاقت نفسه الى زيارتها ، ويقرر استحالة زيارة تلك الأماكن والتعرف عليها ، دون أن يكون فى رفقة الزائر دليل وترجمان ٠

والجدير بالذكر أن اشارة ذلك الرحالة الى الدليل الذى عاونه فى رحلته لها قدرها من الأهمية ، اذ أن أولئك الحجاج وخاصة أولئك الذين وطئت أقدامهم تلك البقاع لأول مرة ، أتوا من كافة البقاع المسيحية واحتاجوا أشد الاحتياج الى من يرشدهم أثناء رحلتهم فى انحاء فلسطين المختلفة ، ومن الطبيعى أن من عمل فى مجال الارشاد كان عارفا بجغرافية المنطقة ، وأهم المعالم المقدسة بالنسبة للمسيحيين فيها ، أما الترجمان – والذى اشار اليه الأب دانيال فى موضوع آخر – فكان عليه أن يكون عارفا بلغات الشعوب التى يقوم أبناؤها بالحج الى المنطقة ، ولا ريب فى أن ذلك كان من عوامل اتجاه العديدين الى العمل فى مثل تلك الانشطة خاصة خلال مناسبات الأعياد الدينية المسيحية المتصلة بمناسبات تتعلق بالسيد المسيح والسيدة مريم العذراء والقديسين ، اذ من المتوقع ازدياد أعداد الحجاج القادمين لزيارة تلك المواضع المقدسة على نحو ضمن للمشتغلين بالارشاد ارباحا مجزية على ما يبدو ٠

وقد احتوت رحلة دانيال على اشارات سياسية وحربية لها جانبها من الأهمية ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما تناول بالاشارة مدينة يافا ذكر أنها لا تبعد كثيرا عن بيت المقدس ، وتقع على ساحل البحر ، حيث يتم الارتحال الى بيت المقدس برا ، وتبلغ المسافة بينهما ٣٠ فرسخ(٣٢) وهناك فى منطقة مسطحة تؤدى الى كنيسة كبيرة كرست للقديس جورج St. George (٣٣) ، وهى تضم الى جانب المذبح ، قبة القديس التى استشهد ، وقد ذكر أن هناك عدة ينابيع فى ذلك المكان حيث يقدم اليه الحجاج من أجل أن ينالوا قسطا من الراحة فى المساء ،، ويكمل الاشارة الهامة فيقول أن أولئك الحجاج فى رعب بالغ ، ذلك لأن المكان تم هجره و يبعد كثيرا عن عسقلان(٣٤) ، حيث يذبح العرب الحجاج فى ذلك الطريق ويرتبط الرعب والفزع بذلك المكان حتى المنطقة التى يدخل منها المرء الى الجبال ، ويقرر أن الطريق الواقع من يافا الى بيت المقدس ، يمتد فى منطقة ذات جبال صخرية ، وهو مخيف للغاية(٣٥) ٠

إن اهمية النص السابق الذى ذكره ذلك الرحالة يتمثل فى أنه يوضح صــورة صادقة لطريق يافا ــ بيت المقدس ، وهو طريق على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة الصليبية حينذاك ، اذ أنه الممر الحيوى والرئيسى الذى سلكه الحجــاج القادمون من أوربا لزيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين ، ويلاحظ أنه خـــلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الاستقرار الصليبى فى المنطقة ، لم يكن الصليبيون قــد دعموا سيطرتهم على مناطق متعددة ، ومن ثم قامت حركة مقاومة من جانب المسلمين ضــد عناصر الحجاج ، ولا شك من أنهم كانوا يقومون بدورهم فى الجهــاد ضــد أعداء دينهم ، خاصة أن من اولئك الحجاج من قدم عونه الحربى لخدمة الصليبيين فى بلاد الشام ٠

والواقع أن اهمية الطريق الممتد من يافا الى بيت المقدس ترجع أيضــا الى انه الطريق الذى سوف تعهد مملكة بيت المقــدس الصليبية ، فيما بعــد ، بأمر الدفاع عنه الى عناصر فرسان الداوية Templars ، ما يدلل على أن الصليبيين تلقوا هجمات مؤثرة عبره ، ومن المرجح أن عناصر البــدو ساهموا بنصــيب هــام فى هذا المجـــال ٠

ومع ذلك ، ينبغى أن نقرر انه خلال رحلة دانيال وتنقله فى أنحاء المملكة لم يكن الخطر الاسلامى من خلال ذلك الطريق فحسب ، بل أن هجمات المسلمين تزايدت فى صورة حامية عسقلان Ascalon وقامت تلك الحامية بثلاث غزوات رئيسية ضــد املاك الصليبيين فى أعوام ١١٠١ م ، ١١٠٢ ، ١١٠٥ م ، وثلاث غزوات صـــغيرة خلال أعوام ١١٠٧ م ، ١١١٣ م ، ١١١٥ م ويقرر فوشيه الشارترى Fulcher de Chartres انه على الرغم من قلة عدد رجال حامية عسقلان الا انهم أحيانا تفوقوا على القوات الصليبية ووصلوا الى أسوار بيت المقــدس وأشــعلوا بعض الحرائق هناك(٣٦) ، وشكلت تلك المدينة آخر قاعدة للأسطول الفاطمى فى بـــلاد الشام(٣٧) ، ولا ريب فى أن الصليبيين سـعوا ما وسـعهم السـعى نحو اسقاطها واخضاعها لسيطرتهم السياسية على نحو فصله مؤرخهم وليم الصورى William of Tyre فى تاريخه(٣٨) ٠

وهكذا ، فقد افادت تلك الرحلة فى توضيح طبيعة الأخطار الحربية والاوضاع الأمنية القلة التى عانى منهــا الصليبيون خــلال الرحلة المبكرة من تاريخهم فى المنطقــة ٠

ومن جهة أخرى ، فان ذلك الرحالة الروسى عندما وصف بحيرة طبرية ، اشار الى أن الملك الصليبى بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨م) - ويسميه خطأ أمير بيت المقدس Prince of Jerusalem على الرغم من أنه كان ملكا متوجا - كان يعتزم شن حملة حربية ضد الأعمال الدمشقية وقد اتخذ طريقه بالقرب من بحيرة طبرية ، وقد رآه دانيال خلال سيره الى هناك ، وحياه وطلب منه أن يكون مرافقا له ، من أجل أن يرى بقية الأماكن المسيحية المقدسة ، فوافق الملك الصليبى على مطلب دانيال وجعله فى صحبته(٣٩) .

وعلى الرغم من أهمية تلك الاشارة فى القاء الضوء على الصراع القائم بين مملكة بيت المقدس الصليبية وأتابكية دمشق ، الا أن ذلك الرحالة لا يذكر تاريخا محددا لتلك الغزوة الصليبية الموجهة صوب الأعمال الدمشقية ، ومع ذلك فانه وفقا لتحقيقات هاجنماير Hagenmeyer ، فانه يذكر أن تلك الحملة من المرجح أنها وقعت فيما بين عامى ١١٠٦ م ، ١١٠٨ م(٤٠) .

والجدير بالذكر أن المصدر التاريخى العربى المعاصر لتلك المرحلة المبكرة من تاريخ الوجود الصليبى فى بلاد الشام يتمثل فى ما ألفه ابن القلانسى فى صورة كتابه ذيل تاريخ دمشق ، وقد أورد ضمن حوادث عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م اشارة الى تزايد فساد الصليبيين فى أعمال السواد وقيامهم بالتخريب والنهب والسلب هناك وأن ظهير الدين طغتكين قام بجمع قواته ونهض لملاقاة الأعداء ، وأن الأخبار بلغت الملك الصليبى بلدوين - ويسميه بغدوين - فنهض اليه من طبرية ، وحدث صدام حربى بين الجانبين ، واستولى طغتكين وقواته على حصن صليبى هام بالقرب من طبرية ، وأن الطرفين وضعا فى حالة استنفار واستعداد للنزال ، غير أن الصليبيين عادوا أدراجهم الى طبرية ثم منها الى عكا(٤١) .

والواقع أن هناك بعض العوامل التى تدفعنا الى تصور أن الحملة التى وجهها الملك بلدوين الأول صوب المناطق التابعة لأتابكية دمشق والتى رافق دانيال قسما منها هى التى جرت فى عام ١١٠٦م ، والتى أشار اليها ابن القلانسى فى تاريخه ، ويمكن اجمال ذلك فى النقاط التالية :

- اتفق كل من ابن القلانسى ودانيال على أن طبرية كانت بمثابة القاعدة الحربية الصليبية لشن تلك الغزوة .

ـ أوضح ابن القلانسي أن الصليبيين لم يحققوا اية مكاسب حربية على اتابكية دمشق ، وهذا ما أوضحته رحلة الأب دانيال ـ بصورة ضمنية ـ إذ خلت من أية اشارة الى انجازات حربية تمكن الصليبيون من تحقيقها وفي حالة افتراض تمكنهم من تحقيق ذلك لما تردد ذلك الرحالة في أن يشير الى تلك الانجازات الحربية ، ولكن ذلك لم يحدث .

ـ ان الرحالة دانيال ذكر في رحلته ما يفيد بأن حملة بلدوين استغرقت عشرة ايام فقط ، وفي نفس الحين فان نصوص المؤرخ الدمشقي السالف الذكر تعطي لنا انطباعا بذلك الأمد القصير للصدام بين الطرفين ، ويدعم ذلك التصور ، قلة ما أورده بشأن الصدام بين اتابكية دمشق والمملكة الصليبية حينذاك مما يعكس أن الصراع لم يتسع نطاقه ولم يدم امدا طويلا ، ثم ان المناطق التي ذكرها مثل حوران ، وطبرية ، وعكا ، لا تحتاج الى مدة زمنية طويلة في ادارة حملة حربية محدودة الهدف .

وهكذا ، فان أوجه التشابه بين ما ورد لدى الرحالة الروسي ، والمؤرخ الدمشقي تدفعنا الى أن نرجح الاحتمال سالف الذكر .

ومهما يكن من امر ، فان دانيال يوصف بانه شاهد عيان معاصر لتلك الحملة ، غير انه اشار اليها بصورة موجزة نظرا لعدم مشاركته الفعلية فيها :

وامتدادا للجانب السياسي والحربي ، نجد ان ذلك الرحالة عندما اشار الى جبل لبنان ، ذكر انه لم يصعد اليه خوفا من الكفار[٤٢] (يقصد العرب) واشار الى أن الأدلاء الذين صاحبوه في رحلته طلبوا منه الا يصعد اليه حرصا على حياته من الهلاك .

وتفيد تلك الناحية في توضيح ان جبل لبنان حينذاك سكنته عناصر معادية للوجود الصليبي في المنطقة ، وربما كانت تلك العناصر من الدروز الذين سكنوا البقاع الجبلية الوعرة المنعزلة والذين استقروا هناك من قبل مقدم الصليبيين الى بلاد الشام ، وهذا يعني انه بالاضافة الى الموارنة الذين اشار اليهم وليم الصوري والذين عاونوا الصليبيين[٤٣] ، وجدت عناصر أخرى تسكن ذلك الجبل تناصب الصليبيين العداء ومن المعروف أن الأخيرين دخلوا في صراعات دموية مع الدروز الذين حلت بهم مذابح كبيرة من جراء العدوان الصليبي على المنطقة .

وفضلا عن ذلك ، احتوت رحلة ذلك الرحالة الروسى على جوانب هامة ذات طبيعية اقتصادية ، ويتمثل ذلك فى تناوله لمصادر المياه والعيون وكذلك ذكره لاشتهار بعض المدن الفلسطينية بانتاج بعض المحاصيل والمنتجات الزراعية ، ونجده عند تناوله مدينة بيت المقدس يذكر أنها محاطة بالعديد من الوديان والجبال ولا تتوافر بها على الاطلاق المياه ، ولا يجد المرء بالقرب منها نهرا ، أو عيونا ، أو ينابيع باستثناء عين سلوان Pool of Siloe ، ولذلك فان سكانها لا يجدون الماء الا فى صورة مياه الأمطار[٤٥] .

وقد تناول دانيال نهر الأردن ، والانهار التى تجرى فى جبل لبنان وذكر انها بلغت اثنى عشر نهرا ، ومن الملاحظ انه عندما اشار الى نهر الأردن مثلا ذكر أن مياهه تجرى متدفقة ، وانها صالحة للشرب ولا تؤذى المعدة ، ويعتبره مثل نهر ـــــــنوف[٤٦] فى روسيا ، ويبدو أن تجمد عدد من الأنهار فى بلاده من جراء الانخفاض الحاد فى درجة الحرارة فى فصل الشتاء ، جعله يلاحظ انهار بلاد الشام ويتحدث عنها بهذه الصورة ، ويعقد مقارنة بين أوجه الاتفاق والاختلاف بين انهار روسيا وبلاد الشام .

وبالاضافة الى ذلك ، نجده يشير الى مدينة نابلس على أن بها كافة انواع المنتجات ووقعت بين جبلين شاهقين فى الارتفاع وتحوى عددا من ينابيع المياه العذبة ، وبها العديد من الأشجار المثمرة بشتى انواع الفاكهة[٤٧] ، وتجلب بيت المقدس كثيرا من احتياجاتها من نابلس ، كذلك ذكر أن الأخيرة تنتج الزيت بكميات وفيرة[٤٨] ، وتعد اشارته عن تلك المدينة الأخيرة ذات اهمية اقتصادية ، وهى توضح اشتهار نابلس بانتاج الزيت على نحو خاص ، ثم انه أوضح الصلات التجارية بين المدينتين من ناحية أخرى ، ويلاحظ أن كل مدينة من مدن الشام التى اشتهرت بانتاج سلعة معينة كانت مجالا لتصديرها الى المناطق الأخرى التى احتاجتها .

ومن جهة أخرى ، نجده عندما يتناول بحيرة طبرية ، يشير الى مياهها العذبة ، وانها عامرة بمختلف انواع الأسماك[٤٩] ، وبها نوع معين يقال ان السيد المسيح عليه السلام كان مغرما به ، وقد حرص الرحالة دانيال على أن يتناوله تيمنا به[٥٠] ، ومن خلال تناوله لتلك الناحية ، من الممكن تصور أن تجارة الأسماك ازدهرت من خلال الحجاج المسيحيين الذين توافدوا بالآلاف على تلك المنطقة . مع ملاحظة أن أعدادهم تزايدت بصورة مستمرة ، وانهم زاروا اقليم الجليل ، وبحيرة طبرية ،

وخاصة بعد خضوع المنطقة للسيادة الصليبية ، فمن المنطقى ان نعتقد ان صـــيد الأسـماك من تلك البحيرة ، والمتاجـرة فيها مثل احـد عوامل ازدهار المنطقـــة تجــــاريا([٥١]) ٠

وعلى الرغم من اهمية الساحل الفلسطينى فى حركة التجـارة العالمية خـلال تلك الرحلة ، الا ان الملاحظ ان الرحالة دانيال لا يقدم اشارات ذات دلالات اقتصادية تجارية هامة بشأن تلك المنطقة الحيوية ، ونجـده اكتفى بايراد اسـماء بعض المدن الساحلية دون ان يوضح دورها على الصعيد التجارى ، ومن ذلك قوله ان ارسوف Tarsuf ([٥٢]) بعدت عن قيسارية ويسميها Caesaria وهى التى يذكرها على انها Philippi مسافة ٢٤ فرسخ عبر طريق بامتداد الساحل([٥٣]) ، اما حيفا ويذكرها Caipha ، فيشير الى ان المسافة بينها وبين جبل الكرمل تبلغ فرس واحد([٥٤]) ٠ وعندما ذكر مدينة عكا اشار الى انها مدينة كبيرة ، صلبة البناء ، ذات ميناء حسن وكانت تابعة من قبل للعرب والآن ــ وقت قيامه برحلته ــ خاضعة لسيطرة الفرنج([٥٥]) ، ومن المعروف ان تلك المدينة سقطت فى قبضة الصليبيين في عام ١١٠٤ م ٠

ومن الملاحظ ان اهمية منطقة الساحل الشامى بصفة عامة ، والفلسطينى على نحو خاص ، والتى لم تحظ باهتمام ذلك الرحالة الروسى ، لا سـيما من الزاوية الاقتصادية التجارية سنجدها تتضح لدى رحالة آخرين زاروا مملكة بيت المقـدس الصليبية خلال الرحلة التالية على قيام دانيال برحلته ٠

اما الجانب الدينى فى الرحلة ، فنجد ان ذلك الرحالة قدم لنا وصفا تغلب عليه المسحة الدينية عند حديثه عن مدينة بيت المقدس ، ويقـرر انها وقعت وسـط جبال صخرية ، وعند الاقتراب منها يجد المرء اولا برج داود ([٥٦]) Tower of David ومن بعد ذلك عندما يتقدم قليلا يجد جبل الزيتون Mountain of Olives وقدس الاقداس Holy of Holies ، وكنيسة القيـامة Church of Resurrection ([٥٧]) ، ويقرر ان كل مسيحى يغمر قلبه فرح بالغ ، وحبور عظيم ، عند رؤية المدينة المقدسـة ، وتذرف العبرات من عيون المؤمنين ، ولا يستطيع احد ان يملك مشاعره ، بل انهم يجهشون بالبكاء عندما يرون المواضع التى ارتبطت بالسيد المسيح([٥٨]) ، ويقرر ان جبل صهيون Mountain of Sion يواجه مدينة بيت المقدس من جهة الجنوب ، وعليـه شيدت المدينة القديمة ، التى دمرت على يد نبوخذ نصر ، ملك بابل فى عهـد النبى جرميا Jeremiah ([٥٩]) ٠

وفضلا عن ذلك ، تحتوى الرحلة على جوانب مختلفة تتصل بالسيد المسيح عليه السلام ، فقد أشار مؤلفها الى الموضع الذى استطاع فيه - بعون الله تبارك وتعالى - أن يطعم خمسة آلاف رجل فضلا عن النساء والأطفال بخمسة أرغفة من الخبز(٦٠) ، كذلك الموضع الذى ظهر فيه السيد المسيح للحواريين بعد اليوم الثالث من دفنه - كما يتصور المسيحيون - وحدد ذلك الموضع بأنه بالقرب من ساحل بحر الجليل عند أسفل جبل هناك (٦١) ، كذلك تناول الكهف الذى أقامت فيه السيدة مريم عليها السلام والدة السيد المسيح(٦٢) ، وأشار الى مدينة السامرة Samaria وما حدث بين السيد المسيح والسيدة السامرية(٦٣) ، وعند كنا الجليلية تم - بفضل الله جل شأنه - تحويل الماء الى خمر(٦٤) على يديه ، وهى أمور يكثر ترددها فى مؤلفات الرحالة الأوربيين فى ذلك العصر .

وعندما تحدث عن جبل الطور Tabor ، أشار الى ارتباطه بذكريات المسيحية فى عهدها المبكر ، وقد تسلق الجبل بعد جهد جهيد امتد الى عدة ساعات من أجل الوصول الى قمته ، وهناك وجد الموضع الذى تجلى فيه السيد المسيح (٦٥)، كما يعتقد المسيحيون ، وقد قرر أن هناك كنيسة مكرسة للتجلى ، وأخرى مكرسة للنبى موسى والياس (٦٦) .

ونتخلص من ذلك ان الرحالة الروسى دانيال سعى ما وسعه السعى - فى ثنايا رحلته - الى الربط بين كافة الأماكن التى زارها بذكريات المسيحية فى عهدها المبكر فى فلسطين ، حقيقة أن مثل ذلك الاتجاه نجده لدى غيره من الرحالة ، الا انه بالنسبة لدانيال نجد ان الأمر يتزايد لديه بصورة واضحة على امتداد رحلته .

وعلى الرغم من ذلك ، هناك بعض أوجه القصور التى تؤخذ على مؤلف الرحلة ، ويمكن اجمالها فى الآتى :

أولا : أحيانا اتجه دانيال الى تكرار بعض الأفكار التى أوردها فى رحلته ، وقد تمثل ذلك بوضوح عند تناوله لنهر الأردن ، اذ ذكر أنه يشبه نهر سنوف Snov (٦٧) فى روسيا ، ثم انصرف الى حديث آخر ، ومن بعد ذلك عاد مرة أخرى ليكرر نفس الأمر(٦٨) ، ويلاحظ هنا ، انه كان يعقد مقارنة بين موطنه ، وتلك المناطق الجديدة التى يقوم بزيارتها والترحال فى ربوعها ، غير أن هذا لا يبرر له تكرار الأمر بمثل هذه الصورة .

ثانيا : هناك بعض الأخطـاء الجغرافية التى وقع فيهـا خاصـة فيما يتعلق بأبعاد وأطوال المسافات الفاصلة بين المدن التى ورد ذكرها فى ثنايا رحلته ، ومن أمثلة ذلك تحديداته لمواقع كفر ناحوم واللد والرملة(٦٦) الى غير ذلك ، ويبـدو أنه أخذ أقوال بعض معاصريه من سكان البلاد المحليين كحقيقة واقعة فاوردها دون أن يتثبت منها ، ومن مدى صحتها ، ويلاحظ فى هذا المجال أن بلاد الشام بصفة عامة، لم تكن معروفة تمعرفة كاملة من جانب الصليبيين فى أول عهد احتلالهم لاجزاء منها، فى أخريات القرن الحادى عشر م وأوائل القرن الثانى عشر م ، ولذلك احتاجوا الى الادلاء من السكان المحليين من أجل ارشادهم عن طبوغرافية البلاد ، وبين أن مثل تلك الأخطاء فى تحديدات المدن الفلسطينية قد وجد فى رحلة دانيال ، وبصفة عامة نتوقعه فى الرحلات المبكرة لفلسطين فى أول عهد الصليبيين ، غير أن الأمر تغير بعد ذلك ، خاصة بعد تزايد المعرفة الجغرافية لدى الصليبيين وتزايد خبرتهم بطبيعة المنطقة ·

ثالثا : من الملاحظ غلبة التكوين الدينى على عقلية دانيـال ، على نحو أدى الى قلة الاهتمام بالجوانب الاقتصادية لاسيما التجارية ، ويمكن أدراك سبب ذلك من خلال غلبة الظاهرة الدينية لذلك العصر ، فضلا عن أن عمل ذلك الرحالة فى السلك الكنسى قد أملى عليه أن تكون له تلك الاهتمامات الدينية ·

ومع ذلك ينبغى الا نغفل حقيقة هامة ، الا وهى أن تناول الجوانب غير الدينية سنجده يتزايد لدى الرحالة الآخرين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية ، فى المرحلة التالية على قيام دانيال الروسى برحلته ·

مجمل القول ، أن رحلة الرحالة دانيال ، افادت فى القـاء الضوء على جوانب مختلفة من أوضاع مملكة بيت المقدس الصـليبية خـلال تلك المرحـلة المبـكرة من تاريخها ·

الهوامش

(١) صدرت عدة ترجمات لرحلة دانيال الروسى ، وهى باللغات الفرنسـية ، واليونانية ، والألمانية ، والانجليزية ، فهناك ترجمة الى الفرنسية قام بها دى نوروف De Noroff وصدرت فى سان بطرسبرج فى عام ١٨٦٤ م ، عنها انظر :

Pelerinage en Terre Sainte de L'igouméne Russe Daniel au commencement du XIIème Siècle, Traduit par A. de Noroff, St. Petersbourg 1864.

وفيها نجد النص الروسى مصحوبا بالترجمة الفرنسية ٠

أما الترجمة الى اليونانية فقام بها الراهب ابيفـانيوس Epiphanius وصدرت فى سان بطرسبرج عام ١٨٦٧ م ٠

وهناك ترجمة الى الالمانية قام بها الهر ليسكين Herr Leskien فى مجلة الجمعية الالمانية الفلسطينية والتى اصدرتها الجمعية الالمانية لأبحاث فلسطين فى الجزء الخامس الصادر فى عام ١٨٨٤م على مدى الصفحات من ١٧ الى ٦٤ ٠

عنها انظر :

Die Pilgerfahrt des Russischen Abtes Daniel in Heiligen Land, Aus dem Russischen Ubersetzt Von A. Leskien, in Z.D.P.V.. Vol. VII, Leipzig 1884, P.P. 17—64.

ثم صـــدرت طبعة جديـــدة للنص الروسى ونشرت من جانب جمعية فلسطين الروســية Russian Palestine Society وذلك على يـد م٠ ا٠ فينيفيتينوف M. A. Venevitinov ، اعتمادا على المخطوط رقم ١٤٩٦ فى المكتبه الامبراطوريه فى سان بطرسبرج ، والذى تمت مقارنته باثنى عشر من أكمل النسخ الخطيه لرحله دانيال الروسى ٠

ويلاحظ أن ولسون فى تقديم الترجمة الانجليزية للرحلة والمنشورة فى مجموعة P.P.T.S. ، لا نجده يوضح تاريخ الطبعة السابقة ، ولكن بفضل دراسة هانز ماير Hans Mayer عن بيليوغرافيا تاريخ الحروب الصليبية ، امكن معرفة الأمر بصورة اكثر دقة ، اذ أن فينيفيتينوف نشر عمله فى P.P.S. وهى اختصـــار لـــ Pravoslovnig Palestinskij Sbornik فى المرحلة من ١٨٨٣ الى ١٨٨٥م ٠

عن هذه الاشارة الأخيرة انظر :

Hans Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965, P. 64.

وفضلا عن ذلك ، هناك ترجمة فرنسية لجهد م· أ· فينيفيتينوف قامت به مدام سوفيا خيترو Sophia Khitrowa وصدرت من جانب جمعية الشرق اللاتينى Société de l'Orient Latin

وتجدر الاشارة الى أن ولسون فى نفس المقدمة السابق الاشارة اليها لا يذكر عنوان الكتاب الذى احتوى على جهد سوفيا خيترو ، والواقع أن عملها صدر فى كتاب عن رحلات روسية فى الشرق ، المجلد الأول ، ط جنيف ١٨٨٩ م ·

De Khitrowo, Itineraires Russes en Orient, Geneva 1889.

وبالاضافة الى ما سبق ، هناك ترجمة الى الانجليزية قام بها ولسون Wilson ونشرت ضمن مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الرابع ، والصادر فى لندن عام ١٨٩٥م ، عنها انظر :

Pilgrimage if The RussianAbbot Daniel in The Holy Land. Trans. by Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895.

ومن المهم أن نقرر هنا أن ولسون لم يترجم الرحلة عن النص الروسى الأصل. ولكن من خلال الترجمة الفرنسية التى قامت بها سوفيا حيترو ·

عن طبعات رحلة دانيال وترجماتها الى عدة لغات عالمية وأهم الدراسات بشأنها ، أنظر ·

Wilson, Intosuction, P. XIV.

Tobler, Bibliographica Geographia Palaestinae, P. 14.

Hans Mayer, Bibliographia Zur geschichte der Kreuzzuge, P. 64.

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P.P.30—32

Seemann, Daniil Wallfubrsbericht mit eimer Einleitung und bibliographischen Hinweisen, Munichen 1970.

والدراسة الأخيرة عبارة عن تقرير اخبارى عن رحلة دانيال المطولة مع تمهيد وبيان بيليوغرافى · وقد أشار اليها فريونيس ضمن دراسته الهامة عن الرحالة كمصدر لمجتمعات الشرق الأوسط فيما بين عامى ٩٠٠ ـ ١٦٠٠ م · وصدر عمله ضمن مجموعة أبحاث مقدمة لشرف البوفمير خرانيس المتخصص فى الدراسات البيزنطية ·

عن ذلك انظر :

Vryonis, «Travelers as asource for the societies of the middle east, 900—1600», in Charanis Studies, Essays in Honour of Peter Charanis, ed. A.E. Liaou — Thomadokis, New York 1980, P. 310.

وأيضاً :

Atiya, The Crusades, Historiography and Bibliography, London 1962, P. 49.

(٢) Cole and German, A Geography of The U.S.S.R., London 1961, P. 7.

هسى ، العالم البيزنطى ، ت· رافت عبد الحميد ، ط· القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٥٢ ، حاشية (١٥) ·

وعن نهر الدنيبر انظر :

ابن سعيد المغربى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق العربى ، ط· بيروت ١٩٧٠م ، ص ٢٠٣ ـ ص ٢٠٤ ، بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان خنيس ، ط· تطوان ١٩٥٨م ، ص ١٢٦ ، ص ١٣٧ ·

(٣) وسام عبد العزيز فرج ، « الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط »، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ، الحولية (٩) ، الرسالة (٥٣) ، عام ١٩٨٨م، ص ٤٢ ·

وقد تركزت تجارة كييف مع القسطنطينية على الرقيق والفراء ، وفى المقابل كان التجار الروس يقومون بالحصول على المنسوجات والحبوب والتوابل ·

عن ذلك انظر :

ابن رسته ، الأعلاق النفسية ، ط· ليدن ١٨٩١ م ، ص ١٤٥ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ضمن كتاب الكسندر سيبل ، أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك والروس ، نصوص عربية ، ط· أوسلو ١٩٢٨ م ، ص ٧ ، ابن فضلان ، الرحلة ، تحقيق سامى الدهان ، ط· بيروت ١٩٨٧ م ، ص ١٢٣ ·

أيضا هاتين الدراستين :

شاكر خصباك ، « معطيات الفكر الجغرافى العربى فى بلدان شمال أوربا » ، مجلة وأراق ، المعهد الأسبانى العربى للثقافة ، العدد (٤) ، عام ١٩٨١م ، ص ٧ ·

نقولا زيادة ، « الطرق التجارية فى العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم » السنه (٥) ، العددان (٥٩) ، (٦٠) ، ١٩٨٣م ، ص ١٨ ·

(٤) نوفجورود Novogorod ، الواقع أن هناك مدينتين روسيتين تحملان هذا الاسم ، احداهما نوفجورود سيفيرسكى الواقعة على نهر ديسنا فى امارة نكرينكوف ، أما الثانية وهى الواقعة الى الجنوب من لينتجراد ، والمقصود هنا

الأولى ، وتعد بحق من أعرق المدن الروسية ، اذ يقرر البعض أن العناصر السلافية قامت بتأسيسها فى القرن الخامس م ، وتمتعت بمكانة اقتصادية هامة لا سيما على المستوى التجارى ، بفضل موقعها المتميز ، ومن جهة أخرى ، مثلت منطقة تركز سكانى على نحو دعم نشاطها الاقتصادى التجارى .

عنها وعن نشاطها الاقتصادى ، انظر :

مجهول ، قصة حملة الأمير ايفور ، ت. خميس حرج ، ط. موسكو ١٩٨٩ م ، ص ١٤٧ .

Bulkin, Novgorod, Trans. by Yori Pamfilov, Leningrad 1984.

Morfill, Russia, London 1907. P. 19.

Smitu, An Historical Geography of Western Europe before 1800, London 1969, P. 131, P. 174.

Sharaf, A Short History of geographical discovery, Alexanrria 1963, P. 159

فايز نجيب اسكندر مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨ م ، ص ٣٢ ، حاشية (٣٩) .

ليلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط. القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ٢١ .

(٥)

Oman, A Hist. of The art of War in The misdle ages, Vol. 1, London 1924, P. 208.

هسى ، المرجع السابق ، ص ٥٢ ، حاشية (١٩) ، وتجدر الاشارة الى أن البيرونى كان أول جغرافى عربى أورد ذكر بحر البلطيق واسماه بحر ورنك ، وسمى الشعوب الاسكندنافية باسم أمة ورنك ويقرر البيرونى أن بحر البلطيق يخرج من المحيط الى الشمال الى جهة الجنوب وله طول وعرض صالحان ، وورنك أمة على ساحله .

عن ذلك انظر :

البيرونى ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق سخاو ، ط. لبزج ١٩٢٣م، ص ٣٥ ، نفيس أحمد ، جهود المسلمين فى الجغرافية ، ت. فتحى عثمان ، ط. القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٣ ، أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ط. الكويت ١٩٧٩ م ، ص ٦٦ .

وعن بحر البلطيق انظر :

Christiansen, The Northern Crusades, The Baltic and The Catholic Frontier (1100—1525', Minnesota 1980, PP 6—41.

(٦) أولجا ، هى القديسة أولجا St. Olga ، وقد كانت من أوائل الحكام الاسكندنافيين الذين حكموا كييف Kiev وتحولوا الى المسيحية ، وقد اعتبرت أرملة الامبراطور ايجور Igor ، وتقدم بها العمر عندما تم تعميدها فى كنيسه القسطنطينية وذلك فى عام ٩٥٧م ، وبذلت مجهودات كبيرة من أجل اقناع الروس بضرورة الانضمام الى صفوف معتنقى المسيحية ، وقد أدركتها منيتها فى عام ٩٦٩م ، وتم اعتبارها قديسة ويتم الاحتفال بعيدها فى اليوم الحادى عشر من يوليو ، عن القديسة أولجا ، ودورها فى العلاقات الروسية ــ البيزطية انظر :

Attwater, Penguis dictionary of Saints, P. 338.

Wren, The Course of Russian History, New York 1953, P.P. 65—66.

Morfill, Russia. London 1904, PP. 24—25.

Florinsky, Russia, A Short History, New York 1964, P. 10, P. 18.

Beazley, Forbes and Birkett, Russia from the Varangians to the Bolsheviks, Oxford 1918, P. 52.

رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ت. عبد العزيز توفيق جاويد ، ط. القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٣٤٧ ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م ، ص ١٢٣ .

أما فلاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir ، فهو فلاديمير الأول بن سفيا توسلاف ، ولد فى عام ٩٥٥ م ، وتولى امارة كييف عام ٩٨٠ م تقريبا ، وهو ابن سفيا توسلاف بن ايفور من جاريته مالوشا لوبيتسانكا ، وفى عام ٩٦٩م أصبح فلاديمير أميرا على نوفجورود وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا ، وعزز أركان دوله روسيا القديمة بفضل حملاته المتوالية والنشطة ضد القبائل والشعوب المعادية ، وفى هذا المجال الحربى نجده قد قام بعمل خط دفاعى لمواجهة قبائل البجناك وذلك على نهرى ديستا وسوليو وغيرهما ، وهذه كانت المرة الأولى فى تاريخ روسيا التى صارت لهما حدود معينة ــ كما يقرر بعض العلماء السوفييت المتخصصين ــ وهناك من يقرر أن امارة فلاديمير مثلت مرحلة نهوض دولة كييف وارتبطت بتقوية الحكم الاقطاعى فى الداخل وحملات الغزو الموفقة وتطور الثقافة والزراعة والحرف اليدوية ، ويلاحظ انه بالنسبة لفلاديمير نفسه ، فقد توفى فى عام ١٠١٥ م ، ومنح لقب قديس مثل جدته القديسة أولجا وصار يوم عيده هو الموافق الخامس عشر من يوليو ، ويقرر ول ديورانت أن فلاديمير لقب بفلاديمير الخامس Vladimir V والواقع ن هذا القول جانبه الصواب على ما يبدو اذ أن فلاديمير صاحب كافة الانجازات السابقة هو الأول وليس الخامس ، عن ذلك انظر :

مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ ٠

Attwater, Penguin dictionary of Saints, P. 338—339.

وعن رأى ول ديورانت انظر :

قصة الحضارة ، عصر الايمان ، ت٠ محمد بدران ، حـ (١٤) ، ط٠ القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٩٩ ٠

(٧) عن اعتناق فلاديمير المسيحية انظر :

Meyendorff and Paynes, «The Pyzantine inheritance in Russia», in paynes and Moss, Pyzantium, an introduction to east Roman civilization, Oxford 1952, P. 371—372, Vasiliev, History of The Pyzantine Empire, Vol. I, Madison 1958, P. 323. Ostrogorsky, History of The Pyzantine State, Trans. by Hussey, Oxford 1960, P. 304, Browning, The Pyzantine Empire, New York 1980, P. 90, Franzius, Hist. of The Pyzantine Empire, New York 1967, P. 254—256, Brehier, Vie et mort de Pyzance, Paris 1946, P. 222, Wren, The course, PP. 59—60, Diehl, Hist. of The Pyzantine Empire, Princeton 1929, P. 89, Harcave, Russia A History, London 1954, P. 14, Pares, A History of Russia, London 196 P. 27, Rybarov, Early Centuries of Russia History, Moscow 1965, P. 51.

بوريس راوشنباخ ، « تعميد كييف » ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد التذكارى بمناسبة مرور الف عام على دخول المسيحية فى روسيا القديمة ، عدد رقم (٣٢٥أ ، يونيو ١٩٨٨ م ، ص ٤ ـ ص ٨ ، ليلى عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، وما بعدها ، أسد رستم ، الروم ، حـ ٢ ، ط٠ بيروت ١٩٥٦ م ، ص ٥٣ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ت٠ مصطفى طه بدر ، ط٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨٦ ، رتسيمان ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، دوسن ، تكوين أوربا ، ت٠ مصطفى زيادة وعاشور ، ط٠ القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٢١٦ ٠

(٨) ليلى عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ٠

(٩) Diehl, Op. Cit., P. 89.

Ostrogorsky, Op. Cit., P. 304.

وعن المساعدة التى قدمها فلاديمير للامبراطور باسيل الثانى انظر :

وسام عبد العزيز فرج ، « الامبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ٩٧٦ ـ ١٠٢٥م ، العوامل التى اثرت على السياسة فى عصره » ، ندوة التاريخ الاسلامى

والوسيط ، م (١) ، عام ١٩٨٥ م ، ص ١٨٨ ، دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، حـ ١ ، ط الاسكندرية ١٩٨٢ م ، ص ٣٢٠ ، عليه الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧ ـ ١٠٥٦ م، ط القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ١٢٦ ٠

(١٠) ولا نغفل أن المصاهرات السياسية بين الروس والبيزنطيين لم تكن مقصورة على مرحلة فلاديمير فقط ، بل انها استمرت فيما بعد ، ومن أمثلة المصاهرات السياسية التالية ، أن فزيفولد ابن ياروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الامبراطور قسطنطين التاسع Constantine IX Monomachus وذلك فى عام ١٠٤٦ م ، ومن الأمثلة الأخرى المتأخرة أن دوق روسيا ايفان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasilievitch (١٤٦٢ ـ ١٥٠٥ م) تزوج صوفى باليولوغوس Sophie Poleologue ابنة شقيق اخر الأباطرة البيزنطيين قسطنطين الحادى عشر Constantine XI (١٤٢٨ ـ ١٤٥٣ م) ، عن ذلك انظر :

عليه الجنزورى ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، فايز نجيب اسكندر ، المرجع السابق ، ص ٥ ـ ص ٦ ٠

(١١) Diehl, Op. Cit., P. 89.

(١٢) Harcave, Op. Cit., P. 14.

(١٣) Wren, Op. Cit., P. 52.

(١٤) Harcave, Op. Cit., P. 14.

(١٥) Pares, Op. Cit., P. 52.

(١٦) Harcave, Op. Cit., P. 14.

(١٧) Diehl, Op. Cit., P. 89.

ياروسلاف ، هو ياروسلاف الحكيم بن فلاديمير ولد عام ٩٧٨م ، بدأ نشاطه السياسى فى روستوف عندما قام بتولى أمور الامارة فيها ، ثم صار أميرا على نوفجورود وذلك منذ عام ١٠١٥ م ، وفى أعقاب وفاة فلاديمير ، خاض ياروسلاف صراعا دمويا عنيفا ضد أخيه سفيا توبولك حول عرش كييف ، ولم يتول ذلك العرش الا فى عام ١٠١٩م ، وذلك بعد أن يتمكن من إلحاق الهزيمة النكراء بأخيه ، ومن الأعمال التى تنسب اليه ، قيامه ببناء بوابة ذهبية لكييف ، وشيد فيها كنيسة للقديسة صوفيا ، على شاكلة تلك التى كانت لدى الامبراطورية البيزنطية ، كذلك قام بتشييد العديد من القلاع والحصون فى المناطق المتطرفة ، مثل مدينة يوريف وكذلك ياروسلافل على نهر الفولجا ٠ وفى الجانب الكنسى نجد انه أوفد أسقفا بيزنطيا فى عام ١٠٣٧م

الى كييف ، وصارت الأخيرة مقرا للأسقفية الروسية المرتبطة بالبطريركية فى القسطنطينية ، ويقال ان الأسقفية الروسية ذكرت للمرة الأولى فى الملخص الاسقفى المدون فى فترة حكم الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨ م)، وقد توفى ياروسلاف عام ١٠٥٤ م ، عنه انظر :

مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، علية الجنزورى ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ـ ص ١٦٣ .

Wren, Op. Cit., P. 63.

Kochan, The making of modern Russia, London 1962, P. 19.

(١٨) يوغوليتوبسكى ، « رحلة السائح الروسى دانيال الى الأراضى المقدسة فى أول عهد الصليبيين » ، مجلة الشرق ، السنة (٢٤) ، العدد (٩) ، ابريل ١٩٢٦ ، ص ٦٤١ .

(١٩) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ .

(٢٠) نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

والجدير بالذكر أن يوغوليوبسكى يذكر هجمات المسلمين على عناصر الحجاج على انها من قبيل أعمال القرصنة ، ولكن من المؤكد الرد على ذلك على اعتبار أن هجماتهم كانت من قبيل أعمال الجهاد ـ فى جانب منها ـ ضد كل من هو غير مسلم فى مرحلة الحروب الصليبية وكذلك فى المرحلة السابقة عليها ، ويبدو أنه شارك اتجاه بعض المستشرقين الذين نظروا الى المجاهدين من المسلمين فى البحر على انهم مجرد قراصنة هدفوا الى القيام بأعمال سلب ونهب السفن .

(٢١) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ .

(٢٢) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٨ .

(٢٣) Daniel, P.V.

وهناك رحالة روس قدموا الى الأراضى المقدسة فى فلسطين مثل القديس فارلام من كييف St. Varlaam وذلك فى عام ١٠٦٢ م ، غير أننا لا نملك تسجيلا مكتوبا لتلك الرحلة ، عن ذلك انظر :

Beazley, Vol. II, P. 155.

(٢٤) Daniel, P.V.

(٢٥) Ibid, P. VIII.

Beazlep, Vol. II, P.. 156, P. 127.

Ruhricht, P. 30.

(٢٦) Daniel, P. 3.

(٢٧) Ibid, P. 3.

(٢٨) Ibid, P. 7.

(٢٩) Ibir, P. 4, note (e).

(٣٠) فيما يتعلق بكلمة لورا Laura ، من الملاحظ أن الجماعات الديرانية الصغيرة فى مصر وفلسطين وبلاد الشام عموما أطلق عليها هذا التعبير ، ومثلت مرحلة هامة من مراحل تطور الحركة الديرانية ، واللورا كانت تمثل تجميعا لعدد من الصوامع المنفصلة تحت رعاية ليست محددة بصورة قوية من جانب أحد الرؤساء ، وكان أعضاؤها يلتقون فى أيام الآحاد من كل أسبوع خلال تناول الوجبة الرئيسية فى الحجرة المخصصة لتناول الطعام ، وخلال اقامة القداسات فى الكنائس الملحقة بها ، وهناك من يقرر انه على الرغم من أن كل صومعة كانت منفصلة عن الأخرى ، الا انها كانت متقاربة ، ويبدو أن ذلك الوضع المتمثل فى اللورا كان منتصف الطريق بين الناسك المتوحد والراهب المرتبط بحياة مشتركة ، أما مدلول كلمة اورا Laura ذاتها ، فهو غير محدد بصورة قاطعة ، ويرى البعض انها ربما تكون من كلمة لونيك Lonic ، أو انها معبرة عن ريح فى طريق ضيقة بين الصوامع أو ربما مثلت شكلا آخر من Labra وهى التى تعنى الزقاق الصغير ، ويرى البعض أن ذلك التعبير نجده فى المخطوطات القديمة على اعتبار انه السيق وجمعها أسياق، والواقع أن أقدم اللورات وجدت فى فلسطين وذلك فى القرن الرابع م ، وازدهرت من بعد ذلك لأمد بعيد . ولعل اكثرها شهرة هى تلك التى أقامها عدد من القديسين مثل القديس ساباس St. Sabas والقديس جيراسيموس St. Gerasimus والقديس ايوثيميوس St. Euthymius والامبراطورة ايو دوكيا Eudocia وهى فى غالبها الأعم تقع بالقرب من مدينة بيت المقدس ، وعلى الرغم من كافة الجوانب السابقة ، الا أن هناك عدة مخاطر تعرض لها الرهبان الذين ارتبطوا بتلك اللورات وذلك من خلال عدم خضوعهم لقواعد صارمة ، ودون أية قيود من أى نوع فضلا عن تعرضهم لاغراءات متعددة ، عن اللورات وأنظمتها وأنواعها انظر :

Ibid, P. 3, note (2).

Smith and Cheetham, The Dictionary of Christian Antiquity, Vol. II, London 1880, P. 934.

Cross, The Oxford Dictionary of Christian Church. London 1958, P. 790.

Attwater, Op. Cit., P. 301.

متى المسكين ، الرهبنة القبطية فى عصر القديس انبا مقار ، ط. القاهرة ١٦٧٢ م ، ص ٤٥ .

هسى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ ، حاشية (٢) ٠

رأفت عبد الحميد ، كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى ، ص ١٤٠ ، حاشية (٧٠) ٠

(٣١) Daniel, P. 3.

(٣٢) Ibid, P. 9.

(٣٣) Ibid, P. 9.

القديس جورج St. George هو جورج الشهيد ، عاش بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، واعتبر القديس الحامى لانجلترا ، ويعد أحد أكبر الشهداء المسيحيين شهرة فى عهد المسيحية المبكر ، ولازال صيته قائما وعلى نحو خاص فى الشرق ، ومع ذلك لا توجد مادة تاريخية محددة المعالم عن حياته ، ولكن هناك أسطورة نسجت حوله ، ومن المحتمل أن القديس جورج قد قتل فى اللد Lydda فى أخريات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الميلاديين وفى القرن السادس كان ينظر اليه على اعتبار أنه (رجل تقى صالح ، يعلم الرب وحده أفعاله وأعماله) ، ويلاحظ أن أسطورة القديس جورج توجد بصور متعددة ومختلفة ، على نحو مثل صعوبة أمام الدارسين الذين هدفوا الى الحصول على تفاصيل محددة عن حياته ، ويظهره كتاب سمى الأسطورة الذهبية The Golden Legend فى العصور الوسطى المتأخرة على أنه فارس قدم من كبادوكيا Cappadocia ٠ وقد راح جورج ضحية اضطهاد دقلديونس Diocletian ، ويقال انه قتل تنينا ، وهناك من يرى أن قصة التنين وارتباطها بذلك القديس قد أضيفت الى أسطورته فى أخريات العصور الوسطى ، أما كيفية جعل القديس جورج بمثابة القديس الحامى لانجلترا فان ذلك لا يتسم بالوضوح التام ، ويلاحظ أن اسمه كان معروفا فى انجلترا وأيرلندا منذ أمد بعيد سابق على الغزو النورمانى ، ومن المحتمل أن الصليبيين العائدين من بلاد الشام قد ساهموا فى دعم شعبيته ، وربما كن لقب القديس الحامى القومى قد حدث عندما أسس الملك ادوارد الثانى Edward II ما عرف بنظام The Order of The Gater وجعله تحت حمايته ، وتجدر الاشارة الى أنه فى عام ١٤١٥م صار يوم الاحتفال بالقديس جورج من أكثر الأيام المحتفل بها أهمية من جانب الانجليز ٠ واختير يوم ٢٣ ابريل يوم الاحتفال بذكراه ٠

عنه أنظر :

Ency. Brit., «St. George», Vol. V, London 1958, P. 198.

Ency. Amer., «St. George», Vol. XII, U.S.A., 1980, P. 508.

Chamber's Ency. «St. George», Vol. VI, London 1973, P. 238.

ATTwater, Op. Cit., P. 148.

أنظر أيضا الترجمة الانجليزية للمخطوط الأثيوبى عن القديس جورج :

George of Lydda, The Patron Saint of England, A study of the cultus of St. George in Ethiopia, Translation of The Ethiopic Text as Found in The Manuscripts from Mardala by Sir Wallis Budge, London 1930.

صباح محمود محمد ، « التنين فى المصادر العربية » ، ضمن كتاب دراسات فى التراث الجغرافى العربى ، ط. بغداد ، ١٩٨١م ، ص ٩٠ .

(٣٤) Daniel, P. 9.

(٣٥) Ibid, P. 9.

أنظر أيضا :

مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية فى بلاد الشام ، ص ٢٧٥ ، سيد فرج ، « القدس عربية اسلامية » ، الدارة ، العدد (٣) ، السنة (٨) ، يناير ١٩٨٤م ، ص ١٢ .

ويلاحظ أن طريق القدس ـ يافا سر بمناطق ذات طبيعة جبلية ، الى أن يصل الى السهل الساحلى ويبلغ امتداده سبعة وستين ك.م ، ويبدأ من غرب بيت المقدس من الباب العربى لها والمسمى بباب يافا ويستمر فى الامتداد على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وأبو غوش ثم الرملة ، وتجدر الاشارة الى أن من منطقة أبى غوش ينحدر الطريق الى الرملة ويطلق على الامتداد الواقع من جهة الرملة الى السهل الساحلى اسم باب الوادى ، وقد قام الصليبيون بتشييد ستة حصون فيما بين يافا والقدس وذلك من أجل تأمين الطريق ، عن ذلك أنظر :

سيد فرج ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، عبد الرحمن زكى ، « القلاع فى الحروب الصليبية » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩م . ص ٦٢ ، فتحى عبد العزيز عبد الله ، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م ، ص ١٢٢ ، محمود الحويرى ، الأوضاع الحضارية ، ص ١٨٦ ، على السيد على ، القدس فى العصر المملوكى ، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٢١٣ .

ويذكر الحويرى فى دراسته الهامة عن الأوضاع الحضارية أن الصليبيين شيدوا سبعة معاقل بين يافا والقدس أهمها قلعة شقيف ارنون ، وقد اعتمد فى قوله هذا على فيدن Fedden ودراسته عن القلاع الصليبية Crusader Castles ، وأخذ عن الحويرى ، فتحى عبد العزيز فى رسالته السالفة الذكر ، أنظر : الحويرى ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، فتحى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .

والواقع أن ذلك ينطوى على مغالطة واضحة ، اذا أن شقيف أرنون لم تقع فى هذا النطاق • وانما وقعت فى جنوب لبنان واشرفت على نهر الليطانى والغريب أن الحويرى يقرر ذلك اذ يقول « وتقوم هذه القلعة وكأنها عش نسر على شاهق يشرف على نهر الليطانى على ارتفاع ٢١٩٩ قدما فوق سطح البحر وهى بمثابة حارس يقوم على حراسة الممر الجنوبى الذى يربط صيدا أو صور بالبقاع فدمشق » ، وهكذا فانه بنفسه يؤكد أن موقعها لم يكن مطلقا فى نطاق طريق يافا ــ القدس فاختلف حديثه فى المتن عنه فى الحاشية ، عن قلعة شقيف أرنون أنظر : ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص ١٥٤ ، ابن عبد الحق البغدادى ، مراصد ، ج٢ ، ص ٨٠٧ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م ٥/ج١ ، تحقيق الشماع ، ط• البصرة ١٩٧٠م ، ص ٢٢١ ، حاشية (٩٠١) ، العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ط• القاهرة ١٣١٢هـ ، ص ١٨٢ ، سليمان مظهر ، « قلعة شقيف أرنون » ، مجلة المجمع العلمى بدمشق ، عدد عام ١٩٤٦م ، ص ٤٢٤ ، مزمل حسنين ، نيابات الشام فى عهد دولة المماليك البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٥٠ ، عاشور ، صلاح الدين الأيوبى ، ط• القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٢١٤ ، أحمد الحفناوى ، « الصراع من أجل صيدا فى العصر الوسيط » ، مجلة المنهل ، م (٤٦) ، عام ١٩٨٣م ، ص ٦٧ •

Le Strange, Palestine, P. 524, Runciman, The Crusades, Vol. II, P. 469, Riley-Smith, The Feudal Nobility in The Lalin Kingdom of Jerusalem, London 1973. P. 25, Hitti, Lebanon in History, New York 1967, P. 293—294.

Deschamps, Les chateaux des oroises en Terre Sainte, La défense du Royaume de Jerusalem, Paris 1939, PP. 177–208.

(٣٦) Fulcher of Chartres, P. 29, P. 250.

(٣٧) Stevenson, The Crusades in the east, P. 172.

Lane-Poole, A History of Egypt in the middle ages, London 1901, P. 173.

(٣٨) William of Tyre, Vol. II, P. 184, P. 233.

(٣٩) Daniel, P. 55.

(٤٠) Hagenmeyer, Ekkchardi Hierosolymita, Tubingen 1876, PP. 360—362.

Beazley, Vol. II, P. 156.

(٤١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ص ٢٤٣ ــ ص ٢٤٤ •

Daniel, P. 66. (٤٢)

William of Tyre, Vol. II, P. 458. (٤٣)

وقد عمل الموارنة على دعم الحركة الصليبية منذ عهدها المبكر فى بلاد الشام ، اذ عملوا كأدلاء ومرشدين للغزاه وكذلك كأطباء وتراجمة ، واشتركوا فى بعض المعارك الحربية لدعم الصليبيين ضد المسلمين ، وهناك من الباحثين من رأى أن من عوامل تأخر سقوط امارة طرابلس الصليبية على أيدى المسلمين بقيادة المنصور قلاوون ربما كان يرجع — جزئيا — الى الدعم المارونى المتواصل للوجود الصليبى فى تلك الامارة مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال .

عن دعم الموارنة للصليبيين انظر :

William of Tyre, Vol. II, P. 458.

Salibi, «The Maronites of Lebanon under The Frankish rule», R.E.A., T. IV, Année 1957, P. 289.

Mayor, The Crusades, Trans. by Gillingham, Oxford 1972, P. 276.

Smail, The Crusaders in Syria and The Holy Land, London 1974, P. 161.

Churchill, The Druzes and Maronites, London 1862, P. 18.

سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، ص ٢٧٢ ، أحمد رمضان ، « حول وسائل الصراع المسلح الاسلامى — الصليبى فى العصور الوسطى » ، المستقبل العربى ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧ ، ص ٧٥ — ص ٧٦، لامنس ، « الحياة فى بيروت فى عهد الصليبيين » ، المشرق ، السنة (٣١) ، العدد (١) ، عام ١٩٣٣م ، ص ٧٢٥ ، بوسف ضو ، تاريخ الموارنة ، جـ٣ ، ط· بيروت ١٩٧٧م ، ص ٤٣٨م — ص ٤٣٩ ، والكتاب ألفه مارونى يغلب عليه الطابع التعصبى الشديد ، وتنحصر قيمته فى انه دراسة متخصصة عن الموارنة ، اسد رستم ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ط· بيروت ١٩٨٨م ، ص ٢٩٥ .

(٤٤) عن ذلك انظر :

مؤنس أحمد عوض ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ — ص ٣١٩

Daniel, P. 25—26. (٤٥)

وعين ساوان ، وقعت فى وادى قدرون ، وهو جزء من الوادى الممتد شرق بيت المقدس ، وتعرف بالبركة الحمراء ، وموقعها على بعد ٤٥٠ ياردة من الحرم ، وتكتسب

قداسه خاصة من خلال ما يقال من ان السيد المسيح عليه السلام قد أرسل رجلا كفيفا اليها ، وأمره بأن يغتسل من مائها ، فعاد اليه بصره باذن الله تبارك وتعالى ، وقد قدم رايموند اجيل تناولا هاما لعين سلوان وذكر أنها عبارة عن نبع كبير يتدفق مرة كل ثلاثة أيام ، ويقرر السكان المحليين أنها تتدفق يوم السبت فقط ، أما باقى الأيام فهى عبارة عن مستنقع ، وأشار الى أن التدافع الجنونى العنيف من اجل شرب الماء جعل الكثيرين يلقون بأنفسهم فى البركة وتسبب ذلك فى هلاك الكثير من الدواب ، كذلك نجد الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجى قد ذكر أن عين سلوان ليس الها مصدر للمياه سوى جوف الأرض ، وعندما زار الرحالة اليهودى الأسبانى بنيامين التطيلى المدينة أشار الى تلك العين لا يوجد بها الا اقل القليل من المياه ، وتجدر الاشارة الى أن المنهاجى السيوطى قد ذكر العديد من الفضائل المتعلقة بها ، ومن جهة اخرى ، يقرر عزرا حداد فى تعليقاته على رحلة بنيامين التطيلى انه تم اكتشاف كتابة عبرية عندها بالأحرف القديمة وذلك فى عام ١٨٨٠م • وكانت ترجع الى القرن الثامن ق – م •

عن عين سلوان انظر : ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٥٥ ، رايموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت• حسين عطية ، ط• الاسكندرية ١٩٩٠م ص ٢٣٧ ، الادريسى ، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ، جـ٤ ، ص ٣٦٢ ، بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ت• عزرا حداد ، ط• بغداد ١٩٤٥م ، ص ١٠٢ ، حاشية (٢) ، القزوينى ، آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٦٣ ، المنهاجى السيوطى ، اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، ق١ ، تحقيق احمد رمضان ، ط• القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢١١ – ص ٢٢٤ ، ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٢٨٧ •

John of Wurzburg, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896, P. 51.

عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ص ١٧ •

(٤٦) Daniel, P. 28.

وقد وقع نهر سنوف Snov . فى مقاطعة تكرينكوف Tchernigov الروسية•

Ibid, P. VII

(٤٧) نابلس Neapolis, Nablus ، مدينة بفلسطين تبعد عن بيت المقدس – كما وصفها الجغرافيون المسلمون – بنحو عشرة فراسخ ، ووصفت بأنها مستطيلة، لها كورة واسعة ، وعمل جليل ، وقد استولى عليها الصليبيون بقيادة تانكرد Tancred وذلك بمساعدة يوستاس البويونى Eustace of Bouillon دون قتال فى عام ١٠٩٩م ، واستمرت فى قبضة الصليبيين الى أن تمكن المسلمون من استردادها وذلك فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى فى عام ١١٨٧م ، حيث خضعت بالأمان علي يد حسام الدين بن عمر بن لاجين ، عنها انظر :

Fulcher of Chartres, P. 30, P. 78.

William of Tyre, Vol. II, P. 88, P. 206, P. 425.

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٢ ، ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ـ ص ٢٤٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٧٢٣ ،

Beyer, «Neapolis (Nablus) und sein Gebiet in der Kreuz Fahrerzeit», in Z.D.P.V., LXII, 1940, PP. 155—209.

سعيد البيشاوى ، نابلس ودورها فى الصراع الاسلامى ــ الصليبى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٤م ، وهى دراسة على جانب كبير من الأهمية عن نابلس ودورها خلال عصر الحروب الصليبية ، أيضا ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ص ١٨٣ .

(٤٨) Daniel. P. 58.

وهناك ايضا اشارة هامة لدى لامونت :

La Monte, Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge, 1932, P. 144.

(٤٩) Daniel. P. 62.

(٥٠) Ibid, P.62.

وعن تناول السيد المسيح عليه السلام السمك من بحر الجليل أو بحيرة طبرية ، انظر متى ، الاصحاح (١٤) ، يوحنا ، الاصحاح (٦) .

Pax, Sur les chemins des Jusus, Tell Aviv 1970, P. 107, with Jesus in The Holy Land, Tell Aviv 1979, P. 56.

(٥١) عن توافر الأسماك فى بحيرة طبرية وتعدد انواعها والمتاجرة فيها ، أنظر :

ناصر خسرو ، المصدر السابق ، ص ٤٨

William of Tyre, Vol. II, P. 433.

ليلى طرشوبى ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، ص ١٤٦ .

(٥٢) عنها انظر : الفصل الأول ، حاشية (٢٥) .

(٥٣) Daniel, P. 54.

(٥٤) Ibid, P. 55.

(٥٥) Ibid, P. 55.

(٥٦) Ibid, P. 10.

(٥٧) Ibid, P. 10.

(٥٨) Ibid, P. 10.

(٥٩) جرميا ، هو احد انبياء اليهود البارزين ، وقد ولد من اسرة كهنوتية فى بلدة عماثوث Amathuth الواقعة الى الشمال مباشرة من بيت المقدس ، ووفقا لما ورد فى سفر ارميا ، فان الأخير تلقى كلمة الرب في العام الثالث عشر من حكم يوشع Joshua ملك يهودا ٦٤٠ ــ ٦٠٩ ق٠م ، ويرى البعض ان ذلك حدث عام ٦٢٧ ق٠م ، ومن الناحية التاريخية هناك من يقرر ان النبى ارميا يرتبط ارتباطا وثيقا بسقوط بيت المقدس عام ٥٨٧ ق٠م ، وبداية الأسر البابلى لليهود ، وقد سبق ارميا مجموعة من الأنبياء الذين عرفوا بأنبياء بنى اسرائيل مثل عاموس واشعيا وغيرهما ، عنه انظر :

العهد القديم ، سفر ارميا ، الاصحاح الاول ٠

Smith, Jermiah, London 1924, PP. 31 -66.

Blank, Jermiah, man and prophet, New York 1961, PP. 3—24.

The Cambridge, Bible, Ch. 1- 25, Commentary by Nicholson. Cambridge 1973, PP. 1—10.

Grant, The History of ancient Israel, New York 1984, PP. 152 157.

Epstein, Judaism, Apelican Original, London 1974, P. 52, P. 53.

Dimont, The Indestructible Jews, New York 1973, P. 25, P. 36.

(٦٠) Daniel, P. 43.

(٦١) Ibid, P. 65.

(٦٢) Ibid, P. 70.

(٦٣) Ibid, P. 72

(٦٤) Ibid, P. 72.

(٦٥) Ibid, P. 66, P. 67.

(٦٦) Ibid, P. 67.

(٦٧) Ibid, P. 28.

(٦٨) Ibid, P. 60.

(٦٩) Ibid, P. X P. XI.

نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ، ص ٨٧ .

الفصل الثالث

فتيلوس

١١١٨ ـ ١١٣٠م

فتيلوس

(١١١٨ ــ ١١٣٠م)

تمثل رحلة فتيلوس(١) مكانة هامة من بين الرحــلات التى قام بهـا الرحـالة الأوربيون فى انحاء مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الأول من تاريخ الوجود الصليبى فى بلاد الشام ، وقد ساعدت على القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس من الناحية السياسية والحربية ، وعلاقاتهـا بالقوى الاســلامية المجاورة ، ولا سيما أتابكية دمشق ، كذلك أشار صاحبها الى بعض القلاع الصليبية ، ومن جهة أخرى ، اهتم اهتماما خاصا بالساحل الشامى ، وكذلك بعض المناطق الداخليـة من خلال تناوله للزوايا الاقتصادية ولا سيما التجارية ، وفضلا عن ذلك ، عمل على تناول أهم الكنائس والأديرة المتناثرة فى أنحاء المملكة الصليبية ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الرحالة الأوربيين ٠

والواقع أن فتيلوس ورحلته أثارا جدلا واسعا حول شخصه وتوقيت كتابتـه لرحلته . ولذلك فمن الضرورى أن نتناول تلك الجوانب ، وذلك قبل عرض ما قدمته تلك الرحلة من أضواء كاشفة على أوضاع مملكة بيت المقدس المختلفة وعلاقاتهـا بالقوى السياسية الاسلامية المجاورة لها ٠

وبداية ، من الضرورى أن نقرر ، أن حجم ما نعرفه عن فتيلوس ضئيل ، وذلك نظرا لطبيعة رحلته التى كتبت لتكون مجرد دليل جغرافى للقادمين الى الأرض المقدسة أو حتى أولئك الذين لم يكن فى مقدورهم القدوم اليها ، وأرادوا أن يعرفوا الكثير عن تلك البقاع من خلال أحد الأدلة(٢) ٠

ومثل هذا النوع من المؤلفات لا يحتوى فى الغالب الأعم على أية اشارات عن المؤلف ، ومن ثم فان حجم معرفتنا بفتيلوس ضئيل للغاية ، ويرى ماكفرسون ــ وهو الذى اهتم بترجمة الرحلة الى الانجليزية وكذلك ببزلى ــ أن فتيلوس كان يعمل رئيسا للشمامسة فى انطاكية وذلك فى عام ١٢٠٠م(٣) ، غير أن هذا القول لا ينطبق على الواقع فى شىء على الأرجح ، نظرا لاتساع المسافة الزمنية بين الرحــلة ذاتهـا ء

والتاريخ المذكور لتولية فتيولس ذلك المنصب ، والمرجح انه كان أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس خلال القرن الثانى عشر م وكتب رحلته فى صورة دليل جغرافى ·

أما توقيت الرحلة ، فان هناك اختلافا بين الباحثين بشانه ، فنجد أن ماكفرسون Macpherson قد اعتقد أن الرحلة قد تمت فى عام ١١٢٠م(٤) ، بينما اعتبرها توبلر Tobler قد جرت حوالى عام ١١٥٥م(٥) ، والواقع أن من الممكن الأخذ بتاريخ آخر مختلف عن التاريخين المذكورين ، اذ ان فتيلوس نفسه يقرر فى رحلته اشارة هامة عن الداوية Templars ويصفهم بأنهم « الفرسان المحدثون »(٦) ، ولما كنا نعلم أن الداوية قد تأسس تنظيمهم فى عام ١١١٨م(٧) ، فان من الممكن تصور أن رحلته تمت خلال العقد الثانى من القرن الثانى عشر م وبالتحديد خلال الرحلة الممتدة بين عامى ١١١٨ الى ١١٣٠م وبالتحديد بعد عام ١١٢٤م حيث انه يشير الى صور Tyre على اعتبار أنها خاضعة للسيادة الصليبية وذلك من خلال ذكره لساحل شرق البحر المتوسط ·

غير أن هناك قضية هامة تتعلق بتلك الرحلة تتمثل فى أن فتيلوس أشار فيها الى تواريخ متأخرة مثل الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ ــ ١١٦٢م) وكذلك رايموند الثانى أمير طرابلس Raymond II of Tripolis (١١٥١ ــ ١١٨٧م) ، ويلاحظ هنا أن من الباحثين من يرى أن تعليل ذلك يكمن فى أن تلك الأجزاء لم يكتبها فتيلوس نفسه ، بل أضيفت الى رحلته فى مرحلة متأخرة وتالية على قيامه برحلته وتدوينه لها(٨) ·

وزد على ذلك ، أثارت تلك الرحلة جدلا فيما يتصل بأمر رحلة أخرى قام بها رجل يدعى افجيسيبوس Evgesippus ، ونجد أن رحلة الأخير متطابقة مع رحلة فتيلوس بصورة كبيرة ، وقد نشر ليون الاتيوس Leon Allatius رحلة افيجيسيبوس عام ١٦٥٣م(٩) ، وربما ايكون افجيسيبوس قد نقل عن فتيلوس الكثير من رحلته ونسب ذلك كله الى نفسه دون أن يذكر مصدره الأصلى ، وهذا ولا ريب يعكس سهولة انتحال تلك الرحلات ونسبتها الى عدة أشخاص فى وقت واحد(١٠) ، ومع ذلك فبفضل الدراسة المقارنة الدقيقة لنصوص الرحلتين ، اتضح أن رحلة فتيلوس كانت هى الأصل ، أما الرحلة الأخرى فقد احتوت على بعض الاخطاء فضلا عن اعتمادها على فتيلوس دون الاشارة الى ذلك ·

وبصفة عامة ، احتوت رحلة فتيلوس على جوانب متعددة عن مملكة بيت المقدس الصليبية ، ففى المجال السياسى مثلا ، تناولت العلاقات بين المملكة وأتابكية دمشـق وهى التى أسسها الأتابك ظهير الدين طفتكين[11] ؛ وذلك من خـلال تناوله لمقتـل الأمير الصـليبى جيرفاس الباسـلى Gervase of Basil ، والذى وصفه بأنه الأمير الثالث من أمراء الجليل من أسرة تانكرد Tancred ، وذكر عنـه أنه انتمى الى بيت عريق فى نبالته وأنه قد تم تسليمه لطفتكين المنتصر ملك الشام واقتيد أسيرا الى دمشق[12] ٠

وتعكس روايةفتيلوس مرحلة هامة من مراحـل الصراع الحربى بين أتابكية دمشـق وأمراء الجليل فى صـورة جيرفاس فى حوالى عام ١١٠٧م ، ويلاحظ أن المصادر التاريخية العربية المعاصرة وصفت ذلك الأمير الصليبى بأوصاف تدل على علو كعبه فى مجال الفروسية ورباطة جأشه ، فابن القلانسى على سبيل المثال يذكر عنه أنه « من مقدمى الفرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة والبسالة وشدة المراس » يجرى مجرى الملك بغدوين فى التقدم على الأفرنج »[13] ، ويبدو أن تلك الأوصاف مثلت حقيقة واقعة على نحو أن المصادر العربية المعاصرة اعترفت بذلك صراحة دون مواربة ٠

وقد قام طفتكين بمهاجمة أملاك اقليم الجليل فى عهد حكم جيرفاس ، وبلغت قوة جيش دمشق نحو أربعة آلاف رجـل ، وصـل الى نواح من طبرية ، ونصـب المسلمون لأعدائهم عدة كمائن ، وقام طفتكين بمناورة مفادها أن جعل قسما من قواته يلوذ بالفرار [14] ليخدع الصليبيين ٠ وقام جيرفاس وقواته يتتبع ذلك القسم ، ولم ينتظر وصول الامدادات اللازمة لذلك ، فكانت النتيجة الحتمية الحاق الهزيمة بقواته وسقوطها بين قتيل وجريح وأسير[15] ، بل ان الأمير الصليبى جيرفاس سقط أسيرا يرسف فى أصفاده ــ فى أيدى المسلمين[16] ٠

ونظرا لعلو شأن ذلك الأمير الصليبى ، فقد أرادت أتابكية دمشق أن تتخذه ورقة رابحة للمساومة السياسية مع مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقد عرض طفتكين أن يسلم جيرفاس للصليبيين فى مقـابل انسحابهم من طبرية وعكا وحيفا ، ونظرا للأهمية الاستراتيجية لكافة تلك المناطق التى بذل الصليبيين جهدهم الجهيد من أجل اخضاعها ضمن سياستهم حيال الساحل الشامى بصفة عامة ، فقد رفض الملك الصليبى بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ ــ ١١١٨م) ذلك العرض ٠

وقد جاء رفض مملكة بيت المقدس الصليبية ايذانا بفشل محاولة أتابكية دمشق استثمار ذلك الأسير النبيل لصالحها ، وعندما أيقن طغتكين انه لن يربح من ورائه اية مكاسب سياسية تدعم مركزه أمام رعاياه وتقوى أتابكيته فى خضم الصراع الاسلامى ـ الصليبى ، أمر بقتله رميا بالسهام(١٧) ، وتم وضع رأسه على حربه تصدرت مقدمه الجيش الدمشقى الذى دخل دمشق مكللا بأكاليل النصر(١٨) .

وقد اعتبر الصليبيون ـ بطبيعة الحال ـ ذلك الأمير شهيدا مات من أجل الرب ، وهذا ما قرره فتيلوس نفسه فى رحلته ، والواقع أن ايراد ذلك الرحالة لحادثة قتل جيرفاس والتى جرت على الأرجح عام ١١٠٧م بينما زار فتيلوس المنطقة بعد أعوام عديدة يدل على أن تلك الأحداث ظلت ترددها الألسن على امتداد تلك السنوات بحيث ارتبطت ذكراه بمنطقة طبرية خاصة واقليم الجليل بصفة عامة ، وعندما قدم ذلك الرحالة الى المنطقة وجد سيرة ذلك الأمير الصليبى لا تزال حية فى عقول القوم فأورد ذكره بتلك الصورة التى أوردها فى ثنايا رحلته .

ويلاحظ أن حجم اشارته فى هذا الشأن تتفق فى خطوطها الرئيسية مع ما أورده المؤرخ الدمشقى المعاصر ابن القلانسى ، ومع ذلك فانه لم يقدم تفاصيل مسهبة عن جيرفاس ، ومرجع ذلك فى تصورى يعود الى أنه قدمه من خلال اشاراته عن طبرية واقليم الجليل بصفة عامة ، ولم يكن هناك مجال أمامه ليقدم اية تفصيلات فضلا عن أن مرور سنوات عديدة على الحادثة نفسها جعل أمر ايرادها بصورة مقتضبة وضع منطقى وطبيعى .

وبالاضافة الى ذلك ، احتوت الرحلة على تناول لبعض الجوانب الحربية الهامة، فقد اشارت الى هيئة الداوية Templars ، وذكر فتيلوس أنه عند معبد سليمان يوجد هناك سكن أولئك الجنود المحدثين(١٩) ، ولعل هذه تعد حقا من أولى الاشارات عن تلك الهيئة التى لعبت دورا حربيا هاما فى الصراع الصليبى ـ الاسلامى ، ولم يقدم لنا ذلك الرحالة مادة مفصلة عنها ، ويبدو أن تعليل ذلك أنها كانت لا تزال فى طور النمو فى المرحلة المبكرة لتأسيسها ، و لا نزاع فى أن مرور عدة سنوات على قيامها لم يجعل لها دورا كبيرا بحيث لم يكن من الممكن أن يتم تناولها بصورة أكثر تفصيلا ، مع ملاحظة انه من الآن فصاعدا سنجد أن الرحالة الأوربيين سوف يشيرون اشارات متباينة الى تلك الهيئة ، والهيئة الأخرى المنافسة لها ونعنى الاسبتارية .

والى جانب ذلك ، وردت فى الرحلة بعض الاهتمامات بالقلاع الصليبية التى شيدها الصليبيون فى كافة أنحاء المملكة الصليبية لتعويضهم نقص العنصر البشرى وتدعم سيطرتهم على البلاد وتمكنهم من شن هجماتهم على الأعمال الاسلامية المجاورة ، وفى هذا المجال أشار فتيلوس الى وجود عدة قلاع مجاورة لمدينة طبرية Tyberias أو Cynereth ، غير أنه لم يذكر أسماءها أو مواقعها بدقة فجاءت اشارته متسمة بطابع تعميمى ، ومع ذلك فتعرف أن تلك القلاع المجاورة لطبرية والتى وقعت فى اقليم الجليل هى قلاع الفولة ، وهونين ، وتبنين وصفد ، وكوكب ، وجسر بنات يعقوب(٢٠) ، ولا نزاع فى أن تلك المجموعة من القلاع شكلت خطا دفاعيا هاما ومؤثرا عن ذلك الاقليم ، فضلا عن كونها مراكز هجومية بالطبع .

وأضف الى ذلك أنه تناول بالحديث القلعة التى بناها رايموند الرابع كونت تولوز Raymond IV Count of Toulouse وهو الملقب بريموند الصنجيلى Raymond of St. Giles (٢١) . وذلك عندما عمل على اسقاط طرابلس واتسم وصفه لها بالاقتضاب دون ذكر موقعها وأهمية دورها فى حسم الصراع حول طرابلس لصالح الصليبيين .

ويلاحظ أن ريموند الصنجيلى بعد أن تمكن من اخضاع جبيل عام ١١٠٤م ، زاد اصراره على الاستيلاء على طرابلس ، وقد اتجه الى تشييد قلعة حصينة تواجه المدينة ، واختار الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، وهى المعروفة حاليا بتلة أبى سمرة، وعرفت بتة الحاج Mount Pilgrim (٢٢) ، وهدف من وراء اقامتها مراقبة أوضاع طرابلس ، وتشديد حصاره لها ، وتمكن من الحصول على معونة الامبراطورية البيزنطية ، فقدمت له العمال المهرة والمساعدات اللازمة ، وفى عام ١١٠٤م صارت القلعة مكتملة البناء ، وغدت تمثل تهديدا حقيقيا لبنى عمار حكام طرابلس(٢٣) ، وبالفعل كانت من العوامل التى أعانت الصليبيين على اخضاع طرابلس فى نهاية المطاف بعد أن دام حصارها نحو سبع سنوات .

أما اذا اتجهنا الى الاهتمامات الاقتصادية فى رحلة فتيلوس ، فنجد أن ذلك الرحالة اهتم بمصادر المياه خاصة الأنهار ، ويلاحظ هنا أن مثل هذا الاهتمام نجده لدى العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة ، وفى هذا الشأن على سبيل المثال اهتم بايراد ذكر أحد الأنهار فى بلاد الشام ونعنى به نهر العاصى Orontes ، وقد أسماه المسلمون

بالعاصى لأنه يخرج من ديار الاسلام ويعصى أمر المسلمين ويتجه الى ديار الروم ، وقد أطلق ذلك الرحالة تسمية فارفار Pharphar [٢٤] ، Far Far [٢٥] على ذلك النهر ، وذكر رأنه نبع من أسفل جبل لبنان ، واخترق مجراه مناطق متعددة من بلاد الشام مثل ربلاتا Reblata [٢٦] أو انطاكية Antioch وامتد الى قرب أسوار المدينة الأخيرة الى أن يصل الى البحر المتوسط ، حيث توجد مدينة سوليم Solim [٢٧] ، أو القديس سيمون St. Symeon وقد بعدت عشرة أميال عن انطاكية ، ومثلت الميناء الحيوى الهام لتلك الامارة الصليبية ، مع عدم اغفال دور ميناء اللاذقية Latakia بطبيعة الحال ٠

ومن الطبيعى أن نوضح أن نهر العاصى مثل اهمية كبرى لتلك الامارة الصليبية وخاصة من الزاوية الاقتصادية ، ومن ثم حرص ذلك الرحالة على ايراد ذكره فى رحلته مثل تلك الصورة ٠

واضافة الى ذلك ، اهتم فتيلوس بالجانب التجارى ، ومن الممكن أن نلمس اهتمامه بتلك الناحية من خلال اشارته الى النشاط التجارى فى المدن الصليبية الساحلية وكذلك نشاط بعض المراكز التجاربة لا سيما فى اقليم الجليل ٠

وتجدر الاشارة الى انه عندما تناول مدينة عكا Accon ، ذكر انه يصل اليها عدد ضخم من السفن يفوق أى مبناء آخر على ساحل البحر المتوسط[٢٨] ، ويلاحظ انه يصفه هنا على انه بحر المسيحيين The sea coast of the Christians ، على اعتبار أن الصليبيين على مدى الثلاثين عاما الأولى من القرن الثانى عشر م عملوا على اخضاع ذلك الساحل لسيادتهم السياسية ، مع عدم اغفال أن عسقلان لم تكن قد سقطت بعد فى قبضتهم ٠ ويبدو أن فتيلوس لم يفته ذلك ، اذ انه يذكر أن عكا تفوق بالسفن التى تصل الى مينائها أى ميناء آخر على ساحل البحر من عسقلان الى جبل طوروس Mount Tourus [٢٩] ، اذا انه فى حالة خضوع عسقلان لسيطرة الصليبيين حينذاك ، لذكر امتدادا جنوبيا أبعد من ذلك الذى ذكره فى رحلته ٠

وقد تناول النشاط التجارى لميناء عكا على اعتبار أن الامدادات والسلع التجارية الأساسية تصل اليه من افريقيا واوربا ، وهنا نجد أن اشارته عن أهمية ذلك الميناء للصليبيين تشبه أوصاف رحلة يوحنا فوكاس Joannes Phocas [٣٠] الذى أوضح تفوق عكا تجاريا وتزايد الكثافة السكانية بها ، ونلاحظ أن رواية فتيلوس تتضح

اهميتها من خلال ملاحظة انه لا يذكر اهمية ميناء عكا بالنسبة لحركة الصادرات التى تخرج من بلاد الشام الى المناطق الاستهلاكية فى حوض البحر المتوسط ، بل من حيث اهمية ذلك الميناء الحيوى فى استقبال السلع التجارية الأساسية التى احتاجها الصليبيون انفسهم ، والتى استقدموها من افريقيا واوربا(٣١) ، وهكذا مثل ذلك الميناء نقطة بالغة الأهمية بالنسبة لحركتى الصادرات والواردات فى مملكة بيت المقدس الصليبية على نحو دعم اقتصادياتها ٠

وكامتداد لتناوله لازدهار النشاط التجارى فى مدن الساحل الشامى ، ذكر فتيلوس مدينة بيروت بما يفيد بأنها مدينة بالغة الثراء(٣٢) ، ومن الطبيعى تصور أن ذلك الثراء جاء من خلال دورها فى حركة التجارة ، ففيها استقر التجار البنادقة والجنوية وغيرهم من التجار الأوربيين من اجل عقد الصفقات التجارية وضمان وصول السلع التجارية من مصادرها الى المدن الاوربية التى استوردتها ، فضلا عن أن تلك المدينة عدت منفذا لتوزيع السلع التجارية من المناطق الداخلية فى بلاد الشام والتى لم تقع على الساحل ، ومن امثلة ذلك انها عدت منفذا لتصدير منتجات دمشق

اما بالنسبة للمراكز التجارية فى المناطق الداخلية ، فقد قدم اشارة قيمة الى احدى المراكز التجارية الهامة فى اقليم الجليل ونعنى بذلك الميدان(٣٣) او السهل الفسيح المعروف باسم ارض السوق عند حوران ، ويظهر فى تلك المنطقة مجرى نهر اليرموك بوضوح ، ويقع ذلك النهر فى منتصف تلك البقعة ، ويقرر فتيلوس أن عددا كبيرا من الناس يقدمون الى ذلك الموقع فى صيف كل عام ومعهم كافة السلع التجارية ليبيعها(٣٤) ، وهكذا فانه قدم لنا اشارة هامة عن احد الأسواق التجارية الموسمية الهامة الواقعة عند منطقة يلتقى فيها حدود مملكة بيت المقدس الصليبية مع املاك المسلمين التابعة لأتابكية دمشق ، ويبدو أن حركة ذلك السوق كانت على درجة كبيرة من النشاط والازدهار ، بحيث أن فتيلوس عندما زار المنطقة حرص على ايراد ذلك الأمر بوصفه حقيقة واقعة ضمن النشاط الاقتصادى التجارى المملكة بيت المقدس الصليبية خلال ذلك الحين ٠

ومن الممكن ملاحظة اهمية ذلك السوق من خلال توقيته وموقعه ، ويفترض هايد Heyd انه اقيم عند وصول القافلة القادمة من مكة ، وفى مستهل الصيف كان عدد كثير من المسلمين يهرع من كافة المناطق ، حتى من بلاد ما بين النهرين ، الى تلك المنطقة(٣٥) ، والتى يسميها سهل موزريب Mauzarib ، ويقضى تحت الخيام

طوال مدة اقامة السوق فى فصل الصيف ، ويقرر أيضا انه من المحتمل أن عناصر من التجار من الغرب الأوربى قد اشتركت فى السوق على اعتبار أن المنطقة كانت معروفة لدى الصليبيين باسم سويتا Sueta ، ومثلت قسما من مملكة بيت المقدس عند أقصى امتداد لها فى مواجهة دمشق(٣٦) ، ويلاحظ انها بعدت عن طبرية بنحو ستة عشر ميلا(٣٧) ، ووصفت بأنها وقعت بالقرب من بحيرة الحولة ، ومن المرجح أنها عدت من أهم المراكز التجارية المجاورة لاقليم الجليل بصفة عامة .

وهكذا ، فمن الممكن أن نخلص من ذلك الى حقيقة هامة وهى أن ذلك السوق اشتركت فيه عناصر متعددة من التجار من بلاد العراق والشام وكذلك من القارة الأوربية مما يعكس اتساع نطاق التعاملات التجارية فيه ، ولا نغفل أيضا ناحية هامة، ألا وهى أن طول مدة انعقاده وهى التى شملت أشهر الصيف عكست ــ بلا ريب ــ مدى ازدهار المنطقة تجاريا بحيث أن ذلك السوق استغرق عقده طوال تلك المدة ومن المتصور أن وجوده فى منطقة حدودية وعند نقطة تلتقى فيها الحدود الاسلامية مع الصليبية قد ضمن له مكانة خاصة حيث تبادل كل جانب ما افتقر اليه ووجد لدى الطرف الآخر .

والجانب الهام الذى ينبغى أن نلاحظه هنا ، أن العداء والصراع الاسلامى ــ الصليبى على المستوى الحربى لم يوقف التعاملات التجارية التى استمرت لأن كلا من الجانبين احتاج اليها لدعم ميزانيته واقتصاده بصفة عامة ، ولم يكن فى امكان أى طرف من الجانبين أن يرفع سلاح المقاطعة التجارية حينذاك فى وجه الآخر .

ولا نزاع فى أن مثل تلك الأسواق الموسمية كانت ذات صفة دولية ، ولم تكن ذات طابع محلى فقط وفيها عقدت صفقات البيع والشراء ، والمبادلة بالنقد والمقايضة، كذلك البيع المؤجل الدفع(٣٨) الى نحو ذلك ، ويبدو أن مثل ذلك السوق الذى أشار اليه فتيلوس قد أدى الى الازدهار التجارى للمنطقة التى وجد فيها على نحو خاص ، ومن المحتمل أن ذلك استتبع نوعا من المظاهر العمرانية اللازمة والناتجة عن ذلك النشاط التجارى ، وهذا ما يمكن أن نخرج به من خلال أوصاف رحالة أوربيين آخرين زاروا نفس المنطقة ووصفوا ذات السوق ، ومن أمثلتهم اثنين من الرحالة الألمان هما يوحنا الورزبرجى John of Wurzburg وثيودريش Theoderich لا جدال فى أنه بعد مرور نصف قرن من بعد وصف فتيلوس ازدهر ذلك السوق والمنطقة المحيطة به بصورة واضحة .

واذا نحينا الجوانب السياسية والاقتصادية ، وجدنا أن ذلك الرحالة اهتم ــ مثل غيره من الرحالة الأوربيين ــ بالجانب الدينى الكنسى على نحو خاص ، وقد أشار الى العديد من الكنائس مثل كنيسة القديس كاربتوس[39] St Karitoth ، وكنيسة القديسة مريم St. Mary [40] ، وكنيسة القديسة آن St. Anne [41] ، وكذلك كنيسة عند جبل صهيون للقديسة مريم[42] St. Mary of Mount Sion ، ويلاحظ أن الأخيرة بنيت على أيدى الصليبيين ، وهى تقع (حاليـا) عنـد موقع متصـل بالنبى داود David ، وفضلا عن ذلك ، هناك كنيسة القديســة مريم المجدليــة St. Mary Magdalene ، وكنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist [43] واحتوت الأخيرة على عشرين راهبا يونانيا .

ومن الواضح من خلال ما ذكره ، أن هناك بعض الكنائس وجدت من قبل مقدم الصليبيين والبعض الآخر شيدت بعد خضوع المدينة لسيطرتهم .

وهكذا ، افادت رحلة فتيلوس فى القاء الضوء على الجوانب السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، وعلاقاتها الخارجية بالقوى الاسلامية المجــاورة ، وكذلك الأنشطة الاقتصادية للمملكة ولا سيما التجارية على نحو خاص بالاضافة الى اهتمامها بالجانب الدينى الكنسى بطبيعة الحال .

الهوامش :

(١) اعتمدت فى اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة فتيلوس Fetellus ، والعنوان الأصلى للرحلة هو :

Tractatus de distantus locorum terrae sanctae.

ويقرر جون رايت John Wright أن النص الأصلى للرحلة يوجد فى الباترولوجيا اللاتينية مجلد ٢٠٤ من ١٠٢٧ الى ١٠٥٤ .

Migne, P.L., Vol. CIV, Cols. 1937-- 1054.

انظر اشارته :

John Wright, The Geographical Lore of the time of the Crusades, P. 514.

غير أن هذا القول ـ على ما يبدو ـ جانبه الصواب ، اذ لا توجد رحلة فتيلوس فى المجلد المشار اليه لدى جون رايت ، والأصح أن الرحلة توجد فى نصها الأصلى فى الباترولوجيا اليونانية مجلد ٢٢٣ من ٩٩١ الى ١٠٠٤ ، انظر :

P.G. Vol. CVVVIII, Cols. 991 1004.

وقد اشار الى ذلك روهريشت Ruhricht فى دراسته الهامة عن : قائمة تقويمية لأدب الأرض المقدسة من خلال الجغرافيا ، انظر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur, Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P. 34.

وهناك ترجمة فرنسية للرحلة قام بها م دى فيجويه M. de Vegué وقد ضمنها كتابه كنائس الأرض المقدسة والذى صدر فى باريس عام ١٨٦٠م على مدى الصفحات من ٤١٢ الى ٤٣٣ :

M. de Vigué, Les Eglises de la Terre Sainte, Paris 1860. PP. 412 433.

اما الترجمة الانجليزية والتى اعتمدت عليها فقد قام بها ماكفرسون Macpherson ضمن مجموعة P.P.T.S. الجزء الخامس وصدرت فى لندن عام ١٨٩٦م ، انظر :

Fetellus, Description of The Holy Land, Trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

وقد اعتمد ماكفرسون على الترجمة الفرنسية التى قام بها دى فيجويه ، عن الرحلة واهتمام الباحثين بها انظر :

Tobler, Bibliographie, P. 16.
Ruhcicht, Chronologisches, PP. 33 35.

(٢) Fetellus, P. V.

(٣) Ibid, P. VI VIII.

وفى هذا المجال يقرر ماكفرسون ما نصه :

«The only fact ascertained about him being that he was Archdeacon of Antioch about 1200».

أنظر أيضـــا : Beazley. Vol. II, P. 186.

(٤) Fetellus, P. VI.

ويقول ماكفرسون ما نصـــه :

«Its date may thus be placed about 1130».

(٥) Tobler, Op. Cit., P. 16.

(٦) Fetellus, P. 39.

ويحاول بيزلى أن يجعل رحلة فتيلوس الى بيت المقدس قـد جرت مباشرة بعـد تأســيس الداوية ، غير أن هذا الرأى لا ينطوى على الحقيقــة فى شىء ، لأن تعبير الفرسان الحدثين لا يعنى أن الرحلة جرت بعد تأسيس الهيئة المذكورة مباشرة ٠

أنظر اشارته :

Beazley, Vol. II, P. 186.

(٧) عن ذلك أنظر :

William of Tyre, Vol. I, P. 81.

ابراهيم خميس ، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين فى مصر والشام (١١٩٣ ــ ١٢٩١م/٥٨٩ ــ ٦٩٠هـ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧م ، ص ٤٧ ٠

(٨) Fetellus, P. VI.

وفى ذلك يقرر ماكفرسون ما نصه :

«The allusions to King Fulke and King Baldwin III being added by a later writer».

(٩) عنوان ما نشره ليو الآتيوس Leo Allatius هو :

Sive Opuscul. Grac., etc. Cologne 1653.

أنظر : Tobler, Op. Cit., P. 16.

وتقديم ماكفرسون Fetellus, P. VIII.

(١٠) Ibid, P. VII.

(١١) Fetellus, P. 27.

وعن الاسرة البورية ومؤسسها ظهير الدين طفتكين انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان ، تحقيق محمـد محيى الدين
د الحميد ، جـ٢ ، ط٠ القاهرة ١٩٤٨م ، ص ٢٧١ ، الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ،
٤ ، ط٠ الكويت ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ ، وفاء محمد على ، الدولة البورية ودورها فى
سر الحروب الصليبية ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، شـاكر مصطفى ، « طفتكين رأس
سرة البورية » ، مجلة كلية الآداب ــ جامعة الكويت ، العدد الأول ، عام ١٩٧٤م ،
ن بول ، تاريخ دول الاسلام ، ت٠ أحمد السعيد سليمان ، جـ٢ ، ط٠ القاهرة ١٩٧٢م،
، ٥٤٠ ، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحـاكمة فى التاريخ الاسـلامى ،
٠ زكى حسن وحسن محمود وآخرون ، جـ١ ، ط٠ القاهرة ١٩٥١م ، ص ٤٦ ، محمد
مى محمد أحمد ، مصر والشام والصليبيون ، ط٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٧٣ ، كرد
ى ، خطط الشام ، جـ١ ، ط٠ دمشق ١٩٢٥ ، ص ٣٠٥ ٠

Alptekin, Dimask Atabegligi (Tog-Teginliler), Istanbul 1985, Omai
Hist. of The art of war, Vol. I, P. 256, note (1).

(١٢) Fetellus, P. 27.

(١٣) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق زكار ، ص ٢٥٨ ٠

(١٤) ليلى طرشوبى ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، ص٦٦ ــ ص٦٧ ٠

(١٥) Ibid. P. 27.

(١٦) ليلى طرشوبى ، المرجع السابق ، ص ٦٧ ٠

(١٧) Ibid. P. 27

(١٨) وعن جيرفاس وأسره وقتله ، **انظر** :

العظيمى ، تاريخه ، ص ٢٩ ٠

Archer, The Crusades, London 1894, P. 139.

Stevenson, The Crusaders in the east, P. 50.

Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 96.

Alptekin, Op. Cit., P. 33—35.

(١٩) Fetellus, P. 39.

(٢٠) Ibid, P. 29.

وقد وقعت قلعة الفولة الى الجنوب من الناصرة والى جانب اسم الفولة عرفت

باسم آخر ألا وهو الباقلا أو باسم فابا Faba وفى المصادر التاريخيـة الصليبية عرفت باسم La Feve Afula ، ونعرف أن هيئـة الداوية أخضعت لهـا تلك القلعة ، ويبدو انها مثلت احدى القلاع الهامة بالنسبة لهم فى اقليم الجليل ، ويقرر العماد الكاتب الأصفهانى أنها كانت بالنسبة للصليبيين والداوية على نحو خاص « ذخائر كنايسهم وأخاير نفايسهم وسبايك نضارهم وكرايم اعلاقهم » ، وقد تمكن المسلمون من اخضاعها لسيادتهم فى عام ١١٨٧م ، عنها انظر :

ياقوت ، معجم البـلدان ، جـ٣ ، ص ٩٣٤ ، ابن العـديم زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص ٧٣ ، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، طـ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٣٠٢ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة (٣٤) .

Le Strange, Palestine under Islam, P. 441.

Runciman, Op. Cit., P. 453.

Stevenson, Op. Cit., P. 250.

أما قلعة هونين Hunin فقد وقعت فى جبال عاملة قرب بانياس وبعـدت عنها بمسافة تبلغ نحو ثلاثة فراسخ ومثلت مع قلعة جسر بنات يعقوب خطا دفاعيا تحكم فى روافد الأردن العليا ، وعمل المسلمون على شن العديد من الهجمات عليهـا بغية اسقاطها واخضاعها فى قبضتهم ، ومن أمثلة ذلك ما حدث فى عهد نور الدين محمود حيث هاجمها المسلمون فى عام ١١٦٧م ، غير انها لم تسقط الا عام ١١٨٧م ويبدو انها عادت الى السيادة الصليبية فيما بعد ولم يستردها المسلمون بصورة نهائية الا فى عهد الظاهر بيبرس فى عام ١٢٦٥م .

عنها انظر :

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٠٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٤٨ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ١٤٤ ، الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة (٩٧) ، نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان ص ٨٦ ـ

Le Strange, Op. Cit., P. 456.

Runciman, Op. Cit., P. 469.

Stevenson, Op. Cit., P. 309.

King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930, P. 132.

أما فيما يتصل بقلعة تبنين Toron فقد وقعت على بعـد سبعة عشر ميلا من بانياس الى الجنوب الشرقى منها فى مواجهة ساحل صور ، وهناك اختلاف حول تاريخ تشييدها ، فيقرر وليم الصورى أن ذلك تم فى عام ١١٠٤م بينما اعتقد البرت الاكسى أن عام ١١٠٧م هو التاريخ المحدد لذلك ، وهناك رأى آخر اعتقد به العلامة سـعيد عاشور ، اذ ذكر أن حصن تبنين ارتبط بحصن عال وهو الذى بناه الصليبيون فى المنطقة نفسها عام ١١٠٥م ، ويبدو ـ بصفة عامة ـ أن أوائل القرن الثانى عشر قـد شهدت اقامة ذلك المعقل الصليبى الهام .

ويبدو أن القلعة اردهرت من خلاا طبيعة المنطقه الواقعة فيها ، اذ انتعش فيها النشاط الاقتصادى لاسيما الزراعى والتجارى ، وعندها كانت تفرض المكوس على تجارة العبور المـارة بتلك المنطقه الخاضعه للسيادة الصليبية وقد أشار الى ذلك الرحالة ابن جبير ، وجدير بالاشارة ان هيئة الاسبتاريه اخضعت القلعة لسيطرتها فى عام ١١٥٧م وسقطت فى قبضة المسلمين فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م ، غير أنه عادت لسيطرة الصليبيين ولم تسقط فى قبضة المسلمين بصورة نهائية الا عام ١٢٦٦م فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ٠

عنها أنظر : William of Tyre, Vol. I, P. 469.

ياقوت ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٨٢٠ ، ابن جبير ، المصـدر السـابق ، ص ٢١٠ ، ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، جـ٢ ، ص ١٥٢ ، الحنبلى ، المصدر السابق، ورقة (٣٤) ، الخالدى ، المصدر السابق ، ورقة (٩٧) ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ص ١١٤٦ ٠

Runciman, Op. Cit., P. 324—325:

Riley-Smith, The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973, P. 198.

أما قلعة صفد ، فقد وقعت على بعد ثمانية أميال من بحيرة طبرية ، فى الجهة الغربية منها ، على الطريق الرئيسى المتجه الى دمشق ، ومن ثم فقد اعتبرت مفتاح طريق دمشق ، وبصفة عامة أشرفت القلعة على اقليم الجليل وعدت من أقوى وأمنع القلاع الصليبية ، وعهد الصليبيون بأمر الدفاع عنها لهيئة الداوية ، وذكر عز الدين ابن شداد أن ذلك تم فى عام ٤٩٥هـ وهو يوافق عام ١١٠٢م ، ونقل عنه العثمانى ذلك فى كتابه تاريخ صفد دون تمحيص ، وانتقل الأمر الى طه ثلجى الطراونة ، والواقع أن هذا الرأى ينطوى على مغالطة واضحة ، اذ أنه فى ذلك العام لم تكن هيئة الداوية قد ظهرت الىحيز الوجود بعد ، اذ ان تأسيسها قد حدث عام ١١١٨م اعتمادا على وليم الصورى نفسه ، ويلاحظ أن تلك القلعـة سقطت فى قبضـة المسلمين فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٨م بعد حصار طويل ، ويبدو أنهـا عادت فيما بعد للسيطرة الصليبية ، وبصفة عامة سقطت بصورة نهائيـة فى عهـد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٦٦م ٠

عن قلعة صفد أنظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٥ ، العثمانى ، تاريخ صفد ، ص ١٧٩

William of Tyre, Vol. I P. 524.

Ernoul, Ernoul's account of Palestine, Trans by Conder, P.P.T.S., Vol. VI, London 1896, P. 51.

طه ثلجى الطراونة ، مملكة صفد فى عهد المماليك ، ط٠ بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٥، عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط٠ القاهرة ١٩٦٥م ٠ ص ٦١ ، قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ص ١٥٩ ، ليلى طرشوبى ، المراجع السـابق ، ص ٨٤ ـ ص ٨٧ ٠

أما فيما يتصل بقلعة كوكب ، فنعرف انها وقعت جنوب شرق اقليم الجليل ، واشرفت على ضفتي نهر الاردن شمالي وادي بيسان ، وعرفت في المصادر الصليبية باسم Belvoir ، أما المصادر العربية فنجد الاسم كوكب الهواء ، ولا جدال في انها عدت من اهم القلاع الصليبية في اقليم الجليل ۰ ويعود تشييدها الى عهد الملك الصليبي فولك الانجوى Fulk of Anjou وذلك في عام ١١٤٠م ، وعهد بها الملك عمورى Amaury الى هيئة الاسبتارية في عام ١١٦٨م ، وقد وصفت بانها كانت صغيرة الحجم ومشيدة على النمط المعماري البيزنطي ، واحاط بها سور خارجي مربع الشكل واحتوت على عدة أبراج ، وبصفة عامة سقطت قلعة كوكب الهواء عام ١١٨٧م في أعقاب معركة حطين ، وعادت فيما بعد لسيطرة الصليبيين ، ثم استردها المسلمون في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٦٣م ۰

عن قلعة كوكب الهواء ، انظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الشيال ، ط۰ القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٨ ــ ص ٧٩ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق صبيح ، ط۰ القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ، ص٢٢، ابن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، ط۰ القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٦٥ ــ ص ٦٦ ، الحنبلي ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، جـ٢ ، ص ٣٥٦ ، السلامي ، مختصر التواريخ ، ورقة (٦٠) ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٦٩٣ ، نبيلة مقامي ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية ، ط۰ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٧٧ ــ ص ١٧٨ ، ليلى طرشوبي ، المرجع السابق ، ص ٩٠ ــ ص ٩٥ ۰

أما بالنسبة لقلعة جسر بنات يعقوب فتعرف بحصن يعقوب أو بيت الأحزان ، أما في المصادر الصليبية فتعرف باسم Jacobs Ford ، ووقعت الى الجنوب من مدينة دمشق ، على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ، ودمشق من ناحية أخرى ، واحتلت بذلك موقعا استراتيجيا هاما وشكلت مركزا لتهديد مدينة دمشق وتحكمت في طريق القوافل التجارية المارة في المنطقة ۰ اما تاريخ بنائها فهناك من يعتقد بأن ذلك يرجع الى عهد الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٣ ــ ١١٨٥م). وخضعت لسيطرة عناصر فرسان الداوية ، وقد قام المسلمون بمهاجمتها وأسر عدد كبير من فرسان الهيئة المذكورة وذلك في عام ١١٧٩م ۰

عن قلعة جسر بنات يعقوب انظر :

ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ ، الحنبلي ، المصدر السابق ، ورقة (٣٦) ، مصطفى الحيارى ، « حصن بيت الأحزان ، جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين » ، مجلة دراسات ، م (١٣) ، العدد (٤) ، عمان ١٩٨٦م ، ص ٣٩ ــ ص ٦٠ ، يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، جـ٦ ، ط۰ بيروت ١٩٠٠م ، ص٩٢، جب ، صلاح الدين الأيوبي ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ت۰ أبيش ، ط۰ بيروت ١٩٧٣م ، ص ١٣١ ، حامد غنيم ، الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ، هـ٢ ، ص ١٠٠ ۰

Stevenson, Op. Cit., P. 215, P. 221.

(٢١) Fetellus, P. 33.

(٢٢) ولا تزال بقايا تلك القلعة باقية الى الآن فى طرابلس بشمال لبنان ، عنها أنظر :

الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٧٣ ·

William of Tyre, Vol. I, P. 454.

Fedden, Crusader Castles, Beirut 1957, P. 24.
Grousset, Histoire des Croisades, T. I, Paris 1934, PP. 341—343.

سمايل ، الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ — ص ٢١٤ ·
محمد محمد الشيخ ، الامارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، ط١٠ الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٢٣٩ ·

(٢٣) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٢٤٠ ·

(٢٤) Fetellus. P. 24.

(٢٥) Ibid, P. 24.

وعن ذلك النهر أنظر :

ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٤٨ ، الخالدى ، المصدر السابق ، ورقة (٨٩) ·

(٢٦) Ibid, P. 25.

ويقرر ملكفرسون Macpherson ، أن كلمة Reblata هى Riblah ، ويذكر أن الاخيرة قد وردت فى العهد القديم فى سفر الملوك الثانى ، وأنها وقعت على الضفة الشرقية من نهر العاصى ، وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلا شمال شرق بعلبك ، ويقرر أن فتيلوس يكرر الخلط بين ربلاتا Reblata وانطاكية Antioch ، ويأخذ عليه ذلك ، غير أن الواقع عكس ذلك — على ما يبدو — اذ أن فوشيه الشارترى ووليم الصورى ، يذكر كل منهما فى تاريخه عند تناوله لأنطاكية أن أسمها السابق هو ربلاتا Reblata وقد فات ماكفرسون ملاحظة أن كلمة ربلاتا قد وردت تالية لكلمة انطاكية فى نص الرحلة مما يدل على الأرجح انهما مترادفتان وتدلان على موقع واحد محدد ألا وهو انطاكية ·

عن الاشارات التى وردت فيها ربلاتا فى الرحلة :

Ibid, P. 25, P. 37.

وانظر تعليق ماكفرسون Ibid, P. 37 note (6).

وبشأن ما ورد لدى فوشيه الشارترى ووليم الصورى أنظر :

Fulcher of Chartres, P. 92.

William of Tyre, Vol. I, P. 199.

وعلى الرغم من ذلك لا يورد داونى فى كتابه المتخصص عن انطاكية تلك التسمية فى الملحق الخاص باسم انطاكية ٠

عن ذلك الملحق انظر :

Downey, A History of Antioch in Syria, from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961, P. 581—582.

(٢٧) Fetellus, P. 25.

(٢٨) Ibid, P. 49.

(٢٩) Ibid, P. 49.

(٣٠) انظر الفصل الخاص برحلة يوحنا فوكاس ٠

(٣١) Ibid, P. 49.

(٣٢) Ibid, P. 51.

(٣٣) Ibid, P. 26.

وتجدر الاشارة الى أن قرية الميدان تقع على بعد ثلاثة عشر ك٠م فى الشمال الغربى من درعا ويحدها من الجهة الغربية قرية زيزون ومن الجهة الجنوبية الغربية قرية عمراوه ، ويقرر البيشاوى أن قرية الميدان تعرف حاليا بقرية موزرب ٠

عن نفس المنطقة انظر اشارة وليم الصورى :

William of Tyre, Vol. II, P. 27.

وعن التحديد السابق انظر :

البيشاوى ، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ ــ ١٢٩١م / ٤٩٢ ــ ٦٩٠هـ) ، ط٠ الاسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٢٠٠ ــ ص ٢٠١ ، حاشية (٦) ٠

(٣٤) Fetellus, P. 26.

(٣٥) هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ص ١٨٣ ٠

(٣٦) نفسه ، نفس المرجع والصفحة ، وايضا :

William of Tyre, Vol. II, P. 270, P. 272.

عبد الحافظ عبد الخالق يوسف ، الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام من ١٠٩٩ الى ١٢٩١م ، رسـالة ماجستير غير منشورة ـ كليـة الآداب ـ جامعة الزقازيق ، عام ١٩٨٩م ، ص ٧٦ ، محمد مؤنس عوض ، « الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية » ، الدارة السنة (١٦) ، العدد (٣) ، ١٩٩١م ، ص ٧٣ ٠

(٣٧) من المقرر أن سويتا Suetha أو Suite قد ذكرت من جانب وليم الصورى وكذلك مؤرخى الحروب الصليبية الآخرين ـ كما يلاحظ أوبرى ستيوارت Aubrey Stewart ـ دون تحديد واضح لموقعها أو امتدادها ، ويبدو أنها امتدت من بركة الروم الى الجنوب من درعا وكان نهـر اليرموك ـ والذى تسميه المصـادر الصليبية باسم نهر الدان Dan ـ يجرى فى المنطقة ، ومن المحتمل أن اسم سويتا قد اشتق من السويدة بالقرب من جبل حوران ، وهى مقاطعة مجاورة لدرعا ، ولا تزال تحمل اسم زويت Souwet أو Zuweit وهناك من يقرر أن سويتا بعدت مسافة ستة عشر ميلا عن طبرية ، وتمتعت بخصوبة واضحة فى تربتها الزراعية ، واحتوت على بعض الآثار القديمة ، ويقرر فتيلوس نفسه أنها كانت مسرحا لاحتفال سنوى من جانب اليونانيين والسريان ، عن سويتا وآراء الباحثين حولها وخاصة رأى أوبرى ستيوارت الهام انظر :

William of Tyre, Vol. II, P. 27.

Fetellus, P. 26, note (3', P. 27.

John of Wurzburg. Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. V, London 1896, P. 66, note (4).

ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٨٦ ٠

هايد ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ ٠

(٣٨) نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، ط٠ القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٨٤ ٠

(٣٩) Fetellus, P. 36.

(٤٠) Ibid, P. 3.

(٤١) Ibid, P. 4.

(٤٢) Ibid, P 4.

(٤٣) Ibid, P. 6.

الفصل الرابع

يوحنا الورزبرجي

١١٦٠ ـ ١١٧٠م

يوحنا الورزبرجى

(١١٦٠ – ١١٧٠م)

تحتل رحلة الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجى[1] ، مكانة متميزة من بين الرحلات التى قام بها الرحالة الأوربيون الى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشر م ، ومرجع ذلك يكمن فى أنها احتوت على جوانب متعددة عن أوضاع الصليبيين على كافة الأصعدة والمستويات السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والطبية ، والكنسية ، وقد قدم تناولا هاما لعناصر الهيئات الحربية الصليبية خاصة الاسبتارية والداوية بصورة ميزته عن غيره من الرحالة الأوربيين بصفة عامة ، والألمان منهم بصفة خاصة كذلك تعرض فى رحلته لأحد الأعياد الهامة التى احتفلت بها المملكة الصليبية ، ولا ريب فى أن كافة تلك الجوانب التى عرض لها فى ثنايا رحلته قد جعلتها تحظى بتلك المكانة الجديرة بها ٠

والواقع أن ظاهرة ندرة ما نعرفه عن أولئك الرحالة ، بالقياس لما عرفناه عن أوضاع المنطقة من خلال رحلاتهم نفسها هذه الظاهرة نجدها تنطبق بصورة واضحة المعالم عند تناول يوحنا الورزبرجى ، اذ أن معلوماتنا عنه ضئيلة ، ونستمدها فى الغالب من رحلته ذاتها ، ونعرف أنه كان راهبا فى كنيسة ورزبرج[2] ، ثم صار أسقفا لتلك الكنيسة ٠

وفيما يتصل بتوقيت الرحلة ، وتاريخ كتابتها ، يلاحظ أن يوحنا الورزبرجى قد زار بيت المقدس – على الأرجح – بين عامى ١١٦٠ ، ١١٧٠م ، وكان موجودا فى يوم الاحتفال بالقديس جيمس St. James وهو يوافق الخامس والعشرين من يوليو ، وكان حاضرا خلال الاحتفال فى كنيسة القديسة آن St. Anne ، كما يتضح فى الفصل السادس عشر من الرحلة ، ويبدو أن ذلك الرحالة الألمانى زار المنطقة قبل استرداد صلاح الدين لبيت المقدس فى عام ١١٨٧م ، ومن المرجح أيضا أن رحلته الى هناك ، وقعت مباشرة قبل قيام البيزنطيين باصلاحاتهم فى كنيسة الضريح المقدس ، والتى شاهدها رحالة ألمانى آخر ونعنى به ثيوردريش Theoderich ٠

أما ما اتصل بتوقيت كتابة الرحلة ، فيلاحظ جى٠ أ٠ فابر يكيوس J.A. Fabricius وهو أحد الذين اهتموا بدراستها أن يوحنا الورزبرجى كتب رحلته بعد فترة ليست طويلة عن عام ١٢٠٠م ، ويرى باحث آخر ونعنى به بيرنارد بيز Bernard Pez أنه من المؤكد أن ذلك حدث فى القرن الثالث عشر ، عندما أقنع يوحنا نفسه بأن يكتب ما قد شاهده خلال ترحاله فى ربوع فلسطين(٣) ، مع عدم أغفال أن مطالعة نصوص الرحلة لا تدع مجالا للشك فى أن يوحنا قام بها خلال عهد الاستقرار الصليبى فى بلاد الشام(٤) ٠ غير أننى لا أميل الى مثل هذا التصور خاصة أنه لا يوجد فى الرحلة ما يشير الى أن مؤلفها قد كتبها بعد ما يزيد على الأربعين أو الثلاثين عاما من وقوعها ، خاصة أن دقة أوصافها وملاحظاتها تعكسان أن صحابها قد سجل كل ذلك بعد فترة ليست بعيدة عن توقيت القيام بها ، ثم أن رغبة يوحنا الورزبرجى فى أن يفيد معاصريه المسيحيين بما شاهده قد جعلته — على الأرجح — يسرع بكتابة رحلته ٠

وتجدر الاشارة الى أن هناك قسما من المناطق التى أوردها يوحنا فى رحلته قد رآه بنفسه كشاهد عيان ، بينما وجد قسم آخر أورد اشارات عنه من خلال روايات ومشاهدات الآخرين المعاصرون له ، وربما كان ذلك من خلال وصف جغرافى وتاريخى مختصر للأرض المقدسة والمناطق المجاورة لها ، كان متداولا وشائعا حينذاك ، وقد استعان به ذلك الرحالة الألمانى على ما يبدو ، وشاركه فى نفس الاتجاه العديد من الرحالة الذين زاروا تلك المناطق خلال نفس المرحلة(٥) ٠

ويبدو أن القسم الذى شاهده يوحنا الورزبرجى بنفسه تمثل فى عدد من الكنائس وخاصة كنيسة الضريح المقدس Church of The Holy Sepulchre وكذلك أماكن تتصل بهيئتى الاسبتارية والداوية ٠ ويتسم وصفه لها بالاسهاب من خلال مشاهداته الشخصية ، وهو عندما يتحدث عن المستشفى الذى عمل على معالجة المرضى والجرحى وارتبط بتنظيم الاسبتارية ، نجده يذكر مثلا عبارة تدل على أنه ذهب حقا الى هناك(٦) ، فهو شاهد عيان معاصر فى هذا المجال ، أما القسم الذى نقله عن الآخرين فالمرجح — فى تصورى — أن جانبا منه يتمثل فى ذكر المدن والقوى التى ارتبطت بالمسيحية فى عهدها المبكر فى فلسطين ، وكذلك الاشارة الى أبعادها وأطوالها ومواقعها ، وهو فى هذا القسم لا يختلف كثيرا عما أورده الرحالة السابقون عليه مثل سايولف ودانيال وغيرهما ٠

وقد احتوت رحلة ذلك الرحالة الالمانى على العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والطبية والكنسية ، ومن الضرورى تناول كل جانب على حدة ، على نحو يساعد فى القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك ·

فعلى المستوى السياسى والحربى ، أشار ذلك الرحالة الى عناصر الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية والداوية · وفى هذا المجال أشار الى وجود اسطبل عجيب فى الناحية الجنوبية من القصر الذى يقال ان الملك سليمان بن داود قد بناه ، وذلك الاسطبل اتسع لألفين من الخيول أو ألف وخمسمائة من الجمال(٧) ، ويجاور هذا القصر فرسان الداوية ، ولهم مبان عديدة متصلة ، ولهذا التنظيم العديد من الفرسان الذين يقومون بالدفاع عن أرض المسيحيين — على حد تعبيره — ضد أعدائهم(٨) ·

وتجدر الاشارة ، الى أن الصليبيين حولوا قبة الصخرة الى كنيسة اسموها معبد السيد Templum Domini ، كذلك أطلقوا على المسجد الأقصى معبد سليمان Templum Solomonis ، وقسموه الى ثلاثة أقسام ، الأول كنيسة ، والثانى مسكنا للداوية ، والثالث مستودعا لذخائرهم ، كذلك جعلوا من السراديب التى أسفل المسجد اسطبلا لخيولهم وجمالهم(٩) ، ويبدو أن يوحنا الورزبرجى قصد بهذا الاسطبل ، القسم الخاص بدواب الداوية ، وتعكس الأرقام التى قدمها لنا ذلك الرحالة ، مدى امكاناتهم الداوية الحربية ، وقدرتهم على امتلاك آلاف الخيول والجمال وهى لازمة لعمليات القتال ، والكر ، والفر ، وحمل الأمتعة ومعدات الحرب ·

أما فيما يتعلق بقيام الداوية بعملياتهم الحربية دفاعا عن أملاك الصليبيين — وفق قول ذلك الرحالة — فى بلاد الشام ، فالواقع أنهم مثلوا أشد العناصر الصليبية فتكا بالمسلمين ، وذلك ما أقرته المصادر العربية ذاتها ، ونجد أن ابن واصل مثلا عندما امتدح المماليك ودورهم فى الدفاع عن الاسلام من خلال جهادهم وصفهم بأنهم « داوية الاسلام »(١٠) ، كذلك قرر العثمانى أنهم « يعدون للغارات على البلدان ، تصل غاراتهم من جهة دمشق الى داريا وما يليها ومن بيت المقدس الى كرك وما يليها »(١١) ، وقد شاركوا فى غالبية المعارك التى خاض غمارها الصليبيون ضد المسلمين فى بلاد الشام ومصر منذ تأسيس الهيئة وحتى الساعات الأخيرة خلال حصار المماليك عكا فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون عام ١٢٩١م ، حيث دافعوا عنها ببسالة(١٢) ، اعترفت بها المصادر العربية ·

ويقدم يوحنا الورزبرجى رواية تاريخية هامة بشأن الداوية ودورها خلال الحملة الصليبية الثانية ، ، فقد أورد أن صيت الداوية البطولى قد شهر به دورها الخيانى تجاه الصليبيين خلال أحداث الحملة المذكورة ، وفى ظروف حصار الصليبيين لدمشق(١٣) ، وفى بداية روايته أوضح انه لا يعرف اذا كان ذلك صدقا أم كذبا ، ومع ذلك فان ايراده لتلك الرواية عن الداوية على الرغم من مرور سنوات عديدة على أحداث تلك الحملة ٠ يدل بوضوح على أن ذلك التشهير بالداوية كان أمرا قائما فى صفوف الصليبيين ، حتى اذا ما جاء ذلك الرحالة الى المنطقة ، وجد تلك الروايات تتناقلها الألسن فأوردها فى رحلته وتجدر الاشارة الى أن ولبم الصورى William of Tyre — وهو المؤرخ الرسمى للمملكة الصليبية — اشار باللوم على الداوية لمسئوليتها فى فشل حصار دمشق(١٤) ، مما يدل على أن مثل تلك الاتهامات كانت تتردد فى الأوساط الصليبية الرسمية نفسها ٠

وزد على ذلك ، تدعمت الاشارة الى أن الداوية تآمرت على الصليبيين من خلال ما ذكره عدد من المؤرخين الأوربيين مثل يوحنا السالزبورى John of Salisbury ، وبيتر هاوزن Petrihausen ، وأوتو الفريزى Otto of Freising ، وجيرفاس الكانتربرى Gervase of Canterbury (١٥) ، على نحو يؤكد أن الداوية بالفعل لم يحافظوا على الأقسام التى قطعوها على أنفسهم لدعم الصليبيين ، والعمل على الدفاع عن أملاكهم فى بلاد الشام ضد أعدائهم المسلمين ٠

مهما يكن من أمر ، فان رواية ذلك الرحالة لها أهميتها فى القاء الضوء على أحداث الحملة الصليبية الثانية ، وتعيننا على ادراك صورة الحصار الصليبى لدمشق ، والذى تصوره المصادر التاريخية العربية المعاصرة — ولا سيما ابن القلانسى — دون تقديم صورة متكاملة عن حقيقة ما حدث خاصة فشل الحصار الصلبى للمدينة ، والأخطاء العسكرية التى وقع فيها الصليبيون ، والتى أدت الى انسحابهم بتلك الصورة المهينة المذلة ٠

ويوجد جانب هام يمكن استنتاجه من تلك الرواية ، ويتعلق بيوحنا الورزبرجى نفسه ، فعلى الرغم من أنه لم يكن مؤرخا بل راهبا فى كنيسة ، الا أنه امتاز بنزعة عقلانية تجاه ما يروى أمامه ، فهو لم يقبل تلك الرواية ولم يرفضها ولم يسرع الى قبولها ، غير أنه بفضل المصادر التاريخية الأخرى أمكن ترجيح أن ذلك مثل جزءا من الواقع السياسى والحربى حينذاك ٠

ومن جهة أخرى ، تناول ذلك الرحالة اشارة الى الاسبتارية وما امتلكته الهيئة من العمائر الحربية وذكر أنها امتلكت القلاع العديدة التى اقام بها الفرسان الذين يتولون الدفاع عن « أرض المسيحيين » على حد قوله ، ضد هجمات وغزوات العرب(١٦) ، ويلاحظ أن اشارته الى تلك القلاع اتسم بالاقتضاب وعدم تقديم صورة واضحة عنها وعن موقعها أو تواريخ سيطرة الهيئة عليها ، وقد تفوقت اشاراته عن بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بالرهبان الفرسان ، مثل الناحية الطبية والعلاجية . على تناوله لقلاع تلك الهيئات ٠

ومن الضرورى هنا أن نحاول الاقتراب من أعداد القلاع التى سيطرت عليها الاسبتارية ، ويرى لامونت La Monte أن القلاع التى كانت لها تفوقت فى العدد على ما كان لدى الداوية(١٧) ، ويلاحظ أن المصادر التاريخية العربية التى أرخت للعصر الأيوبى عندما تناولت موجة اسقاط القلاع الصليبية فى أعقاب أحداث عام ١١٨٧م ، كثيرا ما أشارت الى قلاع الاسبتارية ، بينما ذكرت قلاع الداوية بصورة اقل ، ويرى رايلى سميث Riley-Smith ان الاسبتارية امتلكت حوالى سبع أو ثمانى قلاع وذلك بالاضافة الى احدى عشرة أو اثنتى عشرة قلعة فضلا عن حقوق معينة على ست قلاع أخرى ، وذلك حتى عام ١١٦٠م وفى عام ١١٨٠م صارت تسيطر على خمس وعشرين قلعة ، ووصل فى بعض الأحيان الى ست وخمسين قلعة فى مختلف انحاء المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية(١٨) ٠

أضف الى ذلك ، احتوت الرحلة على جانب هام ميزها عن غيرها من الرحلات التى قام بها الرحالة الأوربيون الى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة ، ونعنى به التنافس السياسى بين الأمم الأوربية التى ساهمت فى المشروع الصليبى ، وذلك من خلال تحمس يوحنا الوزربرجى لألمانيا والالمان ، ويقرر أن القلة القليلة من الالمان بقيت مع جود فرى البويونى Godfrey de Bouillon بعد سقوط بيت المقدس فى قبضة الصليبيين عام ١٠٩٩م ، بينما عادت غالبيتهم أدراجها الى موطنها ، وسقطت المناطق الداخلية من البلاد فى قبضة أمم أخرى مثل الفرنسيين ، واللوريين ، والبروفنساليين والايطاليين ، والبرجنديين وغيرهم الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى ، وهنا يلاحظ أنه لا يوجد جزء من المدينة ، أو حتى أصغر شارع مخصص للألمان(١٩) ، الأمر الذى عكس حسرة ذلك الرحالة على وضع بنى جلدته ٠

كذلك يقرر أنه نظرا لان الألمان أنفسهم لا يعيرون الأمر اهتماما ، وليست لديهم النيه للبقاء هناك ، فان أسماءهم لم تذكر قط ، وصار مجد اقتحام المدينة المقدسة للفرنج فحسب[٢٠] ٠

ومن جهة اخرى ، يقرر أن هذه المنطقة من عالم المسيحية سوف تمتد حدودها من وراء النيل جنوبا الى ما وراء دمشق شمالا ، اذا توفر عدد كبير من الألمان مثلما الامر بالنسبة للأمم الأخرى[٢١] ٠ ودل ذلك بالطبع على مدى تحمسه لبنى جلدته ، والجانب التنافسى بين الألمان والفرنسيين على نحو خاص ، كذلك اعطت روايته دليلا على أن من الرحالة الأوربيين من شارك الصليبيين المحليين التطلع الى توسيع حدود مملكة بيت المقدس الصلبى لكى تشمل ما وراء دمشق شمالا وما وراء النيل جنوبا وذلك على حساب المسلمين بطبيعة الحال ، وهذا بدوره يكشف عن أن الكيان الصليبى لم يكن ليكتفى بأن تكون حدوده ثابتة بل انه أراد توسيع حدوده الى أقصى امتداد ممكن ٠ ومثل هذا القول لم يأت من أحد المؤرخين الرسميين ، بل جاء من أحد الرحالة الوافدين على المنطقة ، ولم يقم بها امدا طويلا مما يعكس تحمسه للمشروع الصليبى ورغبته المستمرة فى أن تتسع المملكة الصلبية لتشمل مناطق اخرى ذات اهمية اقتصادية وحربية كبيرة ، ويدل ايضا على أن أولئك الرحالة كانوا جزءا لا يتجزأ من المشروع الصليبى الاستعمارى ٠

وهكذا ، فان ذلك الرحالة الألمانى ـ من خلال تحمسه لألمانيته ـ رغب فى أن يكون عدد الألمان مقاربا لأعداد العناصر الاوربية الاخرى ، وهو ما لم يتحقق على مدى تاريخ الوجود الصليبى فى بلاد الشام ، اذ من الواضح أن العناصر الألمانية شكلت قلة قليلة اذا ما قورنت بالفرنسيين والايطاليين ، وهم الذين مثلوا قسما هاما من الصليبيين ٠

اما اذا انتقلنا بالحديث الى الجانب الاقتصادى فى رحلة ذلك الرحالة الألمانى ، نجد انه تناول فى رحلته مدينة بيروت Berytus واشار اليها بقوله انها مدينة بالغة الثراء[٢٢] ، وتعكس عبارته الدور الاقتصادى الذى قامت به تلك المدينة خاصة على المستوى التجارى والذى مثل جزءا من ظاهرة ازدهار الساحل الشامى بصفة عامة خلال ذلك الحين ، ويلاحظ أن وصفه هذا اتفق مع ذات الوصف الذى سبق وأن ذكره الرحالة فتيلوس Fetellus ، كذلك اشار الى مدينة صور Sors او Tyro وذكر انها اكبر مدينة عظيمة فى كل فينيقيا[٢٣] ، ومن الواضح أن ذلك تأتى اليها من خلال موقعها الفريد صاحب الأهمية التجارية والحربية الدفاعية ٠

ومن جهة أخرى ، قدم يوحنا الورزبرجى تناولا هاما للجانب الاقتصادى لدى فرق الرهبان الفرسان ومدى ثرائهم وتميزهم فى المملكة الصليبية ، فيقرر على سبيل المثال ، أن للداوية ممتلكات ودخول لا تحصى سواء فى البلاد نفسها (أى فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام) أو فى خارجها وأن للاسبتارية أملاكا يصعب حصرها[٢٤] ، ويقوم الداوية بتقديم الصدقات الوفيرة لفقراء السيد المسيح عليه السلام ، ولكن كل ذلك لا يصل الى عشر ما يقدمه الاسبتارية[٢٥] ٠

والواقع أن هيئة الداوية على مدى تاريخ المملكة الصليبية فى بلاد الشام ، عرفت بثرائها العريض ، وامتلاكها العديد من الاقطاعات فى المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية بل ان هذا الثراء جعل التنظيم أحيانا يقرض الملوك الصليبيين ، ومن أمثلة ذلك ما حدث ـ فيما بعد ـ عندما أقرض فرسان الداوية الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX مبلغا كبيرا من المال[٢٦] ، من أجل اطلاق سراحه من قبضة المصريين فى المنصورة ٠ وقد أورد الحادثة مؤرخ سيرته جان دى جوانفيل على نحو عكس الأساس المادى القوى للتنظيم ٠ ومن جهة أخرى ، عمل الداوية فى عمليات البنوك والاقراض ، وصارت لهم مراكزهم فى كافة أنحاء أوربا[٢٧] ٠

ويدل حديث يوحنا الورزبرجى عن أن صدقات الداوية لا تصل الى عشر ما يعطيه الاسبتارية للفقراء والمحتاجين ـ يدل بوضوح على حقيقة هامة ألا وهى الطابع التنافسى بين الهيئتين الذى أدى الى أوخم العواقب على الوجود الصليبى فى بلاد الشام ، وكان من العوامل المساعدة المؤدية الى انهياره فى النهاية ، ومن المنطقى تصور أن ذلك الرحالة وجد طابع المنافسة قائما بينهما ، ومن ثم اتجه الى عقد مثل تلك المقارنة ، ومع ذلك ينبغى أن نقرر أن ما ذكره عن تفوق الاسبتارية فى حجم صدقاتها على الفقراء والمحتاجين على الداوية بما يوازى عشرة أضعاف ، لا يجعلنا نتصور ضعف المركز المالى للهيئة الأخيرة ، اذ أن القرن التالى ، ونعنى به القرن الثالث عشر م ٠ شهد دلائل واضحة على انتعاش المركز المالى لها ، وحتى خلال القرن الثانى عشر م ، لم يكن هناك ما يدل على ضعف قدراتها المالية وتعليل رواية ذلك الرحالة يرجع الى أن دور الاسبتارية الخيرى والعلاجى قد هيأ لها دورا أكبر فى توزيع الصدقات على نحو جعلها تتفوق على الداوية ٠

ولعل من أثرى ما احتوته رحلته ، ما تناوله فى ثناياها عن الجانب الطبى والعلاجى فى مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك ، وخاصة من خلال تناوله لهيئة

الاسبتارية ودورها العلاجي ، ويلاحظ هنا أن المؤرخ الصليبي وليم الصورى لا نجد فى تاريخه أية اشارات هامة عن ذلك الجانب ٠

وقد ذكر يوحنا الورزبرجي أن مستشفاهم فى بيت المقدس وهى التى أقيمت بالقرب من الكنيسة التى شيدت على شرف القديس يوحنا المعمدان ـ احتوت على حجرات عديدة ضمت عددا كبيرا ومتزايدا من المرضى سواء من الرجال أو النساء ، وهم يتماثلون للشفاء يوميا على نطـــاق متسع للغاية(٢٨) ، وعنـدما كان يوحنا الورزبرجى فى تلك المستشفى علم بأن العدد الاجمالى لاولئك المرضى يقدر بألفين(٢٩) ، ومنهم من تدركه منيته ، وهؤلاء يبلغ عددهم أكثر من خمسين شخصا يوميا ، بينما هناك الكثيرون الذين يواصلون الحياة من بعد شفائهم(٣٠) ٠

وتتسم روايته بأهميتها من حيث أنه قدم لنا صورة عن مرحلة هامة من مراحل عمل التنظيم من الناحية العلاجية ، بل انه دعم روايته بأرقام محـددة عن طـاقة المستشفى وقدراتها على استيعاب أعداد كبيرة من المرضى ـ وذلك من خلال شاهد عيان معاصر ـ ولا ريب فى أن المئات من الحجاج المسيحيين قد قدموا اليها عندما وقعوا فريسة للمرض من عناء رحلة الحج الشاقة ، أو بسبب اصابتهم بالأمراض المختلفة وهم فى الأرض المقدسة ذاتها ٠

وتدل روايته فى هذا الشأن ـ من ناحية أخـرى ـ على النزعة العقلية لدى ذلك الرحالة ، الذى أراد تدعيم أقواله بأرقام محددة عن واقع قـدرات المستشفى ومن ثم أعطى قيمة كبيرة لاشارته عن دور تنظيم الاسبتارية العــلاجى ، وكما هو واضح ، فان الجانب الاحصـــائى الرقمى لم يقتصر على تناوله لأعداد من تستوعبهم المستشفى ، بل أيضـــا من يموتون كذلك ، مما عكس دقته بصفة عامة ، ورغبته فى تقديم صورة واضحة عن قدرات تلك المستشفى ٠

كذلك فان روايته عن نسـبة الوفيــات ، وأنها بلغت أكثر من خمسين شخصا يوميا ، تدل على ارتفاعها النسبى ، وربما عكس ذلك عدم قدرة وســائل المعالجـة لدى الصليبيين على تدارك حالات مرضـية عديدة ، على نحو أدى الى وجـود تلك الأعداد من الوفيات ، ويمثل ذلك المعدل الذى ذكره ذلك الرحالة ، الذى من الواضح أنه استقى معلوماته من أوثق المصــادر ومن خلال زيارته المستشفى بنفسه للتأكد

من وضعها وقدراتها ، ومن الطبيعي الا نغفل هنا ، ضعف المستوى العلاجي والخبرة الطبية عند الصليبيين بصفة عامة ، وهو ما أوضحه أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار[٣١] ٠

وهناك عامل آخر له أهميته ساعد على الوضع السابق ، اذ أن الحجاج المسيحيين الذين توافدوا على المدينة المقدسة كانوا من جنسيات مختلفة ومذاهب متعددة ، فمنهم اليونانيون والبلغاريون والانجليز ، والفرنجة ، والبوهيميون ، والأرمن واليعاقبة ، والسريان ، والنساطرة ، والهنود ، والمصريون ، والموارنة[٣٢] ، ومثل ذلك الخليط البشرى ، وبالأعداد الكبيرة التي من المتوقع قدومها من أجل زيارة الأماكن المسيحية المقدسة من المنطقي تصور احتمال انتشار الأمراض في صفوفهم ، خاصة مع عدم توافر وسائل فعالة للحجر الصحي كتلك المعمول بها حاليا ، فضلا عن ضعف، ان لم يكن انعدام الوعي الصحي لدى قطاعات عديدة خلال ذلك العصر ٠

وبالاضافة الى ذلك ، احتوت رحلة يوحنا الورزبرجي على تناول عدد من الكنائس والأديرة ، فضلا عن الاعياد الدينية الهامة التي احتفلت بها مملكة بيت المقدس الصليبية ٠

ومن أمثلة تلك الكنائس ، كنيسة المخلص[٣٣] ، وكنيسة القيامة[٣٤] وكنيسة الصعود[٣٥] ، وكنيسة القديسة مريم المجدلية St. Mary Magdelene [٣٦] ، ويلاحظ أن كافة الرحالة الأوربيين عملوا على وصف تلك الكنائس وذلك من خلال تناول ذكريات المسيحية في عهدها المبكر في فلسطين وما اتصل بالسيد المسيح عليه السلام والحواريين ، والقديسين ٠

أما بالنسبة للاديرة ، فقد ذكر ذلك الرحالة عددا منها ، ومن أمثلتها ، دير القديس ساباس St. Sabas [٣٧] والذى حظى بتناول عدد من الرحالة الأوربيين الذين سبقوا مقدمه الى المنطقة ، ويأتي على رأسهم الأب دانيال الروسي ، وفضلا على ذلك ، وجد دير للراهبات كرس للقديسة مريم St. Mary ، وقد أقيم بالقرب من كنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist [٣٨] ٠

ومن الجوانب الهامة التي وردت في ثنايا رحلة يوحنا الورزبرجي ، تناوله لأحد الأعياد الدينية التي احتفلت بها كنيسة مملكة بيت المقدس ، ومن الاهمية

بمكان ملاحظة أن تلك الأعياد كانت مجالا كبيرا لجذب الآلاف من الحجاج للقدوم الى فلسطين للاحتفال بها ومن الطبيعى أن نتصور اهتمام مملكة بيت المقـــدس الصليبية بمثل تلك المناسبات الدينية ، لما فيها من تدفق الحجاج بأعداد كبيرة على نحو يؤدى الى زيادة المكاسب المالية العائدة على ميزانية المملكة ، ثم ما ينتج عن ذلك من دعاية سياسية للمملكة فى كافة أنحاء عالم المسيحية ، اذ أن الحجـــاج العائدين سوف يتحدثون بالضرورة مع مواطنيهم حول قوة تلك المملكة ورعايتها لشئون الحج ، وكذلك المحارم المسيحية المقدسة ، ويقرر براور أن تلك الاحتفالات كانت تتم فى ذات المواقع التاريخية([39]) ، وكما وردت فى الانجيل على نحو يؤدى الى اعطاء الحجاج شحنة نفسية قوية ، بصورة تركت أفضل الأثر فى نفوسهم ؛ وهم الذين تاقت نفوسهم الى رؤية تلك الأماكن المقدسة لديهم والتى أمضوا عشرات السنوات يأملون زيارتها الى أن حققوا ذلك الحلم الشخصى لكل فـــرد منهم .

أما العيد الذى ذكره يوحنا الورزبرجى ، فهو العيد الذى تم الاحتفال به فى الخامس عشر من يوليو ، وهو يوافق تاريخ سقوط مدينة بيت المقدس فى قبضـة الصليبيين ، وكذلك الاحتفال بتكريس كنيسة الضريح المقدس للخدمة الالهية ، وكان قد تم ذلك فى عام ١١٤٩م([40]) أى بعد نصف قرن من خضوع المدينة المذكورة للسيادة الصليبية ، ومن مراسم ذلك الاحتفال أن يقام قداس فى وقت مبكر من ذلك اليوم ، برئاسة بطريرك بيت المقدس ، وكذلك رجال الاكليروس وكافة سكان المدينـة من المسيحيين ، ومعهم الحجاج بطبيعة الحال ، وتقام صـــلاة الشـــكر([41]) ، ويقرر ذلك الرحالة أنه فى نفس اليوم يتم تكريس المذابح الاربعة فى تلك الكنيســة اثنان منها فى موضع صلب المسيح — كما يتصور المسيحيون بطبيعة الحـــال — واثنان آخرون فى الموضع المعاكس من الكنيسة ، وقد تم تخصيص أحد تلك المذابح لشرف القديس بطرس St. Peter ([42]) ، والآخر لشرف الشهيد الأول ، القديس ستيفن The Protomartyr St. Stephen ([43]) .

وتجدر الاشـارة ، الى أنه فى اليوم التالى يتم اعطاء الصدقات للفقـــراء والمحتاجين ، وكذلك اقامة الصلوات من أجل احياء ذكرى أولئك الصليبيين الذين سقطوا قتلى خاصة فى مناسبة اقتحام بيت المقدس — وكان الصليبيون قد نظـروا اليهم على اعتبار أنهم شهداء سقطوا فداء قضـيتهم — ويحـدد يوحنا الورزبرجى موضع دفنهم بأنه بالقرب من البوابة الذهبية The Golden Gate ، ويقـرر أن

ذلك الموقع تمتع بشهرة واسعة النطاق[٤٤] ، وفى أعقاب ذلك بثلاثة أيام ، يتم احياء ذكرى جودفرى البويونى الذى وصفه ذلك الرحالة بأنه قائد الحملة المقدسة التى استولت على بيت المقدس وخلصتها من قبضة المسلمين[٤٥] ، ويلاحظ أن ذلك الأمير الصليبى بالذات نسجت حوله أسطورة لازمته ، واعتبره الصليبيون نموذجا ومثلا للفارس الصليبى ، ومن ثم فمن المتصور أنه تمتع بذيوع الصيت لدى صفوف الحجاج المسيحيين الوافدين الى المدينة المقدسة ٠

مهما يكن من أمر ، فالملاحظ أن مثل تلك الأعياد وفى تلك المواقع التى أشار اليها ذلك الرحالة الألمانى ، كان من شأنها اثارة الصليبيين وشحذهم نظرا لانها كانت تذكرهم بانتصاراتهم المبكرة التى حققوها على حساب المسلمين فى بلاد الشام ٠

وهكذا ، ألقت رحلة ذلك الرحالة الألمانى ـ المتعدد الاهتمامات والقوى الملاحظة ـ أضواء كاشفة لها قدرها من الأهمية على العديد من الجوانب المتعلقة بأوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية على المستويات السياسية والحربية والاقتصادية والكنسية ٠

الهـوامش :

(١) اعتمدت فى اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة يوحنـا الورزبرجى Joannes Wirzburgensis وهى باللاتينية :

Descriptio Terrae Sanctae

ويوجد النص اللاتينى فى الباترولوجيا اللاتينية ، مجلد ٢٥٥ ، من ١٠٥٤ الى ١٠٩٠

Migne. P.L., Vol. CLV, Cols, 1054—1090.

عن ذلك أنظـر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die Geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, P. 38—39.

ويلاحظ أن تيتوس توبلر Titus Tobler قد قام بنشر الرحلة ضمن كتابه عن اوصاف الأراضى المقدسة الصادر فى لبزج عام ١٨٧٤م ، صفحات من ١٠٨ الى ١٩٢ ، من ٤١٥ الى ٤٤٨ ، عن ذلك أنظر :

Tobler, Descriptiones Terrae Sanctae Ex Saecula VIII, IX, XII et XV, Leipzig 1874, PP. 108—192, PP. 415—448.

وقد صدرت طبعة جديدة لهذا الكتاب المتضمن رحلة يوحنا الورزبرجى ، فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية وذلك فى عام ١٩٧٤م ٠

عن ذلك أنظـر :

John Wright, The geographical lore of the time of the Crusades, P. 523.

حسن عبد الوهاب ، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة ، حوالى ١١٩٠ ـ ١٢٩١م ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٩م ، ص ٣٧٩

وقد صدرت ترجمة انجليزية للرحلة من جانب أوبرى ستيوارت Aubrey Stewart ، ضمن مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الخامس ، والذى صـدر فى لندن عام ١٨٩٦م ٠

John of Wurzburg, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

ومن جهة أخرى ، فوفقا لما يقرره توبلر ، فان المخطوط الأصلى للرحـلة يوجد فى مكتبة مدينة ميونيخ ، وهناك نسخة محفوظة بصورة أفضل فى مكتبـة الجامعه فى برلين ، وهى تعود الى القرن الخامس عشر م ٠

عن ذلك أنظـر :

Tobler, Bibliographia P. 17.

أما روهرشت فيقرر وجود نسخ محفوظة فى المتحف البريطانى ومكتبة جامعة ورزبرج ، أنظـــر Ruhricht, Chronologisches, P. 38.

(٢) John of Wurzburg, P. IX.

وورزبرج مدينة ألمـانية تقع الى الشمال من بافاريا Bavaria على نهـــر المين Main ، وهى عاصمة فرنكونيا السفلى Lower Franconia ، وتبعـــد حوالى ١٠٠ ك م أو حوالى ٦٢ ميلا عن مدينة فرانكفورت ، ومعنى ذلك انها وقعت فى جنوب غرب ألمـانيا ، وهناك من يقرر ان أول ذكر لورزبرج فى الوثائق يعود الى عام ٧٠٤م ، وكانت تحكم من جانب أساقفتها منذ عام ٧٤١م ، ونمت كمدينة على مدى القرنين العاشر والحادى عشر م ، ويلاحظ ان امبراطور الهوهشتاافن فردريك الأول باربا روسا تزوج فى مدينة ورزبرج فى عام ١١٥٦م ٠

عنها انظـــر :

Michael Meisner & Halm, Wurzburg, Wurzburg 1975.
Academic Amer. Ency., «Wurzburg», Vol. XX, New Jersy 1981, P. 297.
Ency. Amer., «Würzburg», Vol. XXIX, U.S.A., 1985, P. 568.
Ency. Brit., «Wurzburg», Vol. XXIIV, U.S.A. 1958. P. 818—819.
Lexicon Universal 6ncy., «Wurzburg», Vol. XV, New York 1980, P. 297.

(٣) Stewart, Introduction, P. X.

وايضـــا انظـــر : Beazley, Vol. II, P. 190.

(٤) Stewart, P. X.

(٥) Ibid, P. X.

(٦) John of Wurzburg, P. 21.

(٧) Ibid. P. 21.

(٨) Ibid. P. 21.

(٩) عن ذلك انظر : الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٦٠ ، جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ٢٦٣ ، محـــمد مؤنس عوض ، التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية ، صد ٣٧٦

(١٠) نقلا عن : عاشور ، مصر فى عصر دولة المـماليك البحرية ، ط٠ القاهرة ١٩٥٩م ، ص ٦٠ ٠

(١١) العثمانى ، تاريخ صفد ، ص ٤٨٧ ٠

(١٢) عن ذلك انظـــر :

بيبرس الدوادارى ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيـدة محمد عطا ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٢م ، ص ٢٢٥، مفضل بن أبى الفضـائل ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ بن العميد ، تحقيق بلوشيه P.O.. T. XII ، ص ٥٤٧ ، مصطفى الكنانى ، العـلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى ، جـ٢ ، طـ١ الاسكندرية ، ص ٢٨٤

John de Villiers, A Letter of John de Villiers Master of Hospital describing The Fall of Acre, in King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, PP 301—303.

(١٣) John of Wurzburg, P. 21.

(١٤) William of Tyre, Vol. II, P. 193—195.

ايضـــا :

Northup, The Knights Templars in The Holy Land (1118—1187), Thesis submitted in partial satisfaction of The requirements of Arts for The degree of Master of Arts in History, Univ. of California 1943, P. 37.

(١٥) نقلا عن الرسالة السابقة انظر : Ibid, P. 37.

(١٦) John of Wurzburg, P. 44.

(١٧)

La Monte, Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge 1932, P. 220, note (2).

ايضـــا : Archer, The Crusades, P. 179.

(١٨) Riley-Smith, The History of The Order of The Hospital of St. John of Jerusalem, London 1967, P. 69.

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P. 265.

(١٩) John of Wurzburg, P. 41.

(٢٠) Ibid, P. 41.

(٢١) Ibid, P. 41.

(٢٢) Ibid, P. 63.

(٢٣) Ibid, P. 63.

(٢٤) Ibid, P. 44.

ومن أمثلة المراسيم والمناشير الخاصة بمنح هيئة الاسبتارية العديد من الأملاك على نحو أدى الى ثرائها بالصورة التى ذكرها يوحنا الورزبرجى :

Delaville Le Roulx, «Troix chartres de XII siècle concernant l'Ordre de St. Jean de Jerusalem», A.O.L., T.I., PP. 409—415, «Inventaire de pièces Terre Sainte de l'Ordre de l'Hospitale», R.O.L., T. III, Année 1895, PP. 36—106.

Anastasius IV grants privileges to The Knights of St. John (1154). in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903, PP. 454—456.

Ruhricht, Regesta, P. 12, P. 13, P. 20—22.

(٢٥) John of Wurzburg, P. 21.

(٢٦) Jean de Joinville, The Life of Saint Louis, in chronicles of The Crusades, Trans. by Show, London 1976, P. 259, King, The Knights of St. John in The British Kingdom, London 1943, P. 29, Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897, P. 355.

جوزيف نسيم يوسف ، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ، ط· القاهرة ب ـ ت ، ص ١١٦ ، العـدوان الصليبى على مصر ، ط· الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ٢٨٠ ، حسن حبشى ، الشرق الأوسط بين شقى الرحى ، ط· القاهرة ١٩٤٩م . ص ١٠٩ ، مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع وهزيمته فى المنصورة ، ط· القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٠٩ ، عـزيز سـوريال عطيـه ، العـلاقات بين الشرق والغـرب ، ص ٧٧ ، عبـد الرحمن زكى ، الجيش المصرى فى العصر الاسـلامى ، ط· القاهـرة ١٩٦٠م ، ص ٢١٦ ·

(٢٧) عن ذلك أنظر :

Favier, «Les Templiers ou l'échec des basquiers de la croisade», L'Histoire, T. XLVII, Année 1982, PP. 44—51.

(٢٨) John of Wurzburg, P. 44.

(٢٩) Ibid, P. 44.

Ann Woodings, «The Medical resources and practice of The Crusader States in Syria and Palestine (1096--1193)», M.H., Vol. XV, No. 3, July 1971,

على السـيد على ، المجتمع المسـيحى فى بلاد الشـام فى عصر الحـروب الصليبية ، رسـالة ماجستير غير منشورة ، كليـة الآداب ـ جامعة القـاهرة ، عام ١٩٧٨م ، ص ١٣٨ ·

(٣٠) John of Wurzburg, P. 44.

(٣١) أسامه بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٠ ـ ص ١٧١ ، كامل حسين ، « فى الطب والاقربازين » ، ضمن كتاب اثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربية ، ط٠ القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٨٥ ، عاشور ، المدنية الاسلامية واثرها فى النهضة الأوربية ، ط٠ القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٤٧ ، ملامح المجتمع الصليبى ، ص ٣٤ ، زكى نقاش ، العلاقات ، ص ٢٠٦ ، الحويرى ، الأوضاع الحضارية ، ص ٢٣١ ، العروسى المطوى ، الحروب الصليبية ، ص ١٧٥ ، نقولا زيادة ، « سوريا زمن الصليبيين » ، المقتطف ، يوليو ١٩٢٨م ، ص ٢٠٠ ٠

(٣٢) Ibid, P. 69.

Prawer, «Social classes in The Crusader States, The Minorities», in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, New Jersy 1983, P. 60.

(٣٣) John of Wurzburg, P. 44.

(٣٤) Ibid, P. 27.

(٣٥) Ibid, P. 27.

(٣٦) Ibid, P. 44.

(٣٧) Ibid, P. 27—28.

(٣٨) Ibid, P. 45.

(٣٩) Prawer, Op. Cit., P. 170.

(٤٠) Loc. Cit.

(٤١) John of Wurzburg, P. 39.

(٤٢) John of Wurzburg, P. 39.

القديس بطرس ، رأس الحواريين ، كان فى الأصل صيادا للسمك فى بحيرة طبرية ، ويعد اخا للقديس اندرو St. Andrew ، وفى الأصل دعى سمعان بن يونة ، ولكن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الارامى Kapha والذى يعنى الصخرة Peter ، أى بيتر وهو الذى سيعرف به ، ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة فريدة من بين الحواريين ، ويتضح ذلك من خلال مطالعة نصوص انجيل متى ، اذ أن المسيح يقول مخاطبا بطرس : « انا اقول لك أيضا أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ، ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى

عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات » ، وقد استغل هذا الحديث كما يلاحظ شارل جنير الى أبعد الحدود فيما يتعلق بمكانة كنيسة روما وسيادتها على سائر الكنائس ، ويلاحظ نفس الباحث أن النصوص الانجيلية لم تنسب الى السيد المسيح تعبيرا مثل « كنيستى » أو « كنيسة الأب » ، الا فى مناسبة واحدة ، هى تلك التى وردت فى انجيل متى ، ويتضح أن هذا الحديث المشهور لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يتم الاعتماد على صحته ، وأن النصوص والأحداث فى تسلسلها لتدل دلالة مؤكدة على أن أسبقية بطرس الحوارى لم يكن لها أى حظ من الواقع ولم توجد قط .

عن ذلك انظر :

انجيل متى ، الاصحاح (١٦) ، من ١٨ ــ ٢٠ .

اسحق عبيد ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٧٢ ــ ص ١٧٣ . شارل جنيير ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، ص ١٦٧ .

Attwater, Penguin Dictionary of Saints, P. 273--274.

(٤٣) John of Wurzburg, P. 39.

القديس ستيفن St Stephen هو أول شهداء المسيحية ، ونستمد معلوماتنا عنه من خلال سفر أعمال الرسل ، وكان يونانيا يتحدث اليونانية ، وتم اختياره بين عدد من الأشخاص من أجل أن يتولى احتياجات الارامل اللائى يتحدثن اليونانية من بين العناصر المسيحية فى بيت المقدس ، وتنسب اليه مجموعة من الخوارق ، وقد توفى فى بيت المقدس عام ٣٥م ، عنه انظر :

سفر أعمال الرسل ، الاصحاحين ، (٧) ، (٨) .

Attwater, Op. Cit., P. 313.

(٤٤) John of Wurzburg, P. 40.

منصى عبد العزيز ، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس ، ص ١٢٥ ومن المقرر أن البوابة الذهبية ، هى بوابة مدينة القدس عند الجزء الشرقى من المعبد ، ويعتقد أن عندها قابل Juachim والد القديسة مريم البتول قابل زوجته آن Anne ومن نفس البوابة ، دخل السيد المسيح عليه السلام قادما من بيثانى الى بيت المقدس، وعندها أيضا ، قدم الامبراطور البيزنطى هرقل Heraclius الى المدينة المقدسة مظفرا بعد أن حقق انتصاراته على الفرس ، ولم تكن تلك البوابة تفتح قط الا فى مناسبة عيد رفع الصليب وهو يوافق ١٤ سبتمبر ويمثل ذكرى عثور القديسة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين على خشبة الصليب ــ كما يعتقد المسيحيون ــ وكذلك فى مناسبة أحد السيف ، ويلاحظ أن تلك البوابة قد أشار اليها عدد من الرحالة

الأوربيين الذين زاروا المملكة الصليبية خـلال ذلك القرن ، ومن أمثلتهم سـايولف وتيودريش ، وهناك من الرحـالة المتأخرين فيلكس فابرى ٠

عن ذلك أنظر :

Saewulf, P. 17.
Theoderich, P. 35
Felix Fabri, P. 448.

محمد محمد فياض ، التقاويم ، ط٠ القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٢١٣ ٠

(٤٥) John of Wurzburg, P. 40.

وعن جودفرى البويونى ودوره فى الحملة الصليبية الأولى انظر :

Fulcher of Chartres, P. 72, P. 80, P. 85.

William of Tyre, Vol. II, P. 43, P. 57.

Parisee, «Godfrey de Bouillon, Le Croisade examplaire», L'Histoire, T. XLVII, Année 1982.

Hagenmeyer, «Etudes sur la chronique de zimmern renseignements qu'elle fournit sur la première croisade», A.O.L., T. II, PP. 21—22.

Grousset, Histoire des croisades, T. I, PP. 11—13.

Oldenbourg, Les Croisades, T, I, P. 64, P. 65, P. 68.

Mayer, The Crusades, P. 45.

سعيد برجاوى ، الحروب الصليبية فى المشرق ، ط٠ بيروت ١٩٨٤م ، ص ١٧٦ـ ص ١٩٠ ، عمر كمـال توفيق ، مملكة بيت المقـدس الصليبية ، ص ٦٢ ـ ص ٩٩ ، عبد الغنى عبد العاطى ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨م) ، ط٠ القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٢٨٥ ـ ص ٢٨٧ ٠

الفصل الخامس

ايو فروزين

١١٦٢ ـ ١١٧٢م

ايو فروزين

١١٦٢ ـ ١١٧٢م

تحتل رحلة الرحالة الروسية أيوفروزين[١] مكانها الهام بين الرحلات التى قام بهـا الرحالة الأوربيون فى أنحـاء مملكة بيت المقـدس الصليبية على مدى القرن الثانى عشر ، وهى تفيد فى القاء الضـوء على أوضـاع المملكة من زوايا متعددة وبصور مختلفة ، ومع ذلك فلم يكن الأمر بنفس الصورة التى قدمتها الرحلات الأخرى التى جرت خلال تلك الرحلة ، ومن جانب آخر ، نجد أن رحلة أيوفروزين قد اختلفت عن باقى الرحلات الأوربية فى مواضع متعددة ، كما أمكن عقد مقارنة بينها وبين رحلة رحالة روسى سبقت دراسته ونعنى به الأب دانيال ، وسوف نعرض فى هذا الفصل لكافة تلك العناصر المذكورة ٠

والواقع أن حجم ما نعرفه عن ايو فروزين كبير ، خاصة بالنسبة للمرحلة التى سبقت قيامها بالارتحال الى بيت المقدس ، فمن المعروف ، أننا لا نعرف الا النزر اليسير عن الرحالة الذين قدموا الى المنطقة خلال ذلك العصر ، وأغلب ما نعرفه عنهم نستمده أحيانا من رحلاتهم نفسها ، وتظل الرحلة الواقعة ثما قبل قيام الرحالة برحلتـه محجوبة عن الباحثين ، الذين تناولوا أولئك الرحالة بالبحث والدراسة ٠

ومثل ذلك الوضع ينطبق على الغالبية الغالبة من الرحالة الذين تتناولهم هذه الدراسة التى نحن بصددها ، غير انه بالنسبة لايو فروزين فالأمر يختلف ، اذ لدينا معلومات هامة عنها تكفى بصورة أو بأخرى لرسم صورة واضحة المعالم عنها ، فهى ايو فروزين Euphrosine ابنة أمير بولوتسك Polotsk ـ وهى من المدن الروسية ـ جورج فسيزلافيتش George Vseslavitch [٢] ، ويرجع نسبها الى الأمير فلاديمير Vladimir أمير كييف Kiev ، صاحب الدور الهام فى تحويل روسيا الى المسيحية[٣] ٠

ويبدو ـ من خلال ما لدينا من دراسات عن تلك الرحالة الروسية ـ انها نشأت نشأة دينية من خلال حياة الرهبنة ، اذ ارتبطت بسلك الرهبنة وهى فى السنوات الأولى من شبابها ، فى أحد الأديرة الروسية التى انتشرت فى البلاد فى أعقاب التحول الى المسيحية ، وقد كانت خالة ايو فروزين رئيسة لذلك الدير الذى أقامت به ، وفيما بعد قامت نفسها باقامة دير ترأسته[٤] ، الأمر الذى عكس أنها صارت ذات باع كبير

فى عالم الرهبنة والديرية على نحو هيأ لها تلك المكانة السامية ، وحيث أنها تعلمت القراءة والكتابة ، فقد قامت بنسخ عدة كتب(٥) وانفقت من ريعها على الأعمال الخيرية ورعاية المرضى والمحتاجين ، وبعد عمر مديد حافل بالحياة الديرية رأت أن من الضرورى القيام بالحج الى المحارم المسيحية المقدسة فى فلسطين ، ومن ثم فقد عقدت العزيمة على ذلك ، وبالفعل قامت برحلتها فى الأعوام الأخيرة من حياتها ٠

أما توقيت القيام بالرحلة ، فهناك اختلاف بشأنه ، فنجد أن مدام دى خيترو De Khitrowo وهى التى قامت بترجمتها من الروسية الى الفرنسية ـ قد ذكرت أن أقدم المخطوطات المتعلقة بالرحلة والتى وصلت الينا ترجع الى النصف الثانى من القرن السادس عشر م ، وتقرر أنه على الرغم من ذلك ، فهناك بعض الاحتمالات فى أن تكون أحداثها ، قد جرت فى الأعوام الأخيرة من القرن الثانى عشر م(٦) ٠

والواقع اننا نرى أن وجود أقدم النسخ الخطية للرحلة وقد رجعت الى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، لا يعنى بالضرورة أن الرحلة جرت وقائعها خلال تلك المرحلة ، والمنطقى تصور انها جرت خلال القرن الثانى عشر م ، اذ احتوت على اشارات لملوك واباطرة حكموا خلال القرن المذكور ، وعلى الأرجح خلال النصف الثانى منه . ومع ذلك فليس فى الامكان الاتفاق مع المترجمة فى ترجيحها للأعوام الأخيرة من القرن الثانى عشر ، لتكون توقيت قيام ايو فروزين برحلتها الى بيت المقدس ، اذ أنها وضعت تاريخا لها خلال عام ١١٧٣م(٧) فى مقدمة ترجمتها للنص ، وفى هذا تناقض بين ، ومن ناحية أخرى ، أشارت الى أن ايو فروزين قابلت خلال ترحالها الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٥ ـ ١١٨٠م ، ثم ان اتووتر يرى أنها قابلت الملك عمورى ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٦٢ ـ ١١٧٢م(٨) ـ وذلك اعتمادا على الحوليات الروسية على ما يبدو ـ الأمر الذى يدعونا الى تصور أن الرحلة جرت خلال سنى حكم ذلك الملك الصليبى أى خلال المدة من ١١٦٢ الى ١١٧٢م تقريبا ٠

وينبغى أن نقرر هنا ناحية هامة ، الا وهى أن مدام دى خيترو ، قدمت رأيها فى تحديد تاريخ الرحلة بقولها ان ايو فروزين التقت بالامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، وكان فى طريقه لشن هجوم ضد أعداء الامبراطور من المجريين ، وتقرر أنه لا توجد لدينا اشارات تاريخية تدل على قيامه بهجمات ضدهم حينذاك(٩) ، ونرى أن من المحتمل أن تلك الرواية قصد بها الحملة التى قام بها مانويل ضد الايطاليين فى المدة من ١١٧١ ـ ١١٧٣م وكان ذلك بالقرب من حدود المجريين ، ومع ذلك فليس فى

الامكان ـ فى تصورى ـ الأخذ بذلك الرأى لعدم توافر ما يدعمه من الاسانيد ، ويبقى التحديد من ١١٦٢ الى ١١٧٢م تحديدا متوازنا وأقرب الى التصور المنطقى ٠

وتجدر الاشارة الى أن رحلة ايو فروزين قد تميزت بميزات متعددة على غيرها من الرحلات التى كتبها الرحالة الأوربيون الذين جابوا ربوع مملكة بيت المقـــدس الصليبية ويمكن اجمالها فى عدة نقاط :

أولا : اننا نعرف عن صاحبة الرحلة معلومات وافية ، عند مقارنتها بغيرها من الرحالة الذين يصعب معرفة الشىء الكثير عن جوانب حياتهم ، خاصة تلك المرحلة التى سبقت قيامهم برحلات الى المنطقة ، فالملاحظ أن بعض الرحالة لا نعرف الا مجرد أسمائهم فقط دون أية تفاصيل أخرى عن نسبهم وأعمالهم ، أما فى حالة أيوفروزين فالأمر اختلف ، حيث نعرف اسمها ، ونسبها ، ونشاطها الديرى ، فى مرحلة ما قبل القيام برحلتها ٠

ثانيا : ان ايو فروزين تكاد تكون الوحيدة ـ على ما نعلم ـ من بين الرحالة الأوربيين الذين وصلت الينا رحلاتهم الى المملكة الصليبية خلال القرن الثانى عشر م التى نعرف أنها انحدرت من أصول أرستقراطية نبيلة ، فهى أميرة روسية ، أما باقى الرحالة فلم تكن لهم تلك الوضعية الطبقية المتميزة ٠

ثالثا ـ تميزت صاحبة الرحلة بانها تكاد تكون المرأة الوحيدة أيضا التى قامت برحلة الحج الى بيت المقدس خلال ذلك القرن ووصلت الينا رحلتهـا ، بينما كافة الرحلات الأخرى كتبها رحالة رجال ويمكن تعليل ذلك من خلال ملاحظة أن المشاق التى واجهت الحجاج خلال الطريق الطويل الى المدينة المقدسة كانت من التعدد بمكان بحيث أن الرجال كان بامكانهم تحملها ، وقل عدد النساء اللائى استطعن خوض غمار تلك التجربة ، وبالتالى فان ما وصلنا من رحلات ألفها رحالة رجال كان متزايدا فى العدد اذا ما قورن الأمر بما ألفته النساء ، وبعكس الأمر ـ فى جانب آخر هام ـ ما تمتعت به أيوفروزين من قوة الشكيمة ومضـاء العزيمة بحيث أنها تجشمت مصاعب الطريق الى أن حققت مبتغاها فى بلوغ المحارم المسيحية المقدسة فى فلسطين ٠

رابعا : اختلفت رحلة ايو فروزين عن غيرها من الرحلات التى وصلت الينا من القرن الثانى عشر م ، من خلال أنها لم تكتب رحلتها بنفسها ، وانما كتبت على يد أحد

المعاصرين ، بل المرافقين لها فى رحلتها ، نظرا لأوصافه الدقيقة للقديسة ابو فروزين وما مر بها من احداث ، ومن المرجح انه عمل فى السلك الكنسى ، اذ ان ثقافته بصورة كاملة ذات بعد دينى كنسى واضح • وينبغى ان نلاحظ ان كتابة بعض الرحلات من جانب احد المرافقين للرحالة الأصلى لم يكن بالأمر الفريد بالنسبة لرحلة ابو فروزين اذ ان لدينا رحلة قام بها بطرس الأيبيرى Peter The Iberian فى القرن الخامس الميلادى ، كتبها مرافقه يوحنا روفوس John Rufus (١٠) ، على نحو يعكس ان مثل ذلك الأمر قديم وحدث من قبل قيام ابو فروزين برحلتها بنحو سبعة قرون كاملة •

خامسا : اختلفت ابو فروزين عن غيرها من الرحالة الأوربيين من حيث وضعيتها الدينية ، اذ وصفت بأنها « قديسة » ، ولا نعرف ان احدا من الرحالة الذين قاموا بالترحال الى المنطقة خلال ذلك العصر ، قد وصف بأنه قديس ، ولعل تلك الناحية ، وطابع القداسة الذى ارتبط بها ، قد جعل رحلتها ذات طابع دينى واضح المعالم •

مهما يكن من امر ، فان رحلة الرحالة الروسية ابوفروزين اعانت على القاء الضوء على مملكة بيت المقدس الصليبية من خلال عدة جوانب •

فعلى المستوى السياسى ، وردت اشارات الى قيام الملك الصليبى عمورى باستقبال ابو فروزين(١١) استقبالا حسنا ، ويبدو ان الملوك الصليبيين حرصوا الحرص أجمعه ، على مقابلة كبار الشخصيات السياسية والدينية التى تفد على المملكة من اجل تبادل المصالح المشتركة وتدعيم روابط المملكة الصليبية مع جيرانها ، ومن المرجح ان ابو فروزين حرصت على طلب المزيد من دعم المملكة للحجاج الروس القادمين الى البقاع المقدسة ، وذلك بفضل وضعيتها السياسية من ناحية والدينية من ناحية اخرى ، ومع ذلك ، فنلاحظ ان المؤرخ وليم الصورى ــ المعاصر للملك عمورى ــ لا يشير فى تاريخه الى امر اللقاء الذى تم بين تلك الأميرة الروسية والملك الصليبى ، ويبدو ان مثل ذلك اللقاء رددته الحوليات الروسية لاظهار ابو فروزين بالمظهر اللائق بها من التقدير والتوقير ، ومن المتصور ان تعليل تجاهل وليم الصورى لأمر اللقاء بين الجانبين ، انه سعى ما وسعه السعى الى ايراد الجوانب السياسية والحربية الخاصة بالمملكة ولم يجد فى تلك الحادثة اهمية كبيرة تدعوه بأن يخصص لها جزءا ولو يسيرا فى تاريخه ، خاصة ان المقابلة ذاتها لم ينجم عنها اية نتائج سياسية ملموسة على السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية •

أما الزاوية الاقتصادية فيمكن ادراكها من خلال ناحيتين ، الأولى أن أيو فروزين منحت العديد من الهبات والمنح لكنيسة مملكة بيت المقدس والبطريرك[١٢] ، وهذا يدل على مدى الثراء العريض الذى كانت عليه بحيث قدمت تلك الأعطيات والمنح ، ويبدو أنها كانت تمثل الروس جميعا فى ذلك المسلك ، وهدفت من وراء ذلك الى كسب عطف المملكة لرعاية الحجاج الروس ، والحصول على دعم الكنيسة ذاتها للسير فى نفس الاتجاه ، ويلاحظ انها عبرت عن ظاهرة عامة تمثلت فى تقديم الحجاج للهبات والمنح للكنيسة فى بيت المقدس ، كل وفق قدراته وامكاناته ، ومن المهم ادراك أن ذلك الجانب الاقتصادى له انعكاساته السياسية أيضا ، اذ أن ذلك يوضح المكانة الكبيرة ، والنفوذ الواضح « للمؤسسة الدينية » داخل الوجود الصليبى فى بلاد الشام فى ذلك العصر ٠

أما الناحية الثانية فتتمثل فى أن الرحلة تضمنت اشارة الى أن ايو فروزين قد وضعت عند الضريح المقدس مصباحا من الذهب الخالص[١٣] ، اظهارا للمحبة والتبرك، وليكون رمزا قائما ودائما هنــاك ، ومن المحتمل أنهـا قدمت من بلادها ومعها ذلك المصباح الثمين ، حيث اعتاد الحجاج أن يجلبوا معهم بعض المقتنيات النفيسة ، من أجل أن يهبوها الى تلك المواقع المقدسة لديهم ؛ ومن الممكن افتراض أن تكون قــد حصلت عليه عن طريق تلك الأسواق التجارية التى كانت تقام هناك ، ولا ريب فى أن النشاط التجارى قد ازدهر فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ليس فقط للموقع البالغ الأهمية لبلاد الشام عموما كحلقة اتصال بين تجارة الشرق والغرب ، بل وأيضــــا من خلال أن عناصر الحجاج المسيحيين مثلت قوة شرائية لا يستهان بها ، هيأت رواجا تجاريا مؤثرا ، در على ميزانية المملكة دخولا طائلة ٠

ومن الممكن ملاحظة ، أن أغلب الحجاج لم يكن يستطيع أن يقــدم لتلك المواقع المقدسة الا بعض الشموع البيضاء التى تم اشعالها هناك ، ويبدو أن جلب تلك الأميرة الروسية لذلك المصباح من الذهب الخالص يدل على ثرائها من ناحية ، وعلى أنها كانت ــ من ناحية أخرى ــ تمثل بلادها والعناصر الروسية ، بصفة عامة خلال رحلتها الى تلك البقاع المقدسة ، وبالتالى اختارت ذلك المصباح ليكون من أنفس المعادن ٠

اما اذا نحينا المستويين السياسى والاقتصادى جانبا ، وانتقلنا الى المستوى الدينى الكنسى ، فيلاحظ ثراء هذا الجانب بالذات فى رحلة تلك الأميرة الروسية ،

نظرا لطبيعة العصر من جهة ، وللوضعية الدينية الخاصة لأبو فروزين من جهة أخرى •

والواقع أن رحلة تلك القديسة الروسية تكشف بجلاء وضاح ، عن استمرار تدفق حركة الحجاج الروس الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ، فمن قبل وعند أوائل عهد الصليبيين ببلاد الشام زار المملكة الأب دانيال ، وهنا نحن بصدد شخصية روسية أخرى ونعنى بها ايو فروزين ، ولا ريب فى أن المدة الزمنية التى فصلت بين رحلتى الحجلكل منهما شهدت تزايد أعداد الروس الذين قدموا الى هناك ، ومن المرجح أن رحلة الحج ذاتها قد لقيت تشجيعا من الأوساط السياسية فى كل من روسيا والمملكة الصليبية على نحو أدى بدوره الى تزايد تدفق أعداد الروس ، ومن جهة أخرى ، فان قيام ايو فروزين برحلة الحج فى أخريات عمرها يعكس أن البعض منهم راودته رغبة صادقة للحج طوال حياته ، ولم تتمسن له الظروف المناسبة الا بعد أن بلغ من الكبر عتيا •

ومن الملامح الدينية الهامة الأخرى ، وجود الرغبة لدى بعض الحجاج فى أن يدفنوا فى مدينة بيت المقدس ، تبركا بما شهدته تلك المدينة من ذكريات المسيحيه الأولى ، فتشير الرحلة الى ان ايو فروزين طلبت أن تدفن هناك[١٤] ، وبعد بعض الصعوبات ، تمت الموافقة على تحقيق تلك الرغبة التى اختلجت فى صدرها ، ويلاحظ أن ذلك مثل امتدادا لظاهرة دفن العديد من القديسين فى تلك المدينة ، ولا يمكن تعليل مثل تلك الرغبة لدى ايو فروزين الا من خلال شعور دينى قوى ، فى عصر ساد فيه الاعتقاد بكرامات القديسين ومكانتهم السامية ، ومع ذلك فينبغى أن ندرك أنه فى أعقاب دفنها فى المدينة المقدسة ، قام أهلها بنقل رفاتها الى روسيا ، حيث تم دفنها فى مدينة كييف Kiev مسقط رأس أجدادها حكام روسيا ، وهناك صارت تحتل مكانا عليا وتتبوأ منزلة رفيعة ، وصار قبرها موضعا لزيارة الأهلين ، وتم تحديد يوم بذاته ليكون بمثابة عيد الاحتفال بذكراها ، وهو يوم ٢٣ مايو من كل عام[١٥] •

ومن جهة أخرى توضح لنا الرحلة ، استمرار ارتباط الرحالة والحجاج القادمين الى المملكة — ارتباطهم بالمواضع التى شهدت ذكريات المسيحية فى عهدها المبكر ، ومن أمثلة ذلك ، أن أيو فروزين اغتسلت — وهى مريضة — بمياه نهر الأردن نظرا لكون السيد المسيح عليه السلام قد تعمد فيه وغسل اقدام حوارييه بمياهه ، ولا ريب فى أن مياه ذلك النهر نظر اليها المعاصرون بنوع من التبرك والقداسة[١٦] •

وأضف الى ذلك ، أن الرحلة تفيد فى تصوير المشاعر الانسانيـة المتصلة بسفر الحجاج ، وتوديعهم لأسرهم ، وتركهم لبلادهم من اجـل الذهاب الى تلك الأماكن المقدسة(١٧) التى هفت نفوسهم اليها ، وفى هذا المجال نجد رحلة ايو فروزين تنفرد بتصوير تلك الناحية بصورة يندر أن نجدها فى الرحلات الاخرى ٠

وهكذا فيحق لنا أن نقرر أن رحلتها توافر فيها « البعد الانسانى » بجلاء ، من خلال رصد احاسيس الحجاج ومشاعرهم فى رحلتهم للحج ٠ ولا نغفل هنا ملاحظة ان الأوصاف المتصلة بهذا الجانب نجدها دقيقة بصورة تدعم الاعتقاد بأن مؤلف الرحلة كان وثيق الصلة بأيو فروزين على نحو مكنه من رصد تلك الاحاسيس والمشاعر ، بل والعبارات الدينية المذكورة فى الصلوات ، يمثل تلك الصورة الدقيقة ٠

وعلى المستوى الدينى أيضا اوضحت الرحلة جانبا هاما ، وهو ما اتصل بمكانة رئيس دير القديس ساباس St. Sabas ، اذ تقرر الرحلة أن ايو فروزين عندما ارادت أن تدفن فى الأرض المقدسة ، طلبت من رئيس دير القديس ساباس الموافقـه على ذلك ، ومن الممكن ملاحظة ان من كان يشغل ذلك المنصب تمتع بمكانة كبيرة لدى الاوسـاط الدينية فى مملكة بيت المقـدس الصليبية ، اذ كان يعتبر كبير الموظفين الكنسيين الارثوذكس(١٨) ، ومن جهة اخرى ، أعتبره البعض اهم من بقى بفلسطين من عناصر رجال الدين الأرثوذكس(١٩) ، وقـد حرص الملوك الصليبيون على تقديم الأراضى للدير المذكور ، وتدعيم مكانته ودوره فى الأرض المقدسة ، ونظرا لكون رئيس دير ساباس قـد تمتع بتلك المكانة الكبيرة لدى عناصر المسيحيين الارثوذكس، فقـد اتجه اليه الحجاج الروس من أجل معاونتهم فى كافة ما عن لهم من امور تتعلق برحلتهم فى فلسطين خلال تلك المرحلة ، ومن الضرورى أن نتذكر حقيقة هامة ألا وهى، أن دانيـال الروسى اتجـه الى الدير المذكور ، وكان ذلك من أوائل المنـاطق التى زارها هناك ، ولا جدال أن تكرار تردد ذكر دير القديس ساباس ورئيسه فى كل من الرحلتين الروسيتين ، يدل بجلاء على أن الحجاج الروس بصـفة عامة اكثروا من التردد على الدير المذكور لزيارته ، وللاتصال برئيسه الذى تمتع بمكانة دينية كبيرة، واتصل بالقيادات السياسية الصليبية على نحو هيأ له فرصة تذليل الصعاب التى واجهتهم على ما يبدو ٠

وفضلا عن ذلك ، احتوت الرحلة على تناول لبعض الأديرة فى المملكة الصليبية ، مثل دير القديس ثيودوسيوس(٢٠) ، ثم دير القديس ساباس(٢١) ، ودير يسمى روس بجوار كنسة القديسة العذراء فى بيت المقدس(٢٢) ، والواقع أن الرحلات الأوربية

أشارت الى الديرين الأولين كثيرا ، بيد أن الدير الثالث لم يتردد ذكره الا فى هــذه الرحلة • ولا نعرف عما اذا كانت هذه التسمية « روس » هى تسمية أخرى لأحـد الأديرة التى كانت قائمة من قبل مقدم ايوفروزين الى المدينة المقدسة ، أم أن عنــاصر من الروس قامت باقامته فسمى بذلك ، ومع ذلك فمن الصعوبة بمكان تحديد تصـــور محدد فى هذه الناحية ، نظرا لعدم وضوح نصوص الرحلة فى هذا الصدد ، اذانها اكتفت بمجرد الاشارة الى تلك الأديرة فقط دون تقديم أية تفاصيل أخرى عنها •

مهما يكن من أمر ، فمن الضرورى عنـد دراســة رحلة ايو فروزين عقـد مقارنة بين رحلتها ورحلة دانيــال ، نظرا لأن كلا منهما كان روســيا ، وارتحل الى نفس المدينة المقدسة ، وخلال نفس القرن ونعنى به القرن الثانى عشر م ، وفضلا عن ذلك الصــفة الدينية لكل منهما حيث عملا فى المجال الكنسى ، ولا ريب فى أن كافة تلك العناصر تجعل مشروعية عقد مقارنة بين الرحلتين أمرا واردا •

والواقع أن رحلة دانيــال امتــازت بتناول جــوانب متعـددة عن الوجـود الصليبى فى فلسطين على المستويات السياسية والحربية والاقتصادية والدينية ، على نحو لم يتسن لرحلة ايو فروزين ، التى ـ من الواضح ـ أن رحلتها جعلت جل اهتمامها منصبا على الزاوية الدينية أكثر من غيرها •

وفضــلا عن ذلك نجد أن رحلة دانيــال تمتاز بتفاصيلها وثرائها بينما غلب طابع الاختصار والايجاز على رحلة ايو فروزين ، كما نجـد أن دانيــال قـد تنقل بين مناطق متعددة وفى أنحاء مختلفة من أملاك الصليبيين ، بينما من الواضح أن رحلة ايو فروزين جعلت أقصى غايتها مرتبطة بمدينة بيت المقدس ، وندر فى رحلتها تناول مناطق أخرى خلافها •

وتوجد زاوية أخرى اختلفت فيها الرحلتان ، اذ أن دانيال ـ على ما يبدو ـ قضى فى بلاد الشام أمدا أطول من ذلك الذى أمضته ايو فروزين ، ودليلنا على ذلك حجم ما ورد فى رحلته من مناطق مختلفــة شاهدها هو نفســه ولم ينقل غيره بصددها ، وثراء رحلته بالتفاصيل ـ التى أشرنا اليها ـ ولا ريب فى أن ذلك من شأنه أن يستغرق من صاحبها زمنا طويلا ، فى عصر كانت وسائل المواصلات فيه بدائية ، وخاصــة فى مناطق متباينة التضاريس ومظاهر السطح ، أما رحلة ايو فروزين فهى قـد تركزت على ناحيتين : الأولى مقدمها الى بيت المقدس ، والثانية مرضها الذى أودى بحياتها، ومن المنطقى تصور أن ذلك كله لم يستغرق وقتا طويلا ، وحجم ما ورد فى الرحلة من

مناطق زارتها القديسة ايو فروزين ـ وهو قليل كما ذكرت ـ يكشف لنا بجلاء صدق تصورنا حيال قصر المدة التى استغرقتها رحلتها فى ربوع فلسطين ٠

وصفوة القول ، فان رحلة دانيال ـ نظرا لكونه قد كتبها هو نفسه ـ تفيض حيوية، وذلك عند مقارنتها برحلة ايو فروزين التى لم يتوافر فيها ذلك العامل ، مع ملاحظة ان هذا الوضع قد أملى على الباحثين الدارسين لرحلة الاخيرة واقعا مختلفا ، اذ اهتمت الرحلة بتناول القديسة الروسية وقل الاهتمام بالمناطق التى تجولت فيها وتنقلت بين ربوعها ، ولا جدال فى أن ذلك مثل اختلافا أساسيا عن رحلة دانيال ٠

ومع ذلك ، فمن الضرورى التقدير بأن وجود مثل تلك الاختلافات بين الرحلتين ، وتفوق رحلة دانيال على رحلة ايو فروزين فيما تقدمه من تناول لأوضاع المملكة الصليبية وعلاقاتها بالقوى السياسية المجاورة ، لا ينقص من قيمة رحلة أيو فروزين ، التى سبق وأن أوضحنا مدى تميزها بميزات متعددة ، ولا ريب فى أن تلك الميزات ضمنت لها مكانها اللائق بين الرحلات التى وصلت الينا من ذلك العصر وهى تساهم مع غيرها من الرحلات التى قام بها الحجاج الى مملكة بيت المقدس الصليبية ، تساهم فى رسم صورة تلك المملكة وأوضاعها المختلفة ، وتطور حركة الحج المسيحى الى المنطقة ٠

هكذا تناولنا رحلة القديسة الروسية ايو فروزين ، وما تميزت به من اشارات مختلفة عن المملكة الصليبية ، وأوجه الاختلاف بينها وبين غيرها من الرحلات التى وصلت الينا من ذلك العصر ٠

الهوامش :

(١) اعتمدت فى اعداد هذا الفصل على نص رحلة ابو فروزين Euphrosine والتى قامت بترجمتها مدام دى خيترو De Khitrowo من الروسية الى الفرنسية ، ونشرتها تحت عنوان رحلة حج القديسة ابو فروزين اميرة بولوتسك فى فلسطين ، ونشرت فى مجلة الشرق اللاتينى ، الجزء الثالث ، الصادر فى باريس عام ١٨٩٥م ، على مدى الصفحات من ص ٣٢ الى ص ٣٥ ، عن ذلك انظر :

De Khitrowo, «Pelerinage en Palestine de l'Abbesse Euphrosine», R.O.L. T. III, Année 1895, pp. 32—35.

وسوف نشير بصفه مستمرة الى الرحلة فى هوامش الفصل هكذا Euphrosine

ومن المهم ملاحظة أن جهد مدام دى خيترو فى ترجمة النص من الروسية قد اعتمدت على ما نشر فى الحوليات الروسية Stepennaia Kniga ، المجلد الأول ، الصفحات من ٢٧٩ الى ٢٨١

عن ذلك انظر : Euphrosine, p. 32.

ويلاحظ أن رحلة ابو فروزين قد نشرها بالروسية الباحث سخارو Sacharow وصدر عمله فى سان بطرسبرج فى عام ١٨٣٧م ، انظر :

Ruhright, chronologisches Verzeichniss der Heiligen Laudes Bezuglichen Literature Von 333 Bis 1878, P. 665.

أما بالنسبة للمؤلفات الانجليزية فنجد أن الرحلة لم تحظ باهتمام من كل من بيزلى Beazley فى كتابه The Dawn of modern geography

وكذلك جون رايت John Wright فى كتابه The geographical Lore فأغفل كل منهما تناولها ٠

وبالنسبة للغة العربية نجد أن نقولا زيادة فى دراسته عن رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، لم يتناول على الاطلاق الرحلة المذكورة فى كتابه القيم والهام ٠

ومن جهة اخرى ، ينبغى أن نقرر منذ البداية أن هناك قديسة اخرى حملت اسم ابو فروزين Euphrosine وتاريخها غير معروف بدقة ، ويوم الاحتفال بذكراها يوافق يوم ٢٥ سبتمبر ، وقد نسجت حولها اسطورة معينة ، فهى قديسة شابة ، عزفت عن الزواج ، وارتدت ثياب الرجال ، والتحقت بأحد الأديرة ٠ ونشب بينها وبين والدها خلاف ، ولكن بعد وفاتها التحق والدها بذات الدير الذى التحقت به ابو فروزين من قبل ، ويقرر اتووتر عدم وجود معلومات كافية مؤكدة عن تلك القديسة ، ولكن ذكراها ظلت قائمة فى الشرق ، ويتم الاحتفال بها ٠

عن ذلك أنظر :

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, p. 123.

(٢) Euphrosine, p. 32.
Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, p. 123.

وجدير بالذكر أن بولوتسك Polotsk قد وقعت فى ليتوانيا Lithuania ضمن حدود روسيا البيضاء ، وحدها من الجنوب الشرقى فتيبسك Vitebsk ومن الغرب أوبكستاينيا ، ويبدو أن بولوتسك احتلت موقعا استراتيجيا هاما ضمن حدود ليتوانيا ، ولذلك حرص غالبية كبار الأمراء الروس على اخضاعها لسيادتهم السياسية ، ومن المعروف أن الأمير الروسى ياروسلاف على سبيل المثال تمكن من السيطرة على بولوتسك ، هى وغيرها من المدن المجاورة •

عنها أنظر :

Morfill, The Story of Russia. London 1904, p. 28.
Fennell, Ivan The Great of Moscow, London 1961, p. 8, p. 9.
Dictionnaire Encyclopedique quillet, Paris 1970, p. 5348.
Larousse Du XXe Siècle, T. V, Paris 1932, p. 684.

(٣) عن ذلك أنظر الفصل الثانى •

(٤) Euphrosine, p. 32.

(٥) Attwater, Op. Cit., p. 123.

(٦) Euphrosine, p. 32.

(٧) Ibid, p. 32.
Ruhricht, Op. Cit., P. 665.

(٨) Attwater, Op. Cit., p. 123.

(٩) Euphrosine, p. 33.

(١٠) Wilkinson, Jerusalem Pilgrims, p. 4.

(١١) Attwater, Op. Cit., p. 123.

(١٢) Euphrosine, p. 33.

(١٣) Ibid, p. 33.

(١٤) Ibid, p. 34.

Runciman, A History of the crusades, Vol. II, p. 322.

(١٥) Attwater, Op. Cit.. p. 123.

(١٦) عن ذلك انظر :

Daniel, p. 28.

Fetellus, pp. 6—7.

John of Wurzburg, p. 56.

Theoderich, p. 64—65.

(١٧) Euphrosine, p. 33.

(١٨) Runciman, Op. Cit., p. 321.

(١٩) Runciman, Op. Cit., p. 321.

(٢٠) Euphrosine, p. 34.

(٢١) Ibid, p. 34.

(٢٢) Ibid, p. 34.

الفصل السادس

بنيـامين التطيـلي

١١٦٣ ـ ١١٧٠م

بنيامين التطيلى

(١١٦٣ - ١١٧٠م)

تحتل رحلة الرحالة اليهودى الاسبانى بنيامين التطيلى(١) مكانة متميزة فى القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها بالقوى السياسية المجاورة ، وقد قدم تناولا هاما لتوزيعات العناصر اليهوديه وأعدادها ، وكذلك نشاطها الاقتصادى لا سيما على الصعيدين التجارى والصناعى على نحو لا نجد نظيرا له لدى الرحالة المسيحيين الذين زاروا المملكة فى مرحلة زمنية مقاربة .

وجدير بالذكر أن ذلك الرحالة لم يسع ما وسعه السعى - مثل غيره من الرحالة المسيحيين - الى ايراد ذكر الأماكن والمواقع المقدسة لديهم فقط ، بل اهتم بابراز الجوانب الاقتصادية والمذهبية بصورة تمتاز بالثراء والتفصيل ، وفضلا عن ذلك ، فاننا أمام تعدد ما وصل الينا من مؤلفات أولئك الرحالة ، وقلة مؤلفات الرحالة اليهود الذين زاروا المنطقة خلال القرن الثانى عشر م ، فمن المنطقى أن تحتل رحلة بنيامين التطيلى مكانة متميزة بين الرحلات الأوربية التى بلغتنا من تلك المرحلة .

والواقع أن هناك عدة دوافع دفعت بالرحالة اليهود الى القدوم الى فلسطين خلال العصور الوسطى ، فهناك الرغبة فى الاطلاع على أوضاع اليهود فى تلك المنطقة ومعرفة هل هناك أية صور من الاضطهاد تلحق بهم أم لا ، كذلك وجدت رغبة قوية لمعرفة حجم الأسواق التجارية وقدرات المنطقة الاستهلاكية من أجل فتح أسواق جديدة يرتادها التجار اليهود ، وينبغى أن نقرر أن الجانب الاقتصادى لا سيما التجارى مثل عنصرا هاما من بين دوافع ارتحال الرحالة اليهود الى فلسطين حينذاك .

ومن المقرر أن يهود العصور الوسطى غالبا ما ارتحلوا الى مسافات ابعد من تلك التى قطعها معاصروهم من المسيحيين ، وكانت أسفارهم فى الأغلب الأعم فى مجال التجارة ، فضلا عن ناحية هامة أخرى ، الا وهى رغبتهم فى القيام بالحج الى بيت المقدس ، حيث توجد العديد من المواقع المقدسة لديهم خاصة مقابر كبار رجال الدين اليهود ، وفى هذا المجال ترك الرحالة اليهود عدة مؤلفات كانت بمثابة المرشد أو الدليل الجغرافى لاخوانهم الذين رغبوا فى الارتحال الى تلك المدينة ، وفى

ذلك اتفقوا مع الرحالة المسيحيين الذين ألفوا مؤلفات فى نفس المضمار ، وفى المرحلة السابقة على اندلاع الحروب الصليبية وقيام مملكة بيت المقدس اللاتينية اشار الرحالة المسلمون الى تدفق أعداد كبيرة من اليهود لزيارة تلك المدينة(٢) ٠

ويلاحظ أن حجم معرفتنا ببنيامين التطيلى محدود ونستمد اغلبه من خلال رحلته نفسها ، والواقع أن الربى بنيامين Benjamin ، ووالده يدعى يونا Jonah ، قد ارتحل الى الشرق من مدينة طليطلة Tudela ، وقام بالتجوال فى مناطق جنوب فرنسا ، وايطاليا ، واليونان ، والقسطنطينية ، وكذلك بلاد الشام والعراق ، ومصر ، واليمن ، وغيرها من البلاد ، ثم عاد أدراجه الى أسبانيا فى عام ١١٧٣م ويقال انه خلال ما يقرب من خمسة عشر عاما ، زار ما يقرب من ثلاثمائة موضع(٣) فى مختلف بقاع العالم المعمور حينذاك ٠

أما توقيت زيارته لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فلا يوجد تحديد مؤكد لهذه الناحية ، ومن ثم فمن الممكن أن تقترب من الاشارات التى وردت فى الرحلة ، والتى من الممكن الافادة منها فى الاقتراب من تاريخ قدومه الى هناك ٠

وجدير بالذكر أن الرحالة اشار الى أن أمير انطاكية وقت زيارته لها هو بوهيمند بواتفين الملقب بوبه Bemond Poitovin Le Boube (٤) ، ويعنى به بوهيمند الثالث الذى حكم من عام ١١٦٣ الى عام ١٢٠٠م تقريبا(٥) ، ومعنى ذلك أن رحلته جرت خلال تلك الأعوام ، ومع هذا ، فهناك اشارة تفيد أن دمشق حاضرة نور الدين ، وهذا يعنى بالطبع أن نور الدين محمود كان لا يزال حيا عندما زار بنيامين التطيلى بلاد الشام ، ولما كنا نعرف من خلال المصادر التاريخية انه توفى عام٥٦٩هـ/ ١١٧٣م(٦) ، فمعنى ذلك أن رحلة بنيامين التطيلى تمت قبل العام المذكور ، ويمكن الافادة من ذكره لبوهيمند الثالث ونور الدين محمود على اعتبار أن تلك الرحلة جرت خلال الأعوام من ١١٦٣ الى ١١٧٣م ، ومن ناحية اخرى ، نجد انه قام بزيارة بلاد الشام قبل أن يزور مصر ، وعند ذكره للأخير اشار الى أن من يحكمها من الشيعة العلوية(٧) ٠ وهذا يدل بجلاء على أن مصر حينذاك كان الحكم الفاطمى لا يزال قائما بها ، وحيث أن دولة الفواطم لم تسقط الا عام ١١٧١م ، فمن المحتمل تصور أن رحلته فى ربوع مملكة بيت المقدس الصليبية قد جرت فيما بين الأعوام من ١١٦٣ الى ١١٧٠م تقريبا وفق الاستنتاجات السابقة ٠

وجدير بالذكر ، انه نظرا لكون بنيامين التطيلى من الرحالة اليهود ، فطبيعى أن

تأتى اهتماماته مغايرة لاهتمامات الرحالة الأوربيين المسيحيين الذين قدموا الى المماكة الصليبية خلال تلك المرحلة ، وقد اهتم اهتماما خاصا بالعناصر اليهودية ، ونجده لذلك يحرص على أن يورد أعدادهم فى كل مدينة من مدن بلاد الشام التى زارها ، فهو مثلا يذكر أن مدينة صور احتوت على اربعمائة من العناصر اليهودية(٨) ، كما أن الرملة بها ثلاثمائة منهم(٩) ، أما دمشق ففيها ثلاثة آلاف ، وفى حلب يقل العدد عما قدره لدمشق فيصل الى الف وخمسمائة يهودى(١٠) ٠

ويعنينا بالضرورة تناوله لأعداد اليهود فى مدينة بيت المقدس ، ونجد انه ذكر وجود مائتى عائلة يهودية بها ، غير أن براور يقرر أن ذلك العدد ورد فى بعض النسخ المخطوطة للرحلة ، وصحته اربع عائلات يهودية فقط ، على اعتبار أن الصليبيين كانوا قد منعوا اليهود والمسلمين من العودة الى الاستقرار فى المدينة المقدسة ، وصدر مرسوم رسمى يمنعهم من التواجد خشية أن يؤدى وجودهم الى تدنيس قدسية المدينة ، وهكذا ، فاذا وجدنا يهودا أو مسلمين فيها فهم فى العادة حجاج أو اناس حصلوا على موافقة خاصة على القدوم من أجل انجاز بعض المهام أو الأعمال ، ودفعوا فى مقابل ذلك رسوما معينة من اجل الموافقة على القدوم للمدينة(١١) ٠

والواقع إننا من الممكن أن نؤيد ما ذهب اليه براور على اعتبار أن أعداد اليهود لم تكن كبيرة فى بيت المقدس ، من خلال ادراك أن تلك المدينة لم تكن ذات أهميـــة اقتصادية كبيرة ، وأن اهميتها اتسمت بالطابع الدينى الصرف ، ثم هناك اشارات وردت فى مؤلفات رحالة آخرين قدموا للمنطقة بعد قيام بنيامين التطيلى برحلته الى المملكة الصليبية ، أعطت انطباعا بأن أعداد اليهود فى تناقص مستمر ، بصورة تهدد تصور انهم مثلوا مائتى عائلة فى تلك المدينة كما ورد فى بعض النسخ المخطوطة للرحلة ٠

مهما يكن من أمر ، فيبدو أن ذلك الرحالة اليهودى أراد توضيح أن الوجود اليهودى كان قائما فى كافة المناطق المعمورة حينذاك ، وأن اليهود شكلوا عناصر نشطة ومؤثرة ، وعمد الى أن يدعم تصوره من خلال الأرقام الدالة على ذلك الوجود ٠

ومن المرجح أن تلك الناحية العددية التى أوردها ذلك الرحالة ينبغى الا نأخذها كحقيقة مؤكدة ، نظرا لكون ذلك العصر لم يعرف وسائل الاحصاء الدقيقة ولم يكن ذلك فى مقدور الرحالة بالطبع ، فضلا عن طابع المبالغة المتوقع فى مثل تلك الأمور ٠

أما بالنسبة للنشاط الاقتصادى لليهود فى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشر م ، فاننا نجد أن ذلك الرحالة يقرر انهم فى مدينة صور الساحلية

ذات النشاط التجارى المزدهر ، امتلكوا السفن[١٢] ، ولاشك فى أن ذلك يدل على مساهمتهم فى نشاط المدينة التجارى مع عالم البحر المتوسط ، كذلك فانهم عملوا بصناعة الزجاج النفيس الذى عرف بالزجاج الصورى نسبة الى تلك المدينة[١٣] .

اما وجودهم فى بيت المقدس فقد ساهم بنشاط صناعى من خلال عملهم بالصباغة، اذ انهم استأجروا معملا للصباغة من ملك مملكة بيت المقدس الصليبية بصفة سنوية[١٤] ، ويبدو انهم اثبتوا براعة فى أعمال الصباغة ، ولا أدل على ذلك من انهم صاروا يعرفون بها ، حتى صارت شبه منحصرة فيهم ، ولا يعمل بها احد غيرهم الا فى القليل النادر ، ويبدو أن تلك الحرفة امتد تفوق اليهود فيها الى مدن اخرى غير تلك المدينة المقدسة ، ومن أمثلة ذلك صيدا ، اذ أن ذلك الرحالة يقرر أن اليهود يوجدون فى صيدا ويتعاملون مع الدروز هناك وعملوا فى بعض الحرف كالصباغة[١٥] ، وأنهم كانوا يذهبون الى اماكن تجمعات الدروز فيقيمون عندهم مدة ثم يعودون ادراجهم الى أهلهم .

ولا ريب فى أن اليهود ، خاصة مع تفوقهم فى بعض الحرف والصناعات قد ساهموا فى النشاط الاقتصادى فى المدن التى عملوا بها ، ومع ذلك فيلاحظ أن وجودهم تزايد فى المدن الاسلامية اذا ما قورن بالمدن الخاضعة للسيادة الصليبية ، ويكفى أن نطالع فى هذا المجال الأعداد التى يذكرها بنيامين التطيلى نفسه عن توزيعات اليهود فى المدن الشامية المختلفة – مع عدم اغفال ملاحظتنا عن تلك الأعداد – لنجد أن اعدادهم تزايدت فى المناطق الاسلامية بصورة كبيرة عن تلك التى خضعت لسيطرة الصليبيين .

وتعليل ذلك الوضع يعود الى المعاملة الطيبة التى عومل بها اليهود فى داخل المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، فاذا كانت العناصر اليهودية قد عانت من مذابح كبيرة ارتكبها الصليبيون فى بداية الحملة الصليبية الأولى فى حوض الراين[١٦] وكذلك خلال الحملة الصليبية الثانية ، الا أن المجتمع الاسلامى احتضن تلك العناصر طالما أنها أدت دورها فى المجال الاقتصادى ، ومن ثم وجد اليهود فرصة اكبر فى العيش فى أمن وسلام داخل المدن الاسلامية ، خاصة أن تلك المدن مثل دمشق وحلب وقعت على خطوط التجارة العالمية ، ومثلت مراكز بالغة الأهمية لحركة التجارة القادمة من آسيا والمتجهة الى اوربا ، ومن ثم عمل اليهود فى المجال التجارى كوسطاء تجاريين من خلال موقع تلك المدن ، ولا ريب فى أنهم حققوا مكاسب مادية كبيرة على نحو جعلهم يمثلون جزءا هاما من الحركة الاقتصادية فيها .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أن ذلك الرحالة لم يشر البتة الى اية اضطهادات تلحق باليهود فى المناطق الخاضعة للسيادة الاسلامية كذلك من الواضح أن أعدادهم القليلة نسبيا فى المدن الخاضعة لسيادة الصليبيين تكشف لنا بجلاء أن المدن الأخيرة كانت تمثل مناطق طرد لهم •

وبالاضافة الى تناول اليهود فى مملكة بيت المقدس ، نجد أن ذلك الرحالة اهتم فى تناوله لأوضاع تلك المملكة بعـدة زوايا محددة ، تتمثل فى عرضه لبعض القوى الدينية مثل الاسماعيلية النزارية والدروز وعلاقاتهم بالصليبيين ، ثم أيضا الاهتمام بدور المدن الواقعة على الساحل الشامى فى النشاط التجارى ، وكذلك عناصر المؤسسات الحربية الصليبية وعلى نحو خاص الاسبتارية والداوية ، وأخيرا الزلازل وآثارها المدمرة فى المناطق الصليبية ، وسوف نتناول بالعرض تلك الجوانب التى أبرزها ذلك الرحالة **اليهودى** :

أما بالنسبة للاسماعيلية النزارية ، فنجد أنه يذكر أنهم يتبعون أوامر وتعاليم شيخهم ، ويطيعونه طاعة كاملة ، وأن مقامه محصن ويسمى قدموس ، وأشار الى تضامنهم سويا(١٧) ، وأنهم يقتلون الملوك والأمراء اذا اقتضى الأمر ذلك ، ومن جهة أخرى ، تناول نزاعهم مع الصليبيين وأمير طرابلس(١٨) •

والواقع أن عناصر الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام خلال القرن الثانى عشر ، اشتهرت بطاعتها العمياء لشيخها . وهناك نص مشابه لما ذكره بنيامين التطيلى نجده لدى ابن جبير ، اذ ذكر أنهم يطيعون شيخهم طاعة كاملة ، واذا أمر أحدهم أن يتردى من شاهقة جبل لفعل(١٩) ، كذلك أقر بنيامين نفسه أن مقر شيخ الجبل فى قلعة قدموس(٢٠) وهى احدى القلاع التى عرفت بقلاع الدعوة فى بلاد الشام مثل العليقة(٢١)، والمينقة(٢٢) ، والخوابى(٢٣) ، ومصياف(٢٤) ، والكهف(٢٥) ، والرصافة(٢٦) •

وقد ذكر ذلك الرحالة أمر قتل الاسماعيلية النزارية للملوك والأمراء ، ويلاحظ أن تاريخهم طوال ذلك القرن وعلى نحو خاص خلال الثلث الأول منه هو تاريخ الاغتيالات والقضاء على خصومهم المذهبيين والسياسيين ، مع تركز الاسماعيلية النزارية اغتيالاتهم لعناصر القيادات المسلمة السنية والتى قام بعضها بدور هام فى حركة الجهاد الاسلامى ضد الغزو الصليبى ، ومن أمثلة ذلك ، اغتيال جناح الدولة حسين صاحب حمص عام ١١٠٣م(٢٧) ، وخلف بن ملاعب صاحب افامية(٢٨) عام ١١٠٥م ، وشرف الدين مودود أتابك الموصل(٢٩) عام ١١١٣م ، وأحمديل صاحب مراغة(٣٠)

عام ١١١٤م ، وأيضا اقسنقر البرسقى اتابك الموصل(٣١) عام ١١٢٦ ، كذلك بورى ابن طغتكين(٣٢) عام ١١٢٢م ، ثم ابنه من بعده عام ١١٣٥م(٣٣) ، أما القيادات الصليبية فلم تسقط أعداد كبيرة منها كذلك الذى حدث مع القيادات المسلمة السنية ، والواقع أن الاسماعيلية النزارية أحيانا تحالفوا مع الصليبيين ، ضد المسلمين السنيين ، ومع ذلك سقطت بعض الزعامات الصليبية صرعى من جراء هجمات الفداوية ، ومن امثلتهم رايموند الثانى امير طرابلس Raymond II of Tripolis الذى أغتيل حوالى عام ١١٥٢م(٣٤) ، وكذلك كونراد المونتفرتى Conrad de Montferrat الذى صرعته خناجر الفداوية عام ١١٩٢م(٣٥) ٠

ومن الأهمية بمكان ملاحظة ، أن قيادة الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام ، فى الوقت الذى قام فيه بنيامين التطيلى بزيارة مملكة بيت المقدس الصليبية ، تمثلت فى راشد الدين سنان ، والذى تمكن من السيطرة الكاملة على اتباعه ، وقدر له أن يتولى قيادتهم لأمد طويل بلغ ثلاثين عاما ١١٦٣ — ١١٩٣م ٠ واستطاع أن ينافس القيادة الاسماعيلية الأم فى الموت فى بلاد فارس ، وأوجد مذهبا خاصا به فى الشام عرف بالسنانية(٣٦) ، وبصفة عامة اعتبر من أقوى القيادات الاسماعيلية فى الشام خلال عصر الحروب الصليبية ٠

ومعنى ذلك ، ان بنيامين التطيلى قد زار المنطقة فى وقت تزايد فيه نفوذ راشد الدين سنان على اتباعه ، ومن ثم وجد ذلك الرحالة ان من الضرورى أن يورد عنهم تلك الاشارات الهامة التى ذكرها فى رحلته ٠

ولا جدال ، فى أن عناصر الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام قد لعبت دورا بالغ الخطورة فى سبيل اضعاف الجبهة الاسلامية وحركة الجهاد ضد الغزو الصليبى ، ومثل الصراع السنى — الشيعى جانبا مؤثرا فى اضعاف الجبهة الأسلامية التى كان من الممكن أن تحقق انجازات اكبر خلال تلك المرحلة من مراحل صراعها مع العدو الصليبى فى حالة اتحادها وتماسكها ، وجاءت اشارات ذلك الرحالة الأسبانى لتعطى انطباعا بانهم شكلوا عناصر متطرفة ومتقوقعة على نفسها ، وعملت على تصفية المخالفين والمعارضين لهم جسديا ، من أجل ارهاب الآخرين ، وفرض سطوتهم وسيطرتهم بالقوة المسلحة ، وبالتالى قدموا للصليبيين خدمة كبيرة من خلال تبديدهم لطاقات المسلمين فى مجال الصراع المذهبى الذى لا طائل من ورائه ٠

وبصفة عامة ، من الممكن ملاحظة حقيقة هامة ، الا وهى أن عناصر الاسماعيلية

النزارية بما عرفوا به من الارهاب وسفك الدماء مثلت عناصر مخيفة ـ على الأرجح ـ للغرباء القادمين والوافدين على المنطقـة ، ومن ثم حرصـوا على ايراد جانب من اخبارهم ، ونجد مثالا صـادقا دالا على ذلك فى صـورة الرحالة بنيامين التطيلى ، والأهمية التى أولاها لهم فى ثنايا رحلته ٠

اما عيما يتصل باشارة ذلك الرحالة الى الصراع بين الاسماعيلية النزارية فى امارة طرابلس مع اميرها الصليبى ، فذلك مرجعه الى وجود قلاع الدعوة فى مناطق مجاورة لقلاع الاسبتارية Hospitallers والداوية Templars ، على نحو أدى الى وجود نزاع وتنافس سياسى بين القوتين(٣٧) حول من تكون له القوة والنفوذ فى تلك المنطقة ، ومع ذلك فيلاحظ أن سلاح الاغتيال الذى شهره الاسماعيلية النزارية فى وجوه أعدائهم كان كفيلا ببث الرعب فى نفوس الصليبيين ، خوفا من وقوعهم ضحايا لذلك السلاح الفتاك ٠

كذلك ذكر بنيامين التطيلى الدروز وذلك عندما تناول بالحديث مدينة صـيدا Sidon . بالجنوب اللبنانى ، وقد قدم لنا عرضا لحياتهم فى المناطق الجبلية ، كذلك تحدث عن اتجاههم نحو المشاع الجنسى(٣٨) ، ومن المرجح أنه استمد معلوماته فى هذا الشأن من خلال المصادر السنية التى عرفت بعدائها الشديد للعناصر الدرزية ، ويلاحظ أن نفس تلك الأوصاف التى ذكرها نجدها لدى عدد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين السنيين(٣٩) ، ويبدو أن تلك الاتهامات الخاصة بالتحلل الخلقى فى المجتمع الدرزى صارت شائعة فى مصادر ذلك العصر ٠

مهما يكن من أمر ، فان أهمية ذلك النص الذى قدمه ذلك الرحالة تعود الى أنه من النصوص القليلة والنادرة التى تحدثت عن الدروز خلال عصر الحروب الصليبية ومن خلال عيون أجنبية عن المنطقة وافدة عليها ، اذ أن غالبية نصـوص المصادر التاريخية التى اشارت اليهم ، كانت من جانب المؤرخين المسلمين السنيين ، الذين هاجموا الدروز هجوما شديدا ، ومع ذلك فانه لم يشر اليهم بنفس القدر من التفصيل والاهتمام الذى أولاه للعناصر اليهودية فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية وفى خارجها ، فعلى حين قدم تناولا هاما للدور الاقتصادى التجارى والحرفى لليهود ، جاءت معلوماته ضئيلة عن ذلك الدور بالنسبة للدروز ، ويبدو أن انعزالية الوجود الدرزى وتقوقعه على نفسـه قد أدت الى ذلك الموقف ، فضـلا عن إهتمامه كيهودى باليهود وكل ما اتصل بهم خلال رحلته ٠

ومن ناحيــة أخرى ، أعطت رحلة بنيامين التطيلى أهميــة متميزة للنشــاط الاقتصادى ، ولا سيما التجارى فى المدن الواقعة على الساحل الشامى ، والخاضعة للسيادة الصليبية ، خاصة أن تلك المدن شهدت ازدهارا تجاريا واضحا على مدى القرن الثانى عشر م ، على نحو أكدته نصوص الرحالة الأوربيين الذين زاروا المملكة من قبل مقدم بنيامين التطيلى الى المنطقة ٠

وفى هذا المجال أشار الى صور Tyre وقد وصفها بأنها لا يوجد نظير لها فى العالم ، كما تناول حركة التجارة فيها ، وذكر أنها متسعة وأن التجار يقدمون اليها من كافة البقاع والانحاء(٤٠) ، وقيمة اشارته انها أوضحت مكانة صور التجاريه ، ولم تأتى اشارته من جانب مؤرخ صليبى رسمى مثل وليم الصورى مثلا ، وانما جاءت من رحالة يهودى اسبانى وافد على المنطقة ٠

ومن جهة أخرى ، كان من الطبيعى أن تحتل عكا Acre مكانتها اللائقة بها فى تلك الرحلة ، نظرا لكونها أحد الموانىء الرئيسية لملكة بيت المقدس الصليبية ، ونجد أن بنيامين التطيلى أشار الى أن لها ميناء كبيرا ترسو عنده السفن المسافرة الى بيت المقدس(٤١) وتفيد اشارته هنا فى توضيح أن ذلك الميناء استخدم من أجــل تدعيم حركة الحج الى المملكة وبقاعها المقدسة ، وهو بالتالى مثل ميناء هاما مدعما لنشاط يافا التى قامت بذات الهدف أيضا ٠

ومن الملاحظ أن حجم تناوله لدور عكا جاء محدودا اذا ما قورن بالنصــوص الأخرى التى قدمهــا الرحالة الأوربيون الآخرون ، مثل يوحنــا فوكاس Joannes Phocas (٤٢) على سبيل المثال ، ومن المحتمل أن ذلك الرحالة الاسبانى لم يمض فى عكا الا فترة يسيرة ، ومن ثم جاءت أوصافه لها مقتضبة ، أو أن مصادره عنها كانت مصادر شفوية موجزة ، والاحتمال الثانى هو الأرجح ، اذ أنه فى حالة قيامه بزيارتها لقدم لنا تناولا أكثر تفصيلا عنها نظرا لادراكنا لأهميتها وتميزها بصورة واضــحة خلال تلك الرحلة ٠

اضف الى ذلك أنه تناول مدينة هامة على الساحل الفلسطينى ونعنى بها مدينة عسقلان Ascalon وذكر أنها مدينة عامرة وجميلة على ساحل البحر ويصــل الى مينائها عدد كبير من التجار وذلك بسبب قربها من مصر(٤٣) ، ولا شك فى أهمية ما أورده من حيث أنه يوضح أوضاع مدينة عسقلان وذلك بعد أن خضعت للسيادة الصليبية فى عام ١١٥٣م ، وقد أفاد الصليبيون من اخضاعهم لتلك المدينة التى عرفت بعروس

الشـــام والتى أزدهرت تجارتها من خلال قربهـا من الحـدود المصرية ويبـدو أنها مثلت حلقة اتصال بين النشاط التجارى المصرى والشامى ، كذلك اتصلت بالتجارة القادمة من آسيا الى الأسواق الأوربية ، وقـد أفاد الصليبيون من عوائد المكوس المفروضة على حركة التجارة عبر ذلك الميناء الحيوى الهـام ، ويبـدو أن ازدهارها التجارى السابق فى عهد الفاطميين قد استمر فى عهد الصليبيين ٠

وبالاضافة الى ذلك ، احتوت رحلته على تنـــاول هـــام لعنـــــاصر فرق الرهبان الفرسان خاصة الاسبتاريه والداوية ويقدم اشارتين ذاتى طابعين طبى وحربى ، فيذكر أن بالقدس مستشفيين بامكانهما معالجـة أربعمائة من فرســـان الاسبتارية وذلك بالاضافة الى المرضى الذين يتجهزون بكل ما يلزمهم فى الحياة وبعد الممات(٤٤) ، أما الداوية ، فانه يذكر أنهم يقيمون فى معبد سليمان وأن عددهم يقـدر بنحو ثلاثمائة يقومون بالتدريب على فنون القتال(٤٥) ، ومن الملاحظ أن اشارة ذلك الرحالة الى الهيئتين المذكورتين تعد محدودة عند مقارنتها بما أورده الرحالة الألمـانى يوحنا الورزبرجى John of Wurzburg الذى قدم لنا تناولا أكثر تفصيلا عن الهيئتين ونشاطهما العـلاجى والحربى على نحو فاق ـ بصـورة كبيرة ـ ما أورده بنيامين التطيلى فى رحلته ، وهناك فارق آخر هام وهو أن الرحالة الألمـانى كان شاهد عيان زار بنفسه مؤسسات الاسبتارية العلاجية بينما الرحالة الأسبانى لا يستدل من رحلته أنه زار هو نفسه تلك الأماكن ، ويبدو أن مصادره عنها كانت من خلال روايات الرواه ٠

ويوجد جانب هام ميز رحلة بنيامين التطيلى ، ونعنى به تناوله للزلازل التى منيت بها مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشر م والتى أدت الى الحاق خسائر بشرية ومادية جسيمة ، وفى هذا المجال أشار الى أن طرابلس أصابها زلزال مروع على نحو أدى الى هلاك عدد كبير من اليهود وغيرهم وانهارت المنازل ، وبلغ عـدد الذين أودى بحياتهم ما يزيد على العشرين ألفا(٤٦) وذلك فى أنحـاء المملكة الصليبية ٠

ويبدو أن تناوله للزلازل وأثرها التدميرى فى مدينة طرابلس بشمال لبنان عكس أن تلك المدينة احتوت على تركز سكانى كبير على نحو صارت معه الخسائر البشرية متزايدة عند حدوث تلك الهزات الزلزالية ، ويدعم مثل ذلك التصور أن الرحالة ناصر خسرو عندما زار تلك المدينة من قبل قيام بنيامين التطيلى برحلته بقرن كامل أو يزيد (بالتحديد عام ١٠٤٣م) أشار الى أن مبانيها احتوت على عمائر تكونت من « أربعة

أدوار وخمسة وستة أيضا »[٤٧] ، ومثل ذلك الوضع فى مدينة مزدهرة من الطبيعى توقع ازدياد الكثافة السكانية بها فى المرحلة الفاصلة بين رحلتى الرحالة المسلم والرحالة اليهودى .

ومن الواضح أن قيمة النص الذى أورده ذلك الرحالة الأسبانى تتضح من خلال ادراك أن الزلازل التى نكبت بها بلاد الشام بصفة عامة خلال ذلك القرن تناولتها المصادر الصليبية بايجاز واقتضاب ، ومن ثم فان اشارته تقدم تناولا للخسائر فى الجانب الصليبى ، ويعوض بالتالى النقص الذى نجده فى ذلك الجانب ، على الرغم من وفرة ما لدينا من نصوص المؤرخين المسلمين ومنهم المعاصر كابن القلانسى على سبيل المثال ، مع ملاحظة انه جعل جل اهتمامه قائما على دمشق ، حاضرة الشام الكبرى .

ومع ذلك ، فليس من اليسير الأخذ بأرقام الخسائر البشرية التى وردت فى الرحلة اذ انها لم تكن احصائية ، ولكن بصفة عامة من الممكن اعتبارها دليلا واضحا على بشاعة ما أحدثته تلك الهزات الزلزالية من آثار تدميرية .

صفوة القول ، أن رحلة الرحالة اليهودى الأسبانى بنيامين التطيلى ، احتوت على اهتمامات متعددة سواء بالنسبة للأنشطة الاقتصادية فى مملكة بيت المقدس الصليبية أو بالنسبة للخريطة العقائدية والمذهبية للمنطقة ، بالاضافة الى الجوانب السياسية المختلفة على نحو ضمن لرحلته مكانا جديرا بها بين الرحلات التى وصلت الينا من ذلك العصر .

الهوامش :

(١) اعتمدت فى دراسة رحلة بنيامين التطيلى على الترجمة الانجليزية التى قام بها وليم رايت وضمنها كتابة الرحلات المبكرة فى فلسطين الصادر فى لندن عـــام ١٨٤٨م ، انظـــر :

William Wright, Early Travels in Palestine, London 1848.

وتوجد كذلك ترجمة الى اللغة العربية قام بها عزرا حداد وصدرت فى بغداد عام ١٩٤٥م ، وقد أفدت منها فى بعض الأحيان على نحو اثبته فى هوامش الفصل ٠

وقد صدرت أول طبعة للرحلة باللغة العبرية وذلك من جانب مطبعة سونسينو فى القسطنطينية فى عام ١٥٤٣م ، ثم بعـدها طبعة فرارة بايطاليا عام ١٥٥٦م ، وفريبرج عام ١٥٨٣م ، وليدن عام ١٦٦٣م ، وامستردام عام ١٦٩٨م ٠

ثم صدرت طبعة فى امستردام من جانب بارتيير Barutier وذلك فى عام ١٧٣٤م ٠

وهناك ترجمة الى اللغة الفرنسية قام بها بيرجيرون Bergeron وذلك ضمن مجموعة رحلات فى آسيا فى القرون الثانى عشر ، والثـالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر للميلاد ، وصدرت فى لاهاى عام ١٧٣٥م ، انظر :

Voyage de Celebre Benjamin, Trans. by Bergeron, Voyages en Asie dans les XII, XIII, et XIV et XV siècles, La Haye 1735.

كذلك قام اشير بترجمة الرحلة الى الانجليزية وصدرت فى مجلدين فى لنـدن وبرلين وذلك فى عامى ١٨٤٠م ، ١٨٤١م ، عن ذلك انظر :

The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela. Trans. by Asher, 2 Vols., London, Berlin 1840—1841.

وهناك ترجمة الى الهولندية قام بها كايزر Keijzer وصدرت فى ليدن عام ١٨٤٧م ٠

كذلك قام وليم رايت بترجمة الرحلة الى الانجليزية ضمن الرحلات المبكرة فى فلسطين والذى صدر فى لندن عام ١٨٤٨م ، على مدى الصفحات من ٦٣ الى ١٢٦ ٠ عن ذلك انظر :

William Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, pp. 63—126.

ثم قام بترجمتها كارمولى Carmoly وصدرت فى بروكسل فى عام ١٨٥٢م ٠ وساهم ادلر بترجمتها الى الانجليزية وعلق عليهـا وصدر عمله فى لنـدن عام ١٩٠٧م ، انظر ٠

The Itinerary of Benjamin of Tudela, Critical Text, English Translation and Commentary, edited by M.N. Adler, London, 1907.

ثم هناك ترجمة الى الأسبانية قام بها ج· لوبيرا وصدرت فى مدريد فى عام ١٩١٨م ، عنها انظر :

G Liubera, Viajes de Benjamin de Tudela, Madrid 1918.

ويقرر توبلر فى كتابه عن ببليوغرافيا فلسطين الجغرافية والذى صدر بالألمانية فى لبزج عام ١٨٦٧م ، أنه لدينا عدد تسع نسخ مخطوطة من أصول رحلة بنيامين التطيلى ، وكذلك تحت أيدينا عدد ست وعشرين ترجمة بلغات متعددة لنفس الرحلة ·

عن طبعات الرحلة وجهود الباحثين فى نشرها وترجمتها الى العديد من لغات العالم انظر :

Tobler, Bibliographica Geographica Palestinae, p. 17.

Ruhricht. Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur, Von. 333, Bis 1878, pp. 37—38.

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965, p. 65.

Asher, The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, Vol. I, London 1840, pp. 1—26.

Gennadius, Voyages and Travels in Greece, The Near East and adjacent regions made previous to the year 1801, Vol. II, Princeton 1953, pp. 67—71.

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٧٣ ·

John Wright, The Geographical Lore of the Time of the Crusades, p. 117, Parker, A History of Palestine, London 1949, p. 148.

(٣) وعن بنيامين التطيلى واسفاره ، انظر :

The Universal Ency., «Benjamin of Tudela», Vol. II, New York 1969, p. 180, Ency. Judeca, «Benjamin of Tudela», Vol. IV, Jerusalem 1973, pp. 535—538. William Wright, Early Travels in Palestine, p. 63.

وقد ذهب روث فى كتابه عن مختصر تاريخ الشعب اليهودى الصادر فى لندن عام ١٩٥٣م الى القول بان بنيامين التطيلى قام برحلته فى ختام القرن الثانى عشر ، انظر نص ما ذكره فى كتابه ·

« Benjamin of Tudela, A jew who traversed the whole of the Mediterranean world at the close of the Twelfth Century».

ومن الواضح أن تحديده بعد متأخرا عن المدة المحددة لرحلة ذلك الرحالة اليهودى ، وقد رأى أغلب الباحثين الذين تخصصوا فى دراسة رحلات الرحالة اليهود أنه انتهى من رحلته فى أنحاء العالم عام ١١٧٣م تقريبا ، ولم يكن ذلك قط فى ختام القرن المذكور بالصورة التى تصورها روث ، عن كتابه ، أنظر :

Roth, A short History of Jewish people, London 1953, p. 216.

(٤) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٨٧ ، حاشية (١) .

(٥)

Rey, «Resume chronologie de l'hitoire des princes d'Antioch», R.O.L., T. IV, Année 1896, p. 374.

Schlumberger, Chalandon, Blanchet, Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943, p. 34.

حسين عطية ، امارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١ ـ ١٢٦٨م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٥٢٦ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ١٣٠٦م .

(٦) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، جـ ٨/ق١ ، ص ٣٠٥ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط. بيروت ١٩٧١م ، ص ٢٢١ ، الذهبى ، دول الاسلام ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص ٥٢٨ .

(٧) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٧٣ .
وجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسى كلود كاهن اتجه الى القول بأن بنيامين التطيلى كان موجودا فى الشام عام ١١٦٧م ، دون أن يدعم ذلك بالأسانيد المعضدة له ، أنظر اشارته :

Cahen, La Syrie du nord à l'époque des croisades, Paris 1940, p. 94.

(٨) Benjamin of Tudelu, p. 80.

(٩) Ibid. p. 83.

(١٠) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(١١) عن اشارة بنيامين التطيلى ، أنظر : الرحلة ، ص ٩٩ .
وأنظر رأى براور الهام .

Prawer, «The settlement of the Latins in Jerusalem», Speculum, Vol. XXVII, p. 494, note (21).

وعن سياسة الصليبيين تجاه اليهود بصفة عامة ، انظر :

براور ، عالم الصليبيين ، ص ١٨٤ ·

(١٢) Benjamin of Tudela, p. 80.

(١٣) Ibid, p. 80.

وعن ازدهار صناعة الزجاج فى صور انظر :

الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٦٥ ·

حيث يذكر عنها « يعمل بها جيد الزجاج » ·

William of Tyre, Vol. II, p. 9.

سر الختم عثمان ، مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ، ص ٢٩٦ ـ ص ٢٩٨ ، ويلاحظ أن ازدهار تلك الصناعة وجد فى مناطق اخرى فى المملكة الصليبية ، اذ ان جاك الفترى يقرر ان الزجاج الصافى تفوقت صناعته فى مدينة عكا ، انظر :

Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Trans. by A. Stewart P.P.T.S., Vol. XI, London 1896, p. 92—93.

(١٤) Benjamin of Tudela, p. 93.

وقد عملوا بنفس الصناعة فى مصر ، انظر :

قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، ط· القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٦٢ ·

(١٥) Ibid, p. 80.

(١٦) عن الاضطهادات التى وجهت لليهود خلال تلك المرحلة من جانب الصليبيين ، انظر :

Patlayeam, «Les Juifs, Les infidels d'Europe», L'Histoire, T. LXVII, Année, 1982, p. 38—39.

Goitein, «Geniza sources for the crusader period, Survey», in Outremer Studies in the history of the Crusading Kingdom of Jerusalem, presented to Joshua Prawer, Jerusalem 1982, p. 302.

قاسم عبده قاسم ، الاضطهادات الصليبية ليهود اوربا من خلال حولية يهودية ، الظاهرة ومغزاها ، ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، م (٩) ، عام ١٩٨٢م ، ص ١٣٧ ـ ص ١٦٦ ، «الحروب الصليبية فى الأدبيات العربية والأوربية واليهودية» ، مجلة المستقبل العربى ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧م ، ص ٢٠ ـ ٢١ ·

ويلاحظ أن هناك حوليات يهودية متخصصة في موضوع الاضطهادات التى تعرض لها اليهود خلال تلك المرحلة ، مثل حولية سليمان بن شمشون ، وحولية الربى اليعازر بن ناثان ، وقصة الاضطهادات القديمة .

The chronicle of Solomon bar Simson, The chronicle of Rabi Eliezar bar Nathan, The Narrative of the old persecutions.

ويشير د. قاسم عبده قاسم الى كتاب اليهود والصليبيون ، الحوليات العبرية للحملات الصليبية الأولى والثانية والذى صدر من جانب جامعة ماديسون عام ١٩٧٧م ، واحتوى على ترجمات انجليزية لتلك الحوليات وقام بالترجمة شلومو ايدلبرج ، أنظر :

The Jews and the Crusaders, the hebrew chronicles of the first and second Crusades, Trans. by Shlomo Eidelburg, Madison Univ. 1977.

نقلا عن قاسم عبده قاسم فى مقالته المنشورة فى مجلة المستقبل العربى .

(١٧) Benjamin of Tudela, p. 78.

(١٨) Ibid; p. 78.

(١٩) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٢٩ .

(٢٠) Ibid, p. 78.

وقعت قلعة القدموس الى الشرق من قلعة المرقب فيما بين قلعتى مصياف والكهف ، وقد تمكن الاسماعيلية النزارية من الاستيلاء عليها من صاحبها سيف الدين ابن عصرون عام ١١١٢ – ١١١٣م ، واستغلوا موقعها ضمن اقليم بانياس من أجل مهاجمة المسلمين والصليبيين على حد سواء .

عن قلعة القدموس ، انظر :

ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ٢ ، ص ٥١ ، ص ٢٥٢ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ط. القاهرة ١٩١٣م ، ص ١٤٧ ، رنسيمان ، الحروب الصليبية ، جـ٢ ، ص ٢٠٩ ، زكى نقاش ، الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٥٠م ، ص ١٣٣ ، لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٧١م ، ص ١٢٥ ، عبد الكريم حتاملة ، « صلاح الدين الأيوبى وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام » ، الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢) ، سبتمبر ١٩٨٦م ، ص ١٦٢ .

Stevenson, The Crusaders in The East, p. 120.

وأيضا : الخريطة الخاصة بقلاع الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى القسم الخاص بالخرائط ٠

(٢١) وقعت العليقة الى الشمال ممن قلعة المينقة وجنوب شرق جيلة ، عنها أنظر :

القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٧ ، الياس ديب ، العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية ، ط٠ بيروت ١٨٧٤م ، ص ٩٢ ، سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ٣١٦ ٠

Le Strange, Palestine under Islam, p. 352.

(٢٢) وقعت قلعة المينقة شمال قلعة الكهف والى الغرب من قلعة القدموس ، عنها ، أنظر :

ابن بطوطة ، الرحلة ، ط٠ بيروت ١٩٦٤م ، ص ٧٦ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٨ ، عارف تامر ، سنان وصلاح الدين ، ط٠ بيروت ١٩٥٦م ، ص٧١ ، أيضا الخريطة السابقة ٠

(٢٣) وقعت قلعة الخوابى فى شمال غرب صافينا وجنوب شرق المرقب ، عنها أنظر :

الادريسى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٧٥ ، ابن سعيد المغربى ، بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٨٦ ، عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ، ط٠ الاسكندرية ١٩٧٨م ، ص ٦٠٤ ، أيضا : الخريطة السابقة ٠

(٢٤) تسمى مصياف أو مصياب أو مصيات ، وهى من أهم قلاع الدعوة الاسماعيلية النزارية ، ووقعت الى الجنوب من قلعة الرصافة والى الشرق من قلعة القدموس ، عنها أنظر :

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط٠ بيروت ١٩٠٨م ، ص ٢٧٢ ، أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط٠ برنستون ١٩٣٠م ، ص ١٤٨ ، حاشية (٢) ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٥٦ ، جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبى على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة ، ط٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ٢١٩ ، حاشية (١) ، أيضا : الخريطة السابقة ٠

(٢٥) وقعت قلعة الكهف جنوب قلعة المينقة والى الشمال من قلعة الخوابى ، عنها ، أنظر :

القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٤٧ ٠

Runciman, The Crusades, Vol. II, p. 200.

أيضا : الخريطة السابقة ٠

(٢٦) القلقشندى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٤٦ ــ ص ١٤٧ ٠

(٢٧) ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تراجم الأمراء السلاجقة ، تحقيق على سويلم ، ط٠ أنقرة ١٩٧٦م ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ، سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، جـ٨/ق١ ، ط٠ حيدر أبـاد الدكن ١٩٥١م ، ص ١٣ ٠

Gibb. The Damascus chronicle of the Crusades, London 1958, p. 57, Lewis, The Ismailities and the assassins, in Setton, History of the Crusades, Vol. I, p. 111.

(٢٨) ابن العـديم ، زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ١٥١ ــ ص ١٥٢ ، ابن تغـرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٩٢ ، السـيد العزاوى ، فرقة النزاريـة ، ط٠ القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٠٧ ٠

(٢٩) عن شرف الدين مودود ودوره فى جهاد الصليبيين ، أنظر :

ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ٠

Fink, «Maudud of Mosul precursor of Saladin», M.W. T. XLIII, 1953, pp. 18—37.

عبد الغنى رمضان ، « شرف الدين مودود » ، مجلة كلية الآداب ــ جامعـة الرياض ، م (٤) ، السـنة (٤) ، عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧م ، ص ١٢٩ ــ ص ١٥٠ ، عفاف صبرة ، « الأمير مودود بن التونتكين » ، مجلة الدارة ، العدد (٢) ، السـنة (١٢) ، عام ١٩٨٦م ، ص ١٠٩ ــ ص ١٣٢ ، عبد الرحمن زكى وعيسى ، الحروب بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط٠ القاهرة ١٩٤٧م ، ص ١٦ ٠

وعن اغتياله ، أنظر :

ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ابن عساكر ، ولاة دمشق فى العصر السلجوقى ، نشر المنجد ، مجلة المجمع العلمى بدمشق ، م (٢٤) ، ج (٤) عام ١٩٤٩م ، ص ٥٥١ ، عثمان عشرى ، الاسماعيليون فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٥م ، ص ٧٥ ، كمال بن مارس ، العلاقة بين الموصل وحلب ودورها فى الحرب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس ، عام ١٩٩١م ص ٢٠٦ ٠

(٣٠) ابن العـديم ، بغيـة الطلب فى تاريخ حلب ــ القسم الخاص بتراجم الأمراء السلاجقة ، ص ١٦١ ٠

(٣١) ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق طليمات ، ط٠ القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٥ ، حسين عطية ، امارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتهـا

السياسية بالدول الاسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م ، ص ١٩٨ ، ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٥٤ ، حامد غنيم ، الجبهة الاسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، جـ٢ ، ص ١٧ ، الديوجى ، الموصل فى العهد الأتابكى ، ط• بغداد ١٩٥٨م ، ص ١٩ •

Cahen, op. cit., p. 304.

(٣٢) ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط• بيروت ١٩٧١م ، ص ٧٨ ، يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، جـ٦ ، ط• بيروت ١٩٠٠م ، ص ٩٠ •

(٣٣) أبو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، جـ٣ ، ط• استانبول ١٢٨٦هـ ، ص ٩ •

(٣٤) William of Tyre, Vol. II, p. 214.

برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ •
أسامه زكى ، الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية (القرن الثانى عشرم / السادس هـ) ، ط• الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٢٢٥ ، عاشور الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ١٣٠٦ •

وعلى الرغم من أن برنارد لويس يقرر أن رايموند الثانى كان الضحية الأولى للصليبيين التى اغتالها الحشاشون ، الا انه يقع فى تناقض واضح عندما يرى أن كونراد المونتفرتى كان الضحية الأولى ، راجع ما ذكره ، ص ١٤ ، ص ١٢٦ ، والواقع أن رايموند الثانى كان بالفعل الضحية الأولى ، وقد فصل بين الحادثتين ما يزيد على الأربعين عاما •

(٣٥) Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. by Hubert, New York 1943, pp. 334—335, Eracles R.H.C., Hist. Occ., T. II, p. 191.

Geoffrey of Vinsauf, History of the expedition of Richard coeur de lion, in chronicles of the crusades, London 1908, p. 267.

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, P. 116—117.

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٠٨ ، العماد الأصفهانى ، الفتح القسى ، ص ٥٨٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٢ ، ص ٢٧ ، عفاف صبرة ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط• القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٢٠٨ •

Gabrieli, Arab Historians of the crusades, Trans. by Costello, London 1969, p. 238—240.

Brown, A Literary History of Persia, Vol. II, London 1909, p. 209.

(٣٦) عن راشد الدين سنان ودوره في قيادة الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام حينذاك وسياسته تجاه مملكة بيت المقدس الصليبية ، انظر :
ابن العديم ، سيرة راشد الدين سنان ، تحقيق برنارد لويس
R.E.A., B. Lewis, T. VIII, 1966.
ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ ، ثلاثة تراجم من بغيــة الطلب ، تحقيق
B. Lewis Melanges Fuad Koprulu ، ط٠ استانبول عام ١٩٥٣ ، ص ٣٣٨ ـ
ص ٣٣٩ ، سبط بن الجوزى ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ ، ابن تغرى بردى ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ١١٧ ٠

ويلاحظ أن راشد الدين سنان بلغت سيطرته على أتباعه حدا ، انهم اعتقدوا فى غيبته ورجعته من بعد ذلك ، تماما مثلما اعتقد الشيعة الاثنى عشرية برجعــة الامام محمد بن الحسن العسكرى بعد أن اختفى فى سر من رأى ، ويقرر شيخ الربوة الدمشقى أن فى حصن الكهف يوجد الغار الذى اختفى فيه راشد الدين ويقال انه مدفون فيه ويزعمون انه غاب فيه ، ويظهر منه ، بزعم طائفة منهم ، انظر عن ذلك ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٨ ٠

(٣٧) عن ذلك انظر :
مؤنس احمد عوض ، التنظيمات الدينية ، ص ٢٧١ ٠

(٣٨) Benjamin of Tudela, p. 80.

(٣٩) عن ذلك انظر :
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ٣٨٤ ، ابن العديم ، ثلاثة تراجم من بغيــة الطلب ، ص ٣٣٥ ، ابن ايبك الدويدارى ، الدرة المضــيئة فى اخبــار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٠ القاهرة ١٩٦١م ، ص ٣٣٤ ، شــيخ الربوة ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، العثمانى ، تاريخ صفد ، ص ٤٨٥ ٠

(٤٠) Ibid. p. 80.

(٤١) Ibid, p. 80.

(٤٢) انظر الفصل الخاص برحلة يوحنا فوكاس ٠

(٤٣) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٠٩ ٠

(٤٤) نفسه ، ص ٩٩ ٠

(٤٥) Ibid. p. 83.
Peters, Jerusalem, The Holy city in the eyes of chronicles, visitors, pilgrims and prophets from the days of Abraham to the beginnings of modern times, Princeton 1985, p. 328.

(٤٦) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٨٨ ·

وعن الزلازل التى منيت بها بلاد الشام بصفة عامة خلال القرن الثانى عشرم، أنظر :

ابن القلانسى ، المصدر السابق ، تحقيق زكار ، ص ٥١٥ ، ص ٥١٨ ، ص ٥٢٥ ، ص ٥٢٦ ، الأصفهانى ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، نشر كلود كاهن B.E.O., T. VII—VIII Année 1937—1938 ص ١٣٨ ، عبد اللطيف البغدادى ، الافادة والاعتبار ، تحقيق سبانو ، ط· دمشق ١٩٨٣م ، ص ٩٩ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ج٢ ، ط· بيروت ١٩٧٠م ، ص ١٢٠ ، ابن الراهب ، تاريخه ، ط· بيروت ١٩٠٧م ، ص ٧٤ ·

Fulcher of Chartres, p. 189, p. 208, p. 210.

Anonymous Syriac chronicle, Trans. by Tritton, J.R.A.S., April 1933, Part II, p. 303.

William of Tyre, Vol. II, p. 370.

Gibb, «The Career of Nur Al-Din», in Setton, The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958, p. 520.

مؤنس أحمد عوض ، الزلازل فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية وآثارها ، دراسة عن النصف الثانى من القرن الثانى عشرم ، تحت الطبع ، محمد محمود محمدين ، « الزلازل والبراكين فى جزيرة العرب وتراثهم، الدارة، العدد(١)، السنة (١٤) ، عام ١٩٨٨ ، ص ٤٤ ، أشتور ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ت· أبو عبلة ، ط· دمشق ١٩٨٥م ، ص ٢٨١ ، محمد على المغربى ، الهزات الزلزالية ، ط· القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٤٣ ، عماد الدين خليل ، نور الدين محمود وتجربته الاسلامية ، ط· دمشق ١٩٨٧م ، ص ١٨ ، السيد سالم ، دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ، ط· بيروت ١٩٧٠م ، ص ١١١ ، مصطفى أنور ، « نصوص تاريخه لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثانى عشر » B.E.O., T. XXVII, Année 1974 ، ص ٥٥ ، حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق ، ط· القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٢٦٠ ، كرد على ، غوطة دمشق ، ط· دمشق ١٩٥٤م ، ص ٥٥ ·

(٤٧) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٤٣ ·

الفصل السابع

ثيودريش

١١٧١ ـ ١١٧٣م



ثيودريش

(١١٧١ ـ ١١٧٣م)

تميزت رحلة الرحالة الألمـانى ثيودريش([1]) باحتوائها على العديد من الجوانب المتعلقة بمملكة بيت المقـدس الصليبية ، ومن أمثلة ذلك تناوله لعنـاصر الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية والداوية وأنشطتهم فى الأرض المقدسة سواء على الجانب الحربى أو الجانب الطبى العلاجى ، ومن جهة أخرى تناول المدن الساحلية الشامية ودورها فى انعاش حركة التجارة فى المنطقة ، وكذلك الأسواق التجارية الهامة فى أنحاء المملكة الصليبية ، وفضلا عن ذلك قدم تناولا لوضع المسلمين الخاضعين للسيادة الصليبية ، ونظرا لأنه من الألمـان ، فقـد أمكن عقد مقارنة بين رحلتـه ، ورحلة رحالة آخر من بنى وطنه ونعنى به يوحنا الورزبرجى .

والواقع أننا لا نملك معلومات مؤكدة عن ثيودريش باستثناء اسمه ـ كمـا يلاحظ ستيوارت الذى قام بترجمة رحلته الى الانجليزية ـ ومن المحتمل أنه قـد ورد لدى مقدمة رسالة يوحنا الورزبرجى الانجيلية Introductionary Epostle ولكن لا يوجد دليل مؤكد يدعم صـحة ذلك([2]) ، ومن المحتمل كما هو وارد فى تلك المقـدمة أنه ثيودوريش الذى عمل أسقفا لورزبرج([3]) ، ويلاحظ الباحثون أن وصفه لكنيسة الضريح المقدس فى بيت المقدس ، وعقده المقارنة بينها وبين كنيسة اكس لاشابل Aix La Chapelle (آخن) ، يدل على أنه أكثر التردد على تلك البلاد([4]) .

وتثار ناحية هامة عند دراسة رحلة ذلك الرحالة الألمـانى ، وهى المرحلة التى كتب فيها الرحلة ، وينبغى أن نقرر أنه قام بهـا فى عهد الصليبيين قبل سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية فى قبضة المسلمين عام ١١٨٧م ، وتوجد عدة دلائل تدعم مثل ذلك التصور ، فنجد أن ذلك الرحالة يشير فى ثنايا رحلته الى البطريرك فوشـيه Fulcher فى الفصل الثانى عشر من رحلته ، وهو الذى شغل منصب البطريركية فى بيت المقدس فى المرحلة الممتدة من عام ١١٤٦م الى عام ١١٥٧م([5]) . ومن جهـة أخرى نجده قد أورد ذكر مدينة بانياس ، وأوضح أن المسلمين قد استولوا عليهـا فى عام ١١٧١م ، وهو ما نجده فى الفصل الخامس والأربعين ، ولا نغفل ناحيـة

هامه تفيد فى تحديد توقيت قيام ثيودريش بالارتحال فى ربوع المملكة الصليبية ، اذ أنه تناول فى حديثه عن القلاع التى شيدها الصليبيون بالقرب من نهر الأردن ، احدى تلك الـ قلاع المقامة من أجل صد اغارات نور الدين محمود ملك حلب ، ولما كنا نعلم أن الأخير ظل يحكم مملكته حتى عام ١١٧٤م ، فمن المنطقى تصور أن الرحلة جرت خلال مدة حكمه لبلاده ، ومن جهة أخرى يلاحظ البعض أن آخر تاريخ ورد فى الرحلة هو عام ١١٧٣م(٦) ، مما ساعد على الاعتقاد بأنها جرت حوالى ذلك العام .

ولا نغفل حقيقة هامة ، اذ أن ذلك الرحالة الألمانى قد قام برحلته خلال حكم الملك عمورى ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو الذى حكم فى المرحلة الزمنيه الممتدة من عام ١١٦٢م الى عام ١١٧٣م ، ودليلنا على ذلك أنه عندما أشار الى مقبرة الملوك الصليبيين ذكر آخرهم وهو بلدوين الثالث (١١٤٤ - ١١٦٢م) ، ولم يشر الى الملك عمورى ، مما يدل على أن الأخير كان لا يزال حيا(٧) ويحكم المملكة الصليبية .

والجدير بالذكر ، أن الرحالة الألمان بصفة عامة ، اهتموا اهتماما جليا بعناصر الرهبان الفرسان لا سيما الاسبتارية Hospitallers والداوية Templars فأفردوا لهم أجزاء هامة من رحلاتهم ، ويصدق ذلك أيما يصدق على الرحالة ثيودريش ، وربما كان من العوامل الهامة والمؤثرة التى أدت الى مثل ذلك الوضع ، أنه زار المملكة الصليبية فى عهد الملك عمورى - كما أسلفنا الاشارة - الذى شهد تعاظم دور وفعاليات تلك العناصر .

وهكذا ، فان ثيودريش تهيأت له الظروف المواتية من أجل تناول فرق الرهبان الفرسان من خلال كافة الجوانب المتعلقة بأنشطتهم فى الأرض المقدسة ، ومن ثم حرص الحرص كله على أن يعرض لأدوارهم الحربية والطبية والاقتصادية ، ونظرا لأهمية ما أورده فى هذا الصدد ، من الممكن عقد مقارنة بين ما أورده وما ورد لدى يوحنا الورزبرجى الذى زار المنطقة فى مرحلة متقاربة من رحلة ثيودريش .

أما بشأن الرهبان الفرسان ، فنجد أن ذلك الرحالة يصف المستشفى التى تنسب الى القديس يوحنا St. John ويرى انه لا يوجد شخص بامكانه أن يخبر الآخر كم هى جميلة مبانيها ، وهى مزودة بالحجرات والأسرة والمستلزمات الأخرى اللازمة لعلاج المرضى (٨) ، ويرى أن المستشفى ذات ثراء عريض فى الانفاق على الفقراء ، وأوضح انه كان عاجزا عن اكتشاف أعداد الناس الذين كانوا

يعالجون هناك ، ولكنه ذكر أن الأسرة تقدر بأكثر من ألف سرير(٩) ، ويلاحظ أن اشارته عن تلك المستشفى توضح بجلاء أنه كان شاهد عيان ، اذ أنه زارها هو نفسه ، وكتب تلك الاشارات على هذا الأساس ، مما يعطى لروايته قيمة علمية كبيرة ويجعلها تتفق مع قيمة رواية يوحنا الورزبرجى الذى زار هو أيضا المستشفى ، ومع ذلك تفوق الأخير عليه من حيث ايراده الأرقام محددة عن عدد من تستوعبهم المستشفى وكذلك عدد الوفيات من المرضى ٠

ويبدى ثيودريش كبير اعجابه بدور الاسبتارية فى علاج الفقراء ، ويذكر أن هذا العمل الذى يقوم به بيت الاسبتارية من ايواء هذا العدد الضخم من الأشخاص كل يوم لا يقدر عليه الا كبار الملوك(١٠) ، مما يعكس علو شأن الهيئة بحيث صارت تقارن أعمالها بأعمال الملوك ٠

ومن جهة أخرى ، نجده يتناول ثراء الاسبتارية الكبير ويذكر أن الداوية شاركتهم نفس الصفة ، ويرى أن عناصرهم امتلكت أملاكا واسعة فى كافة أراضى اليهودية ، ويقرر أن من العسير لأى شخص أن تكون لديه فكرة عن مدى ثراء الداوية ، اذ أنهم والاسبتارية استولوا على كافة المدن والقرى وشيدوا القلاع فى كل مكان ، وحشدوا فيها الحاميات بالاضافة الى امتلاكهم للعديد من الضياع(١١) ٠

وفى معرض حديثه عن فرسان الداوية ذكر أنهم شيدوا مبان جديدة لاستغلالها بجوار معبد سليمان ، وأقاموا كذلك كنيسة لهم ، وأن اسطبلاتهم كانت تسع لألف من الخيول(١٢) ، وهكذا ، فانه قدم اشارات هامة عن الجوانب العلاجية الطبية بالنسبة لنشاط الاسبتارية ، وكذلك الجوانب الاقتصادية بخصوص الداوية ٠

ولم يقتصر ما ذكره ذلك الرحالة الألمانى عن الاسبتارية والداوية فقط على تلك الجوانب ، بل ان الأمر تعداه الى الاشارة الى القلاع التى سيطر عليها الرهبان الفرسان ، وفى هذا المجال نجده يمتاز على غيره من الرحالة الأوربيين باهتمامه بالقلاع الصليبية وذكره لمواقعها بصورة أدق من غيره ، وقد ساعده على أن يولى اهتماما خاصا لتلك العمائر الحربية ، انه قدم فى عهد الملك الصليبى عمورى ، الذى شهد عهده تزايد اعتماد المملكة الصليبية على فرق الرهبان الفرسان لتدعيم نشاط المملكة الحربى تجاه الشمال والشمال الشرقى صوب الدولة النورية ، وباتجاه الجنوب الغربى صوب مصر بعد أن وضحت سياسة ذلك الملك الصليبى نحو التوسع على حساب أملاك الفاطميين هناك ، ولا ريب أن تلك السياسات الحربية الطموحة قد

جملته يزيد من اعتماده على تلك العناصر على نحو دعم تزايد نفوذها بصورة واضحة ومن ثم امتلكت العديد من القلاع من أجل الدفاع عن حدود المملكة ضد القوى الاسلامية المجاورة وبتعبير أدق لتواصل السياسة العدوانية الصليبية فى المنطقة ·

وجدير بالذكر ، أن عهد الملك عمورى شهد العديد من الأمثلة للقلاع الصليبية التى عهد بأمرها الى عناصر الاسبتارية أو الداوية من أجل أن تتولى مهام الدفاع عنها ، وهناك من يرى أن هيئة الداوية قد تولت الدفاع عن قلعة أنطرطوس Tartosa فى عهد ذلك الملك(١٣) ، أما حصن الاكراد Crac des Chevaliers فقد عهد عمورى لهيئة الاسبتارية بمهام الدفاع عنه فى عام ١١٦٧م(١٤) ، ونجد أن قلعة عكار Akkar تولتها الهيئة المذكورة عندما كان وصيا على امارة طرابلس الصليبية عام ١١٧٠م(١٥) ، أما قلعة صفد Safad فقد تولى الداوية الدفاع عنها عام ١١٦٧م(١٦) ·

وقد جاءت رحلة ثيودريش لتدعم ذات التصور ، فهو يشير الى عدد من القلاع الخاضعة للرهبان الفرسان ويقرر أن الاسبتارية شيدوا قلعة بالغة الحصانة فى منطقة قريبة من نهر الأردن من أجل حمايتها من اغارات قوات نور الدين محمود حاكم حلب(١٧) ، وبالقرب منها وباتجاه الغرب هناك قلعه للداوية ، تسمى سافام محصنة ومنيعة من أجل مواجهة اغارات الأتراك(١٨) ، وفيما يلى ذلك ، وباتجاه البحر المتوسط ، يقع جبل الشيخ Hermon حيث بنى فرسان الداوية قلعة كبيرة(١٩) ، كذلك أشار الى قلعة لنفس التنظيم على بعد ثلاثة أميال من صفورية Sepphoria ، وفى الطريق الى عكا ، وقد وصفها بأنها بالغة القوة والحصانة(٢٠) ، ومن جهة أخرى ، ذكر قلعة للداوية وقعت الى الشرق من بيتانى Bethany ، وفضلا عن ذلك ، هناك قلعة اسكندرونة Scandalium ، ووقعت على بعد أربعة أميال من مدينة صور ، كذلك تناول ذلك الرحالة قلعة عكا ، وتسمى القلعة الجديدة ، ووقعت فى مقابل المدينة ، وقد وصفت بأنها قلعة كبيرة(٢١) ·

ولا مراء فى أن ثيودريش قد تفوق على غيره من الرحالة الأوربيين مثل فتيلوس ، ويوحنا الورزبرجى فى ايراده لذلك العدد من القلاع الصليبية وكذلك تحديده لمواقعها ووصفه لمناعتها وحصانتها ، ومن الواضح من خلال اشاراته فى هذا المجال ، أن قلاع الرهبان الفرسان وقعت فى مناطق ذات أهمية استراتيجية كبيرة من أجل حماية بعض المدن والمواقع الصليبية ، أو من أجل شن هجمات على المدن والمراكز الاسلامية المجاورة ·

ومن ناحية أخرى ، نجد أن ذلك الرحالة لم يقصر تناوله على عناصر الاسبتارية والداوية فحسب ، بل انه أشار أيضا الى نواة تنظيم القديس لازاروس St. Lazarus ، وفى اشارة موجزة نجده يورد ذكرا لنزل المبرصين الخاص بالقديس المذكور(٢٢) ٠

وقد تمثلت النواة الأولى للتنظيم فى صورة بيت المبرصين House of Lepers أو ما عرف باللاتينية Domus Leprosorum (٢٣) ، وتطور الأمر حتى صار لبيت المبرصين كنيسة (٢٤) ، وللتنظيم جماعة من الرهبان فى حدود عام ١١٤٢م تقريبا ، وعند منتصف القرن الثانى عشر ، ظهرت الى الوجود اشارات بشأن أخوة بيت المقدس المبرصين Leper brothers of Jerusalem (٢٥) ، ومن بعد ذلك ، وفى عام ١١٥٥م ، ظهرت وظيفة مقدم Master - كما يقرر براور - مما يدل على أن الجانب التنظيمي للهيئة قد اكتمل فى صورة أهم الوظائف ذات المسئوليات المحددة ، كذلك سعت المملكة جاهدة الى منح الهيئة العديد من المنح والهبات(٢٦) من أجل أن تكون قادرة على تحقيق المهام المنوطة بها ٠

كذلك فاننا نجد ثيودريش يولى اهتماما خاصا للمناطق الساحلية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو يقرر أن كافة تلك المدن الواقعة على الساحل الشمالى تتسم بأنها كبيرة ومحصنة بالأسوار(٢٧) ، ويختلف اهتمامه من مدينة الى أخرى ، فأحيانا يتناول احداها باشارة مفصلة ، وأحيانا يشير الى مدينة أخرى بعبارة موجزة ، وتعليل ذلك يرجع الى تفوق أهمية احدى المدن الساحلية على غيرها من ناحية النشاط الاقتصادى ، أو من زاوية الأهمية الاستراتيجية ، فضلا عن أن بعض المدن شاهدها هو نفسه فتحدث عنها بصورة كبيرة بينما وجدت بعض المدن الأخرى التى اعتمد فى تناولها على روايات الآخرين ٠

ويقرر ذلك الرحالة ، أن مدينة عسقلان Ascalon على قدر كبير من القوة والحصانة(٢٨) ، أما عكا Acron فهى عنده مدينة غاصة بالسكان ، وعلى قدر كبير من الثراء(٢٩) ، ومرجع ذلك بالطبع يعود الى تدفق أعداد كبيرة من الحجاج الأوربيين على ذلك الميناء الحيوى الهام ، من أجل أن يصلوا عن طريقه الى المناطق المسيحية المقدسة ، وكذلك قدمت أعداد وفيرة من التجار الى المدينة من أجل مباشرة أعمالهم

التجارية ، والتى ولا ريب كانت متسعة من خلال اتساع حجم الأسواق الداخلية والخارجية ، ولكونه ميناء حيويا لتصريف تجارة بعض المدن الشامية البرية الحبيسة كحاضرة الشام المزدهرة دمشق ٠

وفضلا عن ذلك ألقى ثيودريش الضوء على نشاط صناعى على قدر كبير من الاهمية فى ذلك الميناء ، وهو يتصل بصناعة السفن واصلاحها من الأعطاب التى كانت تلحق بها ، وقد ذكر أن سفن الحجاج المسيحيين تسلم الى ذلك الموقع من أجل اصلاحها ودلل على قوله بأن ذكر أنه أحصى وجود ثمانين سفينة هناك(٣) ٠

والواقع أن الأعطاب التى لحقت بسفن الحجاج نتجت فى الغالب الأعم عن اشتداد العواصف والأمواج أو ارتطام السفن بالصخور الى غير ذلك من العوامل ، بالاضافة الى أن تلك السفن احتاجت الى عمليات صيانة مستمرة من أجل أن تقوم بتأدية دورها بفعاليه ، ومن ثم احتل ذلك المركز الصناعى فى ميناء عكا أهميه خاصة ، ودل الرقم الكبير نسبيا الذى ذكره ذلك الرحالة الألمانى على اتساع نشاطه وجعل من الممكن تصور أن تكون الموانى الصليبية الأخرى احتوت على مراكز لاصلاح السفن ، وأن ميناء عكا لم ينفرد بهذا النشاط ، وان كنا نرجح أن المراكز الأخرى - ان وجدت - كانت بصورة مصغرة من ذلك المركز نظرا للأهمية الخاصة لذلك الميناء والذى أجمع عليها كافة الرحالة الأوربيين الذين زاروا المملكة الصليبية خلال القرن الثانى عشر م ٠

وتفيد الاشارة السابقة فى ناحية هامة فى دراسة رحلة ثيودريش ، فهو عندما ذكر المركز أراد أن يدعم روايته بدليل احصائى محدد عن عدد السفن فى الميناء على نحو جعل روايته لها أهمية خاصة ، اذ جاءت من شاهد عيان دعم مقولته باحصاء محدد لاعداد السفن ، مما يعكس نزعة احصائية لدى صاحب الرحلة ، ونجدها بصفة عامة لدى الرحالة الألمان خلال ذلك القرن ٠

وجدير بالذكر أنه تنا ولمدينة صور Tyre التى حظيت بقدر كبير من اهتمام ذلك الرحالة ، وقد وصفها بأنها تقع على شاطىء البحر ، وتتفوق فى حصانتها وأسوارها على كافة المدن الأخرى ، وهى تتخذ شكل الجزيرة وتحيطها المياه تقريبا من جوانب ثلاثة ، أما الجانب الرابع فانه محصن تحصينا قويا بفضل الحوائط والأسوار وغيرها من وسائل الدفاع(٣١) ، ولها مدخلان فقط ، وتحرسها بوابات بأبراج فى كل جانب ، ولها ميناءان أحدهما وهو الداخلى لسفن المدينة ، أما الآخر

فهو قد خصص للسفن الأجنبية ، وبين الميناءين يوجد برجان على كتلتين من الصخر، وبينهما باب مزود بسلسلة ضخمة من الحديد ، وعندما يغلق يصبح الخروج والدخول أمرا مستحيلا([٣٢]) ٠

والنص الذى يورده ثيودريش ــ يتفق ــ مع النص الذى يقدمه ابن جبير بشأن حصانة ومناعة مدينة صور ، وقد ذكر الأخير أمر البرجين المشيدين الى ميناء « ليس في البلاد البحرية أعجب وصفا منها »([٣٣]) ، كما أنه أشار الى أن هناك سلسلة عظيمة تقع بين البرجين المذكورين تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها([٣٤]) ، وهكذا فان المصادر الاسلامية والصليبية أكدت على حقيقة الحصانة الطبيعية الفريدة التى تميزت بها مدينة صور ، وهى التى أثرت أحيانا على تاريخ الحروب الصليبية ، كما اتضح خلال الأحداث التى تلت معركة حطين ومقدم الحملة الصليبية الثالثة ٠

وبالاضافة الى ما سبق ، احتوت تلك الرحلة على بعض الجوانب الاقتصادية ، وقد اهتم ثيودريش بمصادر المياه ، فقد أشار الى أن أهل مدينة بيت المقدس ــ على سبيل المثال يقومون بتخزين مياه الأمطار من أجل استغلالها عند الاحتياج اليها([٣٥]) ، ولا توجد لديهم مصادر أخرى للمياه كما ذكر أن الداوية قاموا بوضع صهريج ضخم مزود بآلة متحركة من أجل ضخ المياه([٣٦]) ، ولا شك فى أن مصادر المياه فى فلسطين كانت محدودة ، واذا ما لاحظنا أن غالبية البلاد احتوت على مناطق صحراوية بينما انحصرت مصادر المياه فى نهرى الأردن واليرموك وبحيرتى طبرية والحولة ، ومياه الأمطار فى الشتاء ثم الينابيع والعيون والآبار ، أدركنا أن الصليبيين سعوا جاهدين نحو استغلال الموارد المائية المتاحة أحسن استغلال لخدمة كيانهم الدخيل ٠

أما على المستوى التجارى ، فنجد أن ذلك الرحالة الألمانى يذكر أمر أحد الأسواق الموسمية الهامة ونعنى به سوق موزرب الذى عقد كل صيف ٠ وقد أشار الى أن جمعا كبيرا من الناس لا يحصى عددهم([٣٧]) ، يقدمون الى هذا المكان كل عام ، ويجلبون معهم كل شىء يمكن أن يباع ويتاجر فيه ويجلبون معهم عناصر من العرب من أجل حمايتهم([٣٨]) ، ويلاحظ أن ذلك السوق كان يسمى أيضا ميدان Medan وينبغى أن نقرر أن اشارة ذلك الرحالة تعد موجزة اذا ما قورنت بما ذكره رحالة سابق زار المنطقة قبله ونعنى به فتيلوس Fetellus ([٣٩]) ٠ وان اتفق الاثنان على كون ذلك السوق من الأسواق الموسمية الرئيسية التى عقدت فى فصل الصيف ، مع ملاحظة أن استمرار تناول الرحالة الأوربيين لمثل ذلك السوق فيما بعد رحلة فتيلوس

يدل على استمرار ازدهاره وأنه صار حقيقة اقتصادية واقعة على نحو لم يكن من اليسير اغفال تناوله فى مؤلفاتهم ، ومن ثم عرض له ثيودريش فيما بعد ٠

كذلك قدم ثيودريش تناولا هاما لأحد الأسواق التجارية والتى كانت تعقد سنويا فى وقت عيد الفصح فى خلال فصل الربيع ، وذلك عند مقدم الحجاج المسيحيين الى مدينة بيت المقدس ، وقد حدد موضع السوق بأنه أمام الباب الرئيسى لكنيسة القيامة([٤٠]) ، وقد احتوى على العديد من البضائع والسلع التجارية خاصة التى يمكن أن تباع للحجاج خلال مثل تلك المناسبات الدينية ، ومن أمثلتها ، التحف والصور المتصلة بذكريات المسيحية ، وخاصة صور القديسين ، والسيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام وبالاضافة الى ذلك بيعت على نطاق متسع الصلبان والايقونات والمسابح والبخور التى احتاجها المسيحيون فى طقوسهم الدينية وصلواتهم ٠

ولدينا وصف هام لذلك السوق ، ولكن من خلال مصدر متأخر ونعنى به الرحالة فيلكس فابرى Felix Fabri ، ويتضح من خلاله مدى تزايد أعداد الحجاج الذين يقومون بشراء احتياجاتهم من هناك ، وكذلك اختلافهم مع البائعين حول الأسعار وقيامهم بالمساومة بغية الوصول الى سعر مناسب وفق احتياجاتهم وقدراتهم المالية. وقد أوضح أن من الحجاج من قام بشراء بعض السلع من أجل أن يعود الى وطنه ليقوم ببيعها لمواطنيه بأسعار مرتفعة([٤١]) ، ولا ريب فى أن البعد الاقتصادى لاسيما التجارى واكب حركة الحج المسيحى الى المحارم المسيحية المقدسة فى فلسطين ٠

وهكذا ألقت رحلة ثيودريش الضوء علي إثنين من الأسواق الموسمية الهامة فى مملكة بيت المقدس الصليبية ٠

وتوجد ناحية هامة فى الرحلة ، ونعني بها نظرة ذلك الرحالة الى المسلمين ، والاتهامات التى وجهها لهم وأوضاعهم تحت الحكم الصليبى ٠

وقد اتخذ ثيودريش – شأنه فى ذلك شأن كافة الرحالة الأوربيين الآخرين – موقفا عدائيا متعصبا ضد المسلمين ٠ ويرى أنهم كفار([٤٢]) ، ومن ثم ينبغى أن نأخذ رواياته عنهم مأخذ الحذر والحيطة ، وقد روى أن عددا كبيرا من الحجاج كانوا قد قدموا الى بيت المقدس للحج غير انهم وجدوها غاصة بالعرب ، ولم يمكنهم دخولها ، ولم يكن معهم طعام او شراب ، وعندما ادرك العرب انهم عاجزون عن المقاومة ذبحوهم ، ويقرر انه عندما يغادر المرء المدينة المقدسة باتجاه الغرب عند البوابة

المعروفة ببرج داود Tower of David ، هناك طريق يؤدى الى كنيسة ويخطو المرء خطوات هابطا الى كهف قرر العرب أن يحرقوا فيه كافة جثث أولئك الحجاج غير أن العناية الالهية أرسلت أسدا ألقى بجميع تلك الجثث فى الكهف(٤٣) !!! ٠

ويبدو من مطالعة الرواية السابقة أنها لا تقف على قدميها وأن عنصر الخيال لعب فيها دورا كبيرا ، ومن الواضح أنها ترجع الى ما قبل نجاح الصليبيين فى اخضاع المدينة المقدسة عام ١٠٩٩م ، خاصة أن ذلك الرحالة أشار فيها الى وجود أعداد كبيرة من العرب عندما قدم الحجاج اليها ، ومن جهة أخرى فانه لم يحدد تاريخا معينا لتلك الحادثة مما يضعف من شأنها ، فضلا عن أن القسم الخاص بالأسد ودوره يدل بجلاء على أن الرواية برمتها من نسج خيال الحجاج البسطاء فى عصر سادت فيه الأساطير والغيبيات على العقول وتراجع فيه الاتجاه العقلانى فى أوربا العصور الوسطى بصفة عامة ٠

ويبدو أن المقصود من تلك الرواية توضيح مدى المشقة التى لاقاها الحجاج من أجل الوصول الى البقاع المقدسة لدى المسيحيين ، وأن العناية الالهية حرستهم من كل سوء ووقفت الى جوارهم عند الشدائد لتبدل أمرهم يسرا من بعد عسر ٠

كذلك أشار ذلك الرحالة الى أوضاع المسلمين تحت الحكم الصليبى وذلك ضمن تناوله لاثارة العرب قدرا كبيرا من الهلع فى نفوس الحجاج ، ويقرر أن عددا من « الكفار » يسكنون كافة انحاء البلاد كما أنهم فى المدن والقرى ، وهم يحرثون الأرض لملك بيت المقدس والاسبتارية والداوية فى ظل معاملة سلمية من جانب الملك الصليبى والهيئتين المذكورتين(٤٤) ٠

ومن الواضح من خلال ذلك النص أن المسلمين عملوا كفلاحين فى الأرض الزراعية التى امتلكها كبار القيادات السياسية الصليبية ، وفى هذا المجال يلاحظ أن هيئتى الاسبتارية والداوية صارتا من كبار ملاك الأراضى ومقطعيها(٤٥) ، اما اشارته بشأن المعاملة السلمية من جانب الصليبيين للمسلمين ، فهو أمر ينبغى ألا نأخذه مأخذ الحقيقة التاريخية ، اذ أن هناك العديد من الاشارات الهامة التى تنفى تصور المعاملة السلمية الكاملة والعامة من جانب قيادات الصليبيين ٠

والمرجح أن المسلمين الذين عملوا فى الزراعة لم تكن لهم حقوق الا حقوق رقيق الأرض ، ويقرر العماد الكاتب الأصفهانى أن معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل من

المسلمين كانوا مساكنين لمساكنة الفرنج مستسلمين وأنهم بعد أن حررهم صلاح الدين بعد موقعة حطين ذاقوا العزة بعد المذلة(٤٦) ، وقد يتصور البعض أن العماد كان بوقا دعائيا للسلطان الأيوبى ، ومن ثم ذكر مثل تلك العبارة ، ولكن يبدو أن ذلك مُثل حقيقة واقعة ، خاصة أن الصليبيين نظروا نظرة شك وارتياب تجاههم ، وذلك يتضح من خلال مطالعة رحلة ثيودريش ، ومما زاد من صعوبة الموقف أن الغزاة لم يقدروا على التخلى عن الخدمات التى يمكن أن يؤديها السكان المحليين من المسلمين لا سيما فى المجال الزراعى ، نظرا لكثرة أعدادهم ولخبرتهم الواسعة والعريقة فى هذا المجال ، مع ملاحظة أن الصليبيين عانوا من نقص القوة البشرية بصورة واضحة ، ولم يكن فى امكانهم الاستغناء عن الطاقة الانتاجية فى المجال الزراعى والتى تمثلت فى تلك العناصر المحلية ، وفضلا عن ذلك ، فان طبيعة المشروع الصليبى نفسه ، وما احتواه من طابع تعصبى ضد كل ما هو غير مسيحى ، وكذلك اتجاهه الاستعمارى الاستيطانى ، جعل امكانية المسالمة بين الجانبين أمرا مستبعدا ، وان وجدت ففى أضيق نطاق ، ولا تمثل ظاهرة عامة بأى حال من الأحوال .

ويقرر المؤرخ السوفيتى المعاصر ميخائيل زابوروف ، انه عندما استقر السادة الجدد (يعنى الصليبيين) فى الأراضى المغتصبة المفتوحة ، حولوا الفلاحين فى القرى من المسلمين والمسيحيين الى اقنان ، وقضى القادمون على آخر بقايا حرية السكان القرويين الشخصية(٤٧) .

واضافة الى ما سبق ، من الضرورى أن نؤكد أن الصليبيين عملوا على اقامة مستوطنات لهم على حساب السكان المحليين الذين تم تهجيرهم ، وكانوا بالطبع من عناصر الفلاحين ، اذ أن رجال الدين اللاتين فى كنيسة القيامة ، عملوا على تأسيس بعض المستوطنات فى بعض الاقطاعات التى حصلوا عليها من الأمير جودفرى البويونى فى عام ١٠٩٩م ، وقد تمثل هدفهم الأول فى قرية البيرة(٤٨) الواقعة شمال بيت المقدس ، فأقاموا مستوطنتهم هناك ، وذلك على الرغم من أن القرية لم تكن مهجورة بصورة كاملة من سكانها المسلمين ، وذلك عندما منحها لكنيسة القيامة فى العام المذكور ، وبالطبع قام رجال الدين فى كنيسة القيامة بعملية تهجير لمن تبقى من سكان القرية الى المناطق الأخرى ، وذلك قبل البدء فى بناء المستوطنة الصليبية الجديدة ، وقد قاموا بتوطين مجموعة من الأوربيين الأحرار فى قرية البيرة ليقوموا بزراعتها فى مقابل دفع ضريبة لرجال الدين فى كنيسة القيامة فى صورة اقتسام محصول الأرض معهم . وقد اكتمل بناء المستوطنة المذكورة عام ١١١٥م(٤٩) .

ويبدو أن انقضاء تلك السنوات فى تشييد تلك المستعمرة الصليبية يدل دلالة واضحة على اصرار الصليبيين على تنفيذ مخططاتهم الاستيطانية فى تلك المنطقة الهامة •

وهناك مثال آخر تكرر فى القبيبة الواقعة شمال غرب بيت المقدس ، اذ قام الصليبيون بتشديد مستوطنة هناك بعد أن قاموا بتفريغ القرية من سكانها من الفلاحين المسلمين ، واكتمل تشييد المستوطنة بين عامى ١١٢٠ ، ١١٢٩م ، وتكرر نفس الأمر فى قرية كفر مالك ، حيث منحها الملك بلدوين الثانى لكنيسة القيامة(٥٠) •

مجمل القول ، أن من الضرورى أن نأخذ بحذر كافة الروايات التى تحاول أن تؤكد نجاح المشروع الصليبى فى ايجاد تعايش سلمى بين الغزاة الصليبيين وسكان البلاد المحليين لا سيما من المسلمين •

أما اذا انتقلنا الى ما احتوته الرحلة من اشارات خاصة بالعمائر الدينية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، نجد أن ثيودريش اشار الى عدد من الكنائس الكبيرة والشهيرة والتى كانت من المعالم الدينية البارزة فى المدينة المقدسة ، وقد حرص العديد من الحجاج على زيارتها ، وفى هذا المجال تناول كنيسة القديسة آن Si. Anne (٥١) ، وكنيسة الضريح المقدس(٥٢) ، ثم كنيسة القديسة مريم اللاتينية(٥٣) St. Mary The Latin ، ثم كنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist (٥٤) •

ومن الممكن ادراك أن ما ذكره ذلك الرحالة بشأن تلك الكنائس لم يخرج عن أوصاف الرحالة الأوربيين الآخرين الذين زاروا المملكة الصليبية فى المرحلة السابقة على مقدمه للمنطقة •

مجمل القول ، أن رحلة الرحالة الألمانى ثيودريش ، ألقت الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية ، ولا سيما الجوانب السياسية والاقتصادية وعكست أن مؤلفها كان شاهد عيان تمتع بقدر كبير من الذكاء والفطنة(٥٥) •

الهوامش :

(١) العنوان الأصلي للرحلة هو : Libellus de Locis Sanctis

اعتمدت في اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية التي قام بها اوبري ستيوارت Aubrey Stewart للرحلة .

وكان توبلر Tobler قد قام بنشر الرحلة وذلك في باريس وسانت جال في عام ١٨٦٥م .

Theoderich, Libellus de locis sanctus ed. by Tobler, St. Gall, and Paris 1865.

عن هذه الاشارة ، انظر :

Wright, The Geographical lore of the time of the crusades, A study in the history of medieval science and tradition in Western Europe, p. 540.

اما الترجمة الانجليزية فقد قام بها اوبري ستيوارت Aubrey Stewart وصدرت ضمن مجموعة P.P.T.S. ، في الجزء الخامس ، في لندن عام ١٨٩٦م .

عن ذلك ، انظر :

Theoderich, Theodorich's Description of The Holy places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

وعن رحلة ثيودريش واهتمام الباحثين بها ، انظر :

Tobbler, Bibliographica Geographica Paleatinae, p. 18.

(٢) Theoderich, p. III.

(٣) Ibid, p. III.

(٤) Ibid, p. III.

Beazley, Vol. II, p. 196.

ويقرر اوبري ستيوارت ان ثيودريش عمل اسقفا لورزبرج وذلك في عام ١٢٢٥م، غير ان هذا الرأي تشكك فيه بيزلي دون ان يقدم تعليلا لموقفه هذا ، والواقع ان اتساع الرحلة الزمنية بين قيامه برحلته ، وبين التاريخ المذكور لتوليه الأسقفية ، يجعلنا نستبعد ذلك التحديد ، فضلا عن اننا لا نملك ــ على ما يبدو ــ اية مصادر تاريخية موثوق بها تلقي الضوء على شخصية ثيودريش وتساعدنا على تدعيم الرأي السابق .

Stewart, Introduction, p. III.

Beazley, Vol. II, p. 196, note (1).

(٥) Theoderich, p. VI.

(٦) Ibid, p. VII.

Neumann, «La Descriptio Terrae Sancte de Berardo d'Ascoli», A.O.L., T. I, Paris 1881, p. 228.

البطريرك فوشيه هو : Fulcher D'Angouleme ، تولى رئاسة أسقفية صور Tyre في ٢٥ يناير أو ٢٠ فبراير عام ١١٤٦م ، ويقدم لنا وليم الصورى تناولا هاما عنه وعن دوره الكنسى والسياسى فى مملكة بيت المقدس ، وقد عملت البابوية على تدعيم نفوذه من خلال مطالبة الأساقفة الآخرين ورجال الاكليروس بصفة عامة فى الأرض المقدسة بضرورة طاعته وتنفيذ أوامره ، وعاصر ذلك البطريرك الملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، والامبراطور الألمانى كونراد الثالث Conrad III وذلك عند مقدمهم الى المنطقة ابان أحداث الحملة الصليبية الثانية ، ومن الأحداث الهامة المتصلة به سفره الى روما من أجل مقابلة البابا هادريان الرابع Hadrian IV وكان فى صحبته عدد كبير من رجال الدين فى المملكة الصليبية ، وقد ذكر وليم الصورى أن فوشيه كان ضمن الجيش الصليبى الذى أعده الملك بلدوين الثالث Baldwin III من أجل اسقاط عسقلان Ascalon وذلك فى عام ١١٥٣م ، وتوفى ذلك البطريرك فى ٢٠ ديسمبر عام ١١٥٧م ، عنه انظر :

William of Tyre, Vol. II, p. 181, p. 265, p. 300.

Mas Latirie, «Les Patriarches Latins de Jerusalem», R.O.L., T. I, Paris 1893, p. 18.

Schlumberger, Chalandon, Blanchet, Sigillographie de l'Orient Latin Paris 1943, p. 34.

Runciman, Vol. II, p. 279, p. 280, p. 334.

Ruhricht, Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 242, p. 243.

أسد رستم ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، جـ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٧) Theoderich, p. VIII.

(٨) Ibid, p. 22.

Ibid, p. 22. (٩)

Ibid, p. 22. (١٠)

Ibid, p. 30. (١١)

Beazley, Vol. II, p. 196.

Theoderich, p. 30. (١٢)

(١٣) حامد غنيم ، الجبهة الأسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، جـ٢ ، ط القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٦١ .

وقد وقعت قلعة انطرطوس كما يذكر ياقوت على ساحل بحر الشام ، واعتبرها آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وعدها البعض من أعمال طرابلس مطلة على البحر ، وبينها وبين عرقة ثمانية فراسخ ، وخضعت لسيطرة عناصر فرسان الداوية ، ويوجد خلاف بين الباحثين حول تحديد المرحلة الزمنية التى حدث فيها ذلك ، فهناك من يرى أن عهد الملك بلدوين الثالث (١١٤٤ ـ ١١٦٥م) قد شهد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية باسناد مهمة الدفاع عن قلعة انطوطوس للداوية ، بينما اعتقد البعض الآخر أن عهد الملك عمورى (١١٦٢م ـ ١١٧٣م) لابلدوين الثالث هو الذى شهد ذلك الحادث الهام ، ورأى فريق ثالث أن ذلك قد وقع فى عام ١١٨٣م ، والواقع أنه ليس من اليسير المفاضلة بين الرأيين الأول والثانى ، نظرا لتعدد المصادر التاريخية فى هذا الشأن ، كذلك فان عهد الملكين الصليبيين المذكورين قد شهد بالفعل اسناد عدد كبير من تلك القلاع الصليبية للهيئات الحربية ، ومع ذلك فمن الممكن معارضة الرأى الثالث الذى تصور أن ذلك وقع عام ١١٨٣م نظرا لكونه تاريخا متأخرا عن باقى التواريخ التى تعرف أن الهيئات الحربية الصليبية عهد اليها بأمر الدفاع عن تلك العمائر الحربية ، ثم أن قلعة مثل انطرطوس ذات الموقع الاستراتيجى الهام من المستبعد أن تتأخر المملكة الصليبية طوال تلك المدة كى تسندها لهيئة الداوية فى ذلك التوقيت المتأخر ، والمنطق يدعونا الى تصور أن ذلك حدث خلال عهد بلدوين الثالث أو عمورى .

عنها انظر : القزوينى ، آثار البلاد ، ص ١٥١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٣٨٨ ، حامد غنيم ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٦١ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ٦٤٨ ، أبو الفرج العش ، آثارنا فى الاقليم السورى ، ط . دمشق ١٩٦٠م ، ص ٦٧ ، عبد الرحمن زكى ، « العمائر العسكرية فى العصور الوسطى بين الغرب والصليبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٧) ، عام ١٩٥٨م ، ص ١٣١ ، حاشية (٢) ، مؤنس احمد عوض ، التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية ، ص ٤٤٢ .

Le Strange, Palestine, p. 894.

Beazley, Vol. II, p. 200.

(١٤) عاشور ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٦٩٣ ٠
وقع حصن الأكراد على بعـد أربعين ك٠م من مدينـة حمص ، وعلى بعـد خمسة وعشرين ميلا الى الشمال الشرقى من طرابلس ، وكان صالح بن مرداس قـد عهـد بأمر ذلك الحصن لجمـاعة من الأكراد وذلك فى عام ١٠٣٣م ، فسمى بحصن الأكراد ، ولم تكن هـذه التسمية ترجع الى صـلاح الدين الأيوبى الذى كان كرديا كمـا تصور ذلك عنـان ، وقـد مثل ذلك الموقع أهميـة استراتيجية كبيرة ، اذ أن الحصن أمكنه التحكم فى الممر الهام الواقع بين سهول نهر العاصى والبحر المتوسط ، ومن جهة اخرى ، أشرف على اقليم البقاع بأكمله ، الأمر الذى أعطى له أهمية متميزة، وقام الحصن بالدفاع عن أملاك امارة طرابلس الصليبية ضد اغارات القوى الحربية المسلمة ٠ وبالنسبة لتكوينه المعمارى نجـد أنه احتوى على ثلاثة أسـوار ، وثلاث باشورات ، واتسم بالحصانة الشديدة ، ووصف بأنه درة العمارة الحربية الصليبية فى بلاد الشام ٠ وقـد عهد الصليبيون الى هيئة الاسبتارية بأمر الدفاع عنـه وذلك على الأرجح فى عام ١١٦٧م ، وتمكن المسلمون من اسـقاطه فى قبضتهم فى عهـد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس البندقدارى عام ١٢٧١م ٠

عن ذلك الحصن أنظر :

Marino Santo, Secrets for true crusaders to help them to recover the holy land, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896, p. 5.

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص ٣٧٥ ــ ٣٣٧ ، الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة (٩٤) ، يوسف سمارة ، جولة فى الاقليم الشمالى ، ط٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٦٢ ، عبد العزيز عبد الدايم ، امارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشرم ، رسالة ماجستير غير منشورة ــ كلية الآداب ــ جامعة القاهرة ، عام ١٩٧١م ، ص ٤١ ، سميل ، الحروب الصليبية ، ت٠ سامى هاشم ، ط٠ بيروت ١٩٨٢م ، ص ٢٥٧ ، نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربى ، القاهرة ١٩٤٦م ، ص ١٠٥ ، عبد الله عنان ، « قلاع المسلمين والصليبيين فى سوريا ولبنان » ، الهلال ، السنة (٤٢) ، جـ٥ عام ١٩٣٣م ، ص ٥٥٤ ، سرور ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٨١ ــ ٨٢ ٠

Smail, The crusaders in Syria and the holy land, p. 55, Richard, Le comte de Tripoli sous la dynastie Toulousaine (1102—1187), Paris 1945, P. 2, King, «The taking of le Krak des chevaliers in 1271», Antiquity, Vol. XXIII, March 1949, pp. 83—92, Rihaoui, Le Crac des chevaliers, Guide Touristique et Archeologique, Damas 1975.

(١٥) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، ت٠ السـيد البـاز العرينى ، جـ٢ ، ط٠ بيروت ١٩٦٧م ، ص ٦١٨ ، نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان ، ص ٢٠٦ ٠

وقعت قلعـة عـكار على بعـد مرحـلة من طرابلس الى الشـمال منهـا وشكل موقعها أهمية استراتيجية كبيرة ، حيث كانت نقطة اتصال بين حصن الأكراد وبقية الحصون والقلاع الصليبية فى سوريا ولبنان ، ويبدو أن قلعـة عكار كانت مقامة من قبل مقدم الصليبيين الى المنطقة ويقرر لسترينج انها وجدت خـلال عهـد المرداسيين حيث تمكن أسد الدولة صالح بن مرداس من الاستيلاء عليها فى عـام

١٠٢٥م ، وأخضعها الفاطميون لسيطرتهم ومن بعدهم استولى عليها السلاجقة ، وقد قام الملك عمورى باسناد الدفاع عن القلعة لهيئة الاسبتارية وذلك عندما كان وصيا على امارة طرابلس ، ويبدو أن فرسان الهيئة قاموا باعادة بناء القلعة وتحصينها خاصة أنها تأثرت بفعل الزلازل التى حلت بالمنطقة ، ويلاحظ أن السلطان الظاهر بيبرس تمكن من اخضاع الحصن لسيطرة المماليك عام ١٢٧١م •

عن قلعة عكار ، أنظر :

ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، ط• القاهرة ١٩٦١م ، ص ٩٧ ، حاشية (١) الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص ٣٨٢ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ٤٨ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، ط• القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٥٥ ، حاشية (٧) •

Le Strange, Op. Cit., p. 80.
Stevenson, The Crusaders, p. 343.

سالم ، طرابلس الشام ، ص ١٥ ـ ص ١٦ ، عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص ٥٥٤ •

(١٦) **عاشور ، المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٦٩٣ •**

(١٧) Theoderich, p. 64.

(١٨) Ibid, p. 64.

(١٩) Ibid, p. 64.

(٢٠) Ibid, p. 69.

(٢١) Ibid, p. 45, p. 59, p. 73.

وجدير بالذكر أن قلعة اسكندرونة Scandalium كانت تقع بالقرب من صور وحددها البعض بأنها بين صور وعكا ، ويلاحظ أن معلوماتنا عنها نستمدها من مصدرين صليبيين هما فوشيه الشارترى ووليم الصورى ، ويقرر الأول أن الملك بلدوين الأول قام ببنائها وأنها سميت سكاندليون وهى تعنى ميدان الأسد Field of the Lion أما وليم الصورى فيقرر أن ذلك الملك أراد أن يشدد من مواجهته لمدينة صور التى كانت المدينة الساحلية التى بأيدى المسلمين فقام ببناء القلعة ، ويقرر أنها شيدت فى موقع يسمى الكسندريوم Alexandrium على اسم الاسكندر المقدونى Alexander of Macedon حيث بنى هناك قلعة من أجل أن تساعده فى احكام سيطرته على مدينة صور ، ويبدو أن رأى وليم الصورى هو الأقرب الى الدقة نظرا لمعرفته الدقيقة بالمنطقة اذ انها مثلت مسقط رأسه ، فضلا عن درايته اللغوية المتميزة خاصة باللغة اللاتينية •

ويلاحظ أن اسم سكاندليوم يقابله فى العربية الاسكندرونة وينبغى أن ندرك الفارق بين الاسكندرونة التى تقع جنوب صور ، وبين تلك الواقعة ضمن حدود امارة انطاكية الصليبية ، وتقع حاليا ضمن الحدود التركية . ومن جهة أخرى ، يقرر وليم الصورى أن الاسم ينطق بصورة شائعة سكاندليوم Scandalium ، كذلك ورد ذكرها لدى عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية فيما بعد القرن الثانى عشر ، ونعرف أن الملك الصليبى بلدوين الأول Baldwin I قام باعادة بناء الاسكندرونة وعهد بها لأحد النبلاء وذلك على ما يبدو فى عام ١١١٧م ٠

عنها أنظر :

Fulcher of Chartres, p. 220.

William of Tyre, Vol. I, p. 514.

Burchard of Montsion, p. 10, note (1).

Marino Santo, p. 8.

Ludolph Von Suchem, Description of the holy land, p. 61—62.

شيخ الربوة الدمشقى ، نخبة الدهر ، ص ٢١٣ ٠

Runciman, Vol. II, p. 99.

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.

مورثمان ، « اسكندرونة » ، دائرة المعارف الاسلامية ، م (٣) ، ت٠ ابراهيم خورشيد ، وآخرون ، ط٠ القاهرة ، ص ٣٢٢ ـ ص ٣٢٣ ٠

عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٨٩ ٠

(٢٢) Theoderich, p. 43.

(٢٣) Prawer, Op. Cit., p. 276.

(٢٤) Prawer, Op. Cit., p. 276.

(٢٥) Prawer, Op. Cit., p. 276.

براور ، عالم الصليبيين ، ص ١٩٧ ٠

(٢٦) Prawer, Op. Cit., p. 276.

ومن أمثلة المنح والهبات ·

RuLricht, Regesta, p. 34, p. 53.

(٢٧) Theoderich, p. 73.

(٢٨) Ibid, p. 55.

(٢٩) Ibid, p. 59.

(٣٠) Ibid, p. 60

هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ص ١٨٦ ، هامش (٤) ·

(٣١) Ibid, p. 73 .

(٣٢) Ibid, p. 73 .

(٣٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧ ·

(٣٤) نفسه ، نفس المصدر والصفحة ·

(٣٥) Ibid, p. 5.

(٣٦) Ibid, p. 64.

وعن مصادر المياه فى فلسطين ، انظر هذه الدراسة المتخصصة :

جمعه رجب طنطيش ، الميـاه فى فلسطين ، دراسة فى الجغرافية الاقتصادية والسياسية ، ط· بنى غازى ١٩٨٩م ، ص ٧٩ ـ ص ١١٧ ·

(٣٧) Theoderich, p. 65.

(٣٨) Ibid, p. 65.

(٣٩) انظر الفصل الخاص برحلة فتيلوس ·

(٤٠) Ibid, p. 22.

(٤١)
Felix Fabri, The Book of the wanderings of brother Felix Fabri, Trans. by Aubrep Stewart, P.P.T.S., Vol. IX, London 1897, p. 34.

ومن المهم أن نقرر أن فيلكس فابرى لم يزر المنطقة وبيت المقدس من قبل استيلاء صلاح الدين عليها عام ١١٨٧م ، كما اعتقد عزرا حداد فى تعليقه على رحلة بنيامين التطيلى ، أنظر ، ص ١٠٣ ، حاشية (١) ، بل انه رحالة متأخر زار المنطقة فى القرن الخامس عشر م وتحديدا عام ١٤٨٤م ، عن ذلك أنظر الترجمة المشار اليها ٠

(٤٢) Theoderich, p. 22.

(٤٣) Ibid, p. 55.

(٤٤) Ibid, p 61.

(٤٥) ومن أمثلة ذلك : William of Tyre, Vol. II, p. 256.

وعن ذلك بالتفصيل أنظر :

Riley-Smith, A history of the order of the hospital of St. John of Jerusalem, Vol. I, pp. 433—451.

وأيضا الترجمة العربية الحديثة ٠

جوناثان رايلى سميث ، الاسبتارية ، فرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص (١٠٥٠ — ١٣١٠م) ت٠ صبحى الجابى ، ط٠ دمشق ١٩٨٦م ، ص ٤٢١ — ص ٤٥١ ٠

(٤٦) العماد الاصفهانى ، الفتح القسى ، ص ١٠٨ ٠

(٤٧) زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ص ١٣٢ ٠

(٤٨) على السيد على ، « ملامح الجانب العربى الاسلامى فى المواجهة ضد الغزو الصليبى » ، مجلة المستقبل العربى ، العدد (٨) ، عام ١٩٨٧م ، ص ٥٠ ٠

وقد وقعت البيرة على بعد ستة عشر ك٠م الى الشمال من القدس على الطريق المؤدى الى مدينة نابلس ، وقد شغلت سهلا فسيحا وامتازت بتوافر الينابيع وخصوبة تربتها الزراعية ، ويلاحظ أن البيرة اسم يطلق ليعنى عدة مواقع فى فلسطين والعراق والاندلس ، فهناك البيرة ، وهى الواقعة قرب سميساط ، بين حلب والثغور البيزنطية، وقد وصفت بأنها قلعة حصينة ، وهناك أيضا موضع آخر على شط الفرات من أعمال الجـزيرة فوق جسر منبج ، وبالاضـافة الى ذلك توجد البيرة وهى الواقعـة فى

فلسطين وبالتحديد بين بيت المقدس ونابلس ، وهى التى تعنينا هنا بالحديث ، وفضلا عن ذلك اشارت المصادر الى البيرة بكسر الألف وفتح الباء ، وهى بلدة بالأندلس ، وقد استقرت بها عدة قبائل عربية فى أعقاب فتح المسلمين لها ، ومن امثلتها قبائل قضاعة وذبيان وربيعة ٠

عن البيرة الواقعة بين بيت المقدس ونابلس ، أنظر هاتين الرحلتين :

Theoderich, p. 60.

John of Wurzburg, p. 14, note (3).

وعن المدن المتعددة التى حملت اسم البيرة ، أنظر :

ابن حزم ، طوق الحمامة فى الألفة والألاف ، تحقيق الطاهر مكى ، ط٠ القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٦٢ ، حاشية (١) ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٣٨٧ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٠٢ ، شيخ الربوة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ، ابن ناظر الجيش ، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلى ، ٠ القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٩٩ ، ص ١٠١ ، ابن عبد الحق البغدادى ، مراصد الاطلاع ، جـ١ ، ص ٢٤٠ ــ ص ٢٤١ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ٨/ق٢ ، ص ٢٥٦ ــ ص٢٥٧ ، عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربى الاسلامى فى شمال افريقيا والأندلس ، ط٠ بغداد ١٩٨٢م ، ص ٢١٧ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٤٨ ٠

Abel, «Les deux Mohomerie Bireh, qoubeibeh», R.B., T. XXXV. p. 926.
Ruhricht, Regesta Regni, p. 69.

(٤٩) سعيد البيشاوى ، الممتلكات الكنسية ، ص ١٨٥ ــ ص ١٨٦ ٠

(٥٠) نفسه ، نفس المرجع ، ص ١٥٢ ، ص ١٨٦ ٠

وجدير بالذكر ، أن كفر مالك وقعت على بعد ثلاثة ك٠م من نابلس ، وحدها من الشمال قرية ترمسعيا وخربة وكفر ستينا واشتهرت بحقول الزيتون والكروم واللوز والتين ، ويلاحظ أن الصليبيين قاموا بترحيل أهل قرية كفر مالك الى قرية بيت فوريك وكانت القرية الأخيرة من المنح الملكية لكنيسة مملكة بيت المقدس ، ومن الملاحظ أن الملك بلدوين الثانى Baldwin II ، قام بمنح كفر مالك لكنيسة القيامة ، وورد فى وثيقة المنح ، أن يشمل ذلك كفر مالك وما يتبعها من حقول وفلاحين ٠

عن كفر مالك وسياسة الصليبيين حيالها ، أنظر :

مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، جـ٣/ق٢ ، ص ٢٠٩ ــ ص ٣١١ ، عبد الحفيظ محمد على ، مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس الصليبية واثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣١ ــ ١١٨٧م) ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، ص ١٥٧ ٠

Ruhricht, Op. Cit., p. 33—34.

وعن سياسة الصليبيين حيال المسلمين داخل نطاق مملكة بيت المقدس ، انظر :

Prawer, «West confronts East in the middle ages», B.I.A.C.C., Vol. XII, 1989, p. 17 sqq.

فتحى الشاعر ، أحوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ — ١١٨٧م) ، ط١ القاهرة ١٩٨٩م ، ص ١٤ — ص ١ .

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ — ص ٢١٣ .

(٥١) Theoderich, p. 7.

(٥٢) Ibid, p. 7—8.

(٥٣) Ibid, p. 23.

(٥٤) Ibid, p. 22.

(٥٥) Beazley, Vol. II, p. 196.

الفصل الثامن

بتاجيا الراتسبونى

(١١٧٤ ـ ١١٨٧م)

بتاحيا الراتسبونى
(١١٧٤ ـ ١١٨٧م)

تحتل رحلة الرحالة اليهودى بتاحيا الراتسبونى[١] مكانة متميزة بين الرحلات التى قام بها الرحالة اليهود فى العصور الوسطى فى منطقة الشرق الأدنى ، وتلقى الضـــوء على بعض الجوانب الهامة المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن الملاحظ أن رحلة ذلك الرحالة أفادت فيمـا يتصل بالمزارات اليهودية المقدسـة فى أنحاء فلسطين والتى من أجلها قدم الكثيرون لمشـاهدتها والتبرك بهـا ، وجـــاء تناوله لأوضـــاع مملكة بيت المقـدس ضـئيلا اذا ما قورن بما أورده بشأن اليهود ومزاراتهم الدينية المقدسة ، وفى نفس الحين فمن الممكن عقد مقارنة متعددة الجوانب بين رحلة بنيامين التطيلى ورحلة بتاحيـا الراتسـبونى حيث أن كلا منهمــا من العناصر اليهودية وزارا المنطقة فى وقت متقارب نسبيا ، وهذا ما سوف نتناوله فى هذا الفصل مفصلا •

والواقع أن ما نعرفه عن بتاحيا الراتسبونى محدود ، ومع ذلك فهو فى نفس الوقت أوفر حظا من الرحالة الأوربيين الســابقين الذين زاروا المملكة الصليبية ، والذين قد لا نعرف عنهم الا أسماءهم مثل سايولف[١] مثلا ، ويلاحظ أن قسما هاما مما نعرف عنه نستمده من رحلته نفسها ، ومن المتفق عليه انه ابن الربى يعقوب Jacob وأخ الربى اسحاق هالفان Issac Halvan والربى ناكمان الراتسـبونى Nachman of Ratsbon ، وقد ولد فى راتسبون فى النصف الأول من القرن الثانى عشر م وأقام عدة أعوام فى براغ Praguo ، ومنهـا بدأ رحلتـه الى بولاندا Poland ، وأرمينيا Armenia ، وكييف Kiev ، ثم الى فارس وبلاد الشام واليونان وغيرها[٢] ، ومعنى ذلك أن رحلته شملت العديد من الأقطـار والبقاع فى المنطقة سواء فى أوربا أو فى آسيا •

ويبدو من ثنايا رحلة بتاحيا الراتسبونى انه كان رجلا على قدر كبير من الثراء، والدليل على ذلك انه عندما كان فى الموصل ووقع فريسة للمرض كان أخوف ما يخافه أن تدركه منيته هناك ، حيث كان من الشائع والمتعـارف عليه عندما يموت أحـــد اليهود ، أن تصادر أمواله ويحصل السلطان على نصف ثروته[٤] •

وحيث أن اليهود بصفة عامة خلال العصور الوسطى ، اشتغلوا بالتجارة وأعمال الصيارفة وبعض الحرف والصناعات التى برعوا فيها ، فمن المتصور أن ثراء بتاحيا الراتسبونى تأتى من خلال عمله بالنشاط التجارى وأن ذلك دفعه الى القيام برحلته من أجل زيارة الأماكن المقدسة لدى اليهود فى بيت المقدس ولكى يدرس ـ على ما يبدو ـ نوعيات الأسواق التجارية فى المنطقة ، ومن الصعب تصور أن تكون لديه تلك الثروة الكبيرة والتى كان يخشى فقدانها دون أن تكون قد تأتت اليه من خارج نطاق النشاط التجارى المزدهر الذى اشتهر به اليهود على نحو خاص خلال ذلك الحين •

أما توقيت الرحلة ، فمن المنطقى تصور أن بتاحيا الراتسبونى قام برحلته الى مدينة بيت المقدس قبل أن تزول من عليها السيادة السياسية الصليبية عام ١١٨٧م ، فيلاحظ أنه أشار الى وجود شخص يهودى واحد فى المدينة يدفع مالا وفيرا للملك الصليبى من أجل أن يستبقيه بها(٥) ، وهذا يعنى أن الرحلة جرت قبل عام ١١٨٧م ، غير أن هناك اختلافا بين الباحثين بشأن تحديد تاريخ رحلته إلى المنطقة ، ويرى البعض أن ذلك حدث بين عامى ١١٧٤ ، ١١٨٧م(٦) ، بينما اعتقد فريق آخر أنها جرت بعد عشرة أو خمس عشرة عاما من قيام بنيامين التطيلى برحلته(٧) ، وهذا يعنى أنها جرت حوالى عام ١١٨٣ أو ١١٨٥م ، وتصور فريق ثالث أنها تمت خلال المرحلة من ١١٨٠ الى ١١٨٧م(٨) •

والواقع أن رحلة بتاحيا قد تمت بعد قيام بنيامين التطيلى برحلته الى فلسطين ، ودليلنا على ذلك ـ وهو ما سيتضح تفصيليا فيما بعد ـ أن الرحلة مثلت امتدادا لبعض الظواهر الهامة التى أشار اليها الرحالة الأسبانى بشأن توزيعات اليهود وأعدادهم خاصة فى المدينة المقدسة •

ومن جهة أخرى ، نرى أن بتاحيا فى رحلته أشار الى أن دمشق يحكمها السلطان الذى يحكم مصر أيضا(٩) وطبيعى أنه يعنى بذلك السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، ولما كان قد فرض سيطرته على تلك المدينة عام ١١٧٤م فمن الممكن تصور أن الرحلة الى بيت المقدس جرت خلال المرحلة من ١١٧٤ الى ١١٨٧م بينما لا نجد فى نصوص الرحلة ما يدعم التواريخ الأخرى التى اعتقد البعض أنها جرت خلالها •

مهما يكن من أمر ، فان رحلة بتاحيا الراتسبونى تفيد فى القاء الضوء على أوضاع اليهود فى مملكة بيت المقدس الصليبية وخاصة أعدادهم ، ومن الأمور ذات

الدلالة ، أن ذلك الرحالة يقرر أن مدينة بيت المقدس تحوى يهوديا واحدا هو الربى ابراهيم هلتسيفع(١٠) الذى اصطحبه من أجل أن يرى جبل الزيتون ، ويبدو من خلال تلك الرواية ، استمرارما قد قرره الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى بشأن قلة عـدد اليهود الذين سكنوا المدينـة ، فنجد بتاحيا يذكر أنه لم يبق فى المدينة سـوى يهودى واحـد ، قـد ذكـر اسـمه ، وهـذا يعنى أنه على درجـة كبيرة من التـأكد من من تلك الواقعـة ، خاصـة أنه تقـابل مـع ذلك الرجـل الذى طاف به فى أنحـاء المدينـة ، وعلى ذلك فمن الممكن أن نأخـذ بصـحة تلك الرواية ــ على الرغم مما تحويه من غرابة ــ وهى تعكس بصفة عامة أن تلك المدينة بعد أن خضعت للسيادة الصليبية صارت عنصرا للطرد بالنسبة لليهود وأنهم لم يعودوا يقيمون فيها ، أما تعليل سبب ذلك فيمكن ادراكه من حالة ابراهيم هلتسيفع نفسه ، اذ أن الصليبيين ــ على ما يبدو ــ عمدوا الى فرض الضرائب الباهظة على اليهود من أجل أن تكون عاملا على دفعهم للنزوح من المدينة ، خاصة مع وجود امكانات للعمل فى المدن المجاورة الخاضعة للسيادة الاسلامية ٠

ومن جهة أخرى أفادت رحلة بتاحيا الراتسبونى فى تدعيم ما ذكره من قبـل بنيامين التطيلى ونعنى به أن المدن الاسلامية فى بلاد الشام والعراق مثلت منـاطق تركز لتجمعات يهودية كبيرة ، وفى المقابل كانت المدن الخاضـعة للسيادة الصليبية تشهد انحسارا وتراجعا لأعداد اليهود بها ، ودليلنا على ذلك أن بتاحيا يقرر أن دمشق يسكنها ما يقرب من عشرين ألفـا من اليهود ، مما يعكس استمرار دمشق كمنطقة جذب للعناصر اليهودية بفضل نشاطاتها الاقتصادية المتفوقة ٠ مع ملاحظة احتمال المبالغة الرقمية فى ذلك العصر ٠

وليس معنى ذلك أن اليهود لم يوجـدوا فى مدن أخرى فى أنحاء مملكة بيت المقدس ، اذا أن ما ذكره ذلك الرحالة عن انحسار عددهم ليصبح رجلا واحدا فى بيت المقـدس ، ينبغى الا يعطى انطباعا بأنهم لم يوجـدوا فى أماكن أخـرى من أملاك الصليبيين ، اذ أنه يذكر وجودهم فى عكة(١١) ، وكذلك بالقرب من طبرية(١٢) ، ومن الطبيعى تصور سبب تركزهم فى المنطقتين المذكورتين على اعتبار وقوعهما على خطوط التجارة العالمية ، وكذلك خطوط التجارة الشامية بين شمال فلسطين ودمشق ، وبين عكا والمدن والموانى الساحلية على البحر المتوسط ، مع ملاحظة أن بتاحيا لم يدعم اشـاراته عن وجود اليهود فى المنطقتين بأرقام محـددة ، الأمر الذى لم يمكننا من ملاحظة الأمر من حيث تزايد الأعداد أم نقصها ٠

فاذا نحينا جانبا تلك الزاوية ، وجدنا أن رحلة ذلك الرحالة تلقى الضـوء على

ما يمكن وصفه بالمزارات اليهودية المقدسة فى بيت المقدس وأنحاء فلسطين الأخرى ، وهنا نلاحظ ناحيـة هامة وهى استمرار ظاهرة تأليف الرحلات لتكون بمثابة دليـل ارشادى للحجاج القادمين الى المنطقة ، وهكذا فان ما نجده لدى الرحالة الأوربيين المسيحيين ، نجده أيضا لدى الرحالة اليهود المعاصرين لنفس المرحلة ، ومن الطبيعى تصور احتمال أن تلك المؤلفات الارشادية للأماكن المقدسـة اليهودية ربمـا تـكون ألفت حتى من قبل مرحلة الحروب الصليبية شأنهـا فى ذلك شأن مؤلفـات الجانب المسيحى ٠

وفى هذا المجال أورد بتاحيا الراتسبونى عددا من الأمثلة عن تلك المزارات ، ومن ذلك اشارته الى وجود مغارة شاهقة الارتفاع فى الجليل تنقسم الى قسمين ، الأول لقبور الربى هليل وتلاميذه ، أما القسم الثـانى فاختص بالربى شـمـاى وتلاميذه(١٣) ، وفضلا عن ذلك ، تناول قبر ابن يفونه(١٤) ، كما تناول المعبد الذى بناه يوشع بن نون فى طبرية(١٥) ٠

وتجدر الاشارة الى أن هذا القسم من الرحلة ، نجد فيه بصورة واضحة تزايد الطابع الأسطورى الذى غالبا ما كان ينسج بشأن تلك المواقع الدينية ، ومن أمثلة ذلك تناوله لقبر موسى عليه السلام فى صفورية ، ويذكر ان رائحة زكية تفوح منه ، وتشم على بعد ميل عن ذلك الموضع(١٦) ، كذلك أشار الى وجود بئر تفيض كل ستة أيام وفى يوم السبت – وهو اليوم المقدس لدى اليهود – لا توجد فيه قطرة مياه واحدة(١٧) . ومثل تلك الأقوال ، نجدها بكثرة فى مؤلفات الرحالة الأوربيين المسيحيين ، ومعنى ذلك أن الاتجاه نجده فى مؤلفات تلك المرحلة سواء فى مؤلفات اليهود أو المسيحيين من خلال ازدهار الطابع الدينى خلال ذلك الحين ٠

ومن الجوانب الهامة الأخرى التى احتوتها الرحلة ، تناولها للأوضاع الدينية لليهود فى مملكة بيت المقدس ، وفى هذا المجال أشار بتاحيا الى أن اليهود هناك يتبعون الرئاسة الروحية اليهودية فى بغداد(١٨) ، ومن الممكن ملاحظة ذلك من خلال ما ذكره بنيامين التطيلى ، ويقرر أن فى بغـداد قيـادة يهودية عرفت بلقب « سـيدنا رأس الجالوت » وقد سماه المسلمون « سيدنا ابن داود » على اعتبار أن بيده وثيقة تثبت نسبه الممتد الى الملك داود(١٩) ٠ ويلاحظ أن بنيامين التطيلى قـد أشار فى رحلته إلى أن تلك القيادة الدينية اليهودية امتد نفوذها الى العراق ، وخراسان ، واليمن ، وبلاد ما بين النهرين ، وارمينيا ، واذربيجان ، وكذلك العنـاصر اليهودية فى سيبيريا ،

وجورجيا ، وحتى شواطىء نهر جيحون ، وحدود سمرقند والهند[٢٠] • وقد أشار الى انه فى كافة تلك البلاد لا يتم تعيين الربيين الا بمعرفة رأس الجالوت[٢١] •

وعلى الرغم من أن الرحالة الأسبانى لم يشر الى فلسطين ، والعناصر اليهودية بها ضمن مناطق نفوذ تلك القيادة الدينية اليهودية ، الا أن اشارة بتاحيا كانت واضحة فى الارتباط الوثيق بين اليهود فى مملكة بيت المقدس باخوانهم فى بغداد وتبعيتهم الروحية لهم ، ويبدو أن ذلك كان من العوامل الهامة التى أدت الى توثيق الصلات بين اليهود فى كل من الاقليمين • ومن المرجح أن ذلك كان قائما من قبل مقدم بنيامين التطيلى الى المنطقة ، ولم يتسع له المجال ليذكره فى رحلته •

ومن ناحية أخرى ، من الممكن أن نعقد مقارنة بين رحلتى بنيامين التطيلى وبتاحيا الراتسبونى على اعتبار أن كلا منهما كان يهوديا ووفد الى المنطقة وتنقل فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك فى مرحلة زمنية متقاربة ، وهكذا يمكن عقد تلك المقارنة مع تناول عناصر الاتفاق والاختلاف بين الرحلتين •

أما عناصر الاتفــاق فهى تتمثل فى أن كلا منهما سعى ما وسعه السعى نحو الاهتمام باليهود وتوزيعاتهم السكانية وأعدادهم وأنشطتهم فى المملكة الصليبية ، مع ملاحظة أن مثل تلك الزاوية جاءت متفاوتة لدى كل من الرحالتين ، حسب اختلاف اهتمام كل منهما ، وطريقة عرضه لمــا شاهد أو سمع عنه من وقائع ومرويات •

وبالنسبة لعناصر الاختلاف فى الرحلتين فهى متعددة بصورة واضحة ، منها أن بتاحيا الراتسبونى لم يكتب رحلته هو بنفسه ، بل أن من كتبها هو يهوذا الصالح ابن شمويل[٢٢] الذى رافق بتاحيا فى رحلته ، ومن ثم فقد تناول هذا الرجل ، الجوانب التى استرعت انتباهه ، لا انتباه بتاحيا نفسه ، ومن المنطقى تصور أن فى حالة كتابة بتاحيا لرحلته بنفسه ، لاختلف الموقف بصورة واضحة ، أما بنيامين التطيلى ، فقد كتب رحلته هو نفسه ، وعكست رؤيته الشخصية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ونجد ما يمكن وصفه « بشخصية » الرحالة واضحة فيما كتب ، وهو الأمر الذى نفتقده لدى رحلة بتاحيا ، وهذا الوضع جعل بيزلى يتصور أن ما وصلنا من رحلة بتاحيا ما هو الا مختارات فقط وليست الرحلة كاملة ، وهــذه المختارات بالطبع قام بوصفها يهوذا الصالح بن شمويل •

ومن مظاهر الاختلاف بين الرحلتين أن رحــلة بنيامين التطيلى احتوت على

اهتمام واضح بالجوانب الاقتصادية لا سيما التجارية والحرفية ، ودور اليهود فى هذه المجالات ، بينما لا نجد ذلك لدى بتاحيا الذى لا تتوافر فى رحلته مثل تلك الاهتمامات ، ومن الواضح أنه لم يجعل لها الصدارة ، ولم تحظ لديه الا بالقليل من التناول ، وبصورة نادرة لا تصل لمستوى رحلة سلفه ٠

ومن جهة أخرى ، فعلى الرغم من أن بنيامين التطيلى اهتم اهتماما كبيرا بالمدن الساحلية الشامية ودورها الاقتصادى ، وموقعها الاستراتيجى ، الا أن بتاحيا أغفل تلك الجوانب ، ووضح اهتمامه بمناطق داخلية مثل بيت المقدس ، وطبرية ، والجليل ، دون أن يتطرق الى المدن الواقعة على ساحل شرق البحر المتوسط ، مما قلل من القيمة العلمية لرحلته بالمقارنة برحلة الرحالة الأسبانى ٠

وبالاضافة الى ذلك ، من الواضح اختلاف كل من الرحلتين من حيث تعدد المدن التى زارها بنيامين التطيلى وقلة تلك التى زارها بتاحيا ، ولا ريب فى اتساع نطاق رحلة الأول بالمقارنة مع الآخر ، ولعل ذلك كان من عوامل ثراء رحلة بنيامين وتفاصيلها المتعددة بينما رحلة بتاحيا اتسمت بالاقتضاب ومحدوديتها بالصورة التى وصلت الينا ٠

وأخيرا ، فقد قدم بنيامين التطيلى تناولا هاما للقوى الدينية فى الجانب الاسلامى ، ومن أمثلتها تناوله لعناصر الاسماعيلية النزاوية وعلاقاتها بمملكة بيت المقدس الصليبية ، أما بتاحيا الراتسبونى فلم يقدم أية اشارات تتصل بتلك الناحية ، وأغفل ذكر أية قوى دينية بخلاف اليهود ٠

زد على ذلك ، انه من الممكن أن نعقد مقارنة بين رحلة الرحالة الروسية أيوفروزين ورحلة بتاحيا الراتسبونى ، وقد اتفق كل منهما من حيث أن شخصا آخر كتب الرحلة ، ولم يكتب بتاحيا وكذلك أيوفروزين رحلتيهما ، واذا كانت هذه تمثل نقطة الاتفاق بينهما ، الا أنّ هناك عناصر للافتراق والاختلاف ، اذ أننا على حين نعرف كاتب رحلة بتاحيا وهو يهوذا الصالح بن شموئيل ، فاننا نجهل كاتب رحلة أيوفروزين ، ومن جهة أخرى ، نجد أن أيوفروزين كانت مسيحية ، بينما بتاحيا يهودى الديانة ، ولعل هذه الناحية ــ على نحو خاص ــ تمثل نقطة الاختلاف الجوهرية بينهما ، اذا اصطبغت رحلة كل من الطرفين بتصور مختلف عن الآخر من خلال التوجه الدينى الخاص لكل منهما ٠

مجمل القول وصفوته ، أن رحلة الرحالة اليهودى الألمانى بتاحيا الراتسبونى أفادت فى القاء الضوء على توزيعات العناصر اليهودية ونشاطها فى المملكة الصليبية ، وأهم المزارات الدينية اليهودية حينذاك ٠

الهــوامش :

(١) صدرت عدة ترجمات وطبعات لرحلة بتاحيا الراتسبولى ، من خـــلال اللغات اللاتينية والألمـانية والفرنسية والانجليزية ، ومن الطبيعى ان نلاحظ اهتمام الألمـان ـ قبل غيرهم ـ برحلة بتاحيا نظرا لكونه من اليهود الألمـان ، وتجدر الاشارة الى ان أول طبعة للرحلة صدرت فى براغ prague عـام ١٥٩٥م ، وكذلك ترجمت الرحلة الى الألمـانية فى عام ١٦٨٧م ، ومن جهة اخرى تمت ترجمتها الى اللاتينيـة على يد واجنسيل Wagenseil فى نفس العام المذكور فى ستراسبورج Strasburg

اما بالنسبة لجهود الباحثين الفرنسيين حيال رحلة بتاحيا الراتسبونى فنجـد إن كارمولى Carmoly قـام بترجمتها الى الفرنسية ، ونشر عمله فى الجريدة الآسيوية ، المجلد الثامن ، الصادر فى باريس عام ١٨٣١م على مدى الصـفحات من ٢٥٧ الى ٣٠٧ ، من ٣٥٣ الى ٤١٣ ٠

حيث نجـــد النص العبرى مصـــحوبا بالترجمة الفرنسية عنها انظر :-

«Tour du Monde, Ou Vopage de Rabbi Petachia», J.A., T. VIII, Paris 1831, pp. 257—307, pp. 353—413.

كذلك صـــدرت ترجمـــة الى الانجليزية للرحلة من جـــانب كل من ٠١ بنيش ، و ـ ف اينسورث ، فى لندن عام ١٨٥٦م ٠

عنها النظـــر :

The Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon, English Trans. by A. Benisch and W.F. Ainsworth, London, 1856.

ثم صدرت طبعة اخرى للرحلة فى ليمبرج Lemberg عام ١٨٥٩م ، ثم صدرت طبعة للرحلة مترجمة الى اللغة الروسية فى بطرسبرج عام ١٨٨١م ، واشـــــار ادلر Adler الى طبعـــة اخـــرى صــــــدرت فى بيت المقـــدس على يد جرانهوت Grunhut ولكنه لم يذكر تاريخا محددا لها :

وتجدر الاشارة الى ان افضل الدراسات المتعلقة برحلة بتاحيا الراتسبونى تم عرضـــها من خـــلال اهتمام البـــاحثين الألمـــانيين رهرشت وتوبلر فى دراستيهما البيليوغرافية ، وقد اوضح كل منهما اهم الترجمات والطبعات الخاصة بالرحلة

عن ذلك النظـــر :

Tobler, Bibliographica Geographica Palaestinae, p. 19.

Ruhricht, Chronologisches verzeichniss der auf die geographie der heiligen landes bezuglichen iteratur, Von. 333, Bis. 1878, p. 40.

وايضـــا :

Wright, The geographical lore of the time of the crusades, p 266, note (2).

Adler, Jewish Travellers, London 1930, p. 64, The Universal Jewish Ency., «Petachia Moses Ben Jacob Halaban», Vol. VIII, New York 1969, p. 471

(٢) أنظر رحلة سـايولف ٠

(٣) عن بتاحيا الراتسبونى والتعريف به أنظر :

The Jewish Ency., «Bethahiah», Vol. IX, p. 656.

The Universal Jewish Ency., «Pethahiah Moses Ben Jacob Halaban», Vol. VII, New York 1969, p. 471

Beazley, The Dawn of modern geography, Vol. II, p. 264.

وراتسبون Ratisbon ، هى التسمية الانجليزية لمدينة ريجنسبرج Regensburg وهى تقع على الضفة اليمنى من نهـر الدانوب Danube ، الى الشمـال من بافاريا Bavaria على بعد ٨٥ ميلا أو ١٣٥ ك٠م شمال شرق ميونخ Munich ، وقـد كان موقع المدينة هاما على المستويين التجارى والدفاعى منذ أبكر الأزمنة ، وقـديما شيد الرومان معسكرا حربيا بها عام ٧٧م ، كما أقاموا موقعا حصينا باسم Castra Regina ، وذلك فى عام ١٧٩م ، ولا تزال البوابة الشـمالية منه قائمة الى الآن ، وقد قدمت القبائل البافارية الى المنطقة فى القرن السادس م ، وصـارت راتسـبون مركزا لدوق بافاريا ، ويقرر البعض أنها غدت فى عام ١٢٤٥م مدينـة امبراطورية حـرة ، وحققت أعظم مراحل مجدها خلال القرنين الثـانى عشر والثـالث عشرم ، وبفضل ازدهار نشاطها التجارى من المرجح أنها غدت أغنى مدينة فى الشـمال الألمـانى ٠

عن راتسبون أنظـر :

Ency. Amer. «Regensburg», U.S.A., 1985, Vol. XXIII, p. 361.

Ency. Brit., «Regensburg», London 1958, Vol. XIX, p. 69.

Lexicon Universal Ency., «Regensburg», New York 1983, Vol. XVI, p. 128.

(٤) Beazley, op. cit., p. 269.

Adler, Op. Cit., p. 63.

(٥) Petachia, p. 399.

(٦) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٧ ٠

(٧) Adler, Op. Cit., p. 64.

(٨) Beazley, Op. Cit., p. 266, note (2).

(٩) Petachia, p. 387.

(١٠) Ibid, p. 399.

(١١) Ibid, p. 399.

(١٢) Ibid, p. 391.

(١٣) Ibid, p. 393.

Kitchener, «Survey of Galilee», P.E.F., London 1878, p. 168.

وجدير بالذكر أن هليل Hillel كان ربانيا ومعلما عاش فى الرحلة الممتدة بين القرنين الأول ق٠م والأول م٠ وبالتحديد بين عامى ٧٠ ق٠م ، ١٠ م ، وقد ولد فى بابيلونيا Babp Lonia ، وعندما بلغ سن الأربعين ارتحل الى القدس من أجل طلب العلم ، وبرع فى دراسة العلوم الدينية ، وأسس تلك الأكاديمية التى حملت اسمه وعرفت ببيت هليل Bet Hillel وقد تمكن من ابتداع سبع طرق لتفسير التوراة ، وعارض أحد كبار الربانيين الآخرين ، ونعنى به شماى Shammai ، وقد أشارت المؤلفات الأدبية التى كتبها الربانيون الى تمتع هليل بمكانة كبيرة فى صفوف اليهود ، واعتبروه الزعيم الروحى لهم ٠

عنه انظر ٠

محسن العابد ، « الأناجيل بين الاسطورة والتحرر » ، مجلة المرجع ، عدد (٤) عام ١٩٨٥م ، ص٤٤ ، هامش (٤٠) ٠

Ency. Judaica, «Hillel», Vol. VIII, p. 482-486.

The Universal Jewish Ency., «Hillel», Vol. V, p. 362--363.

اما شماى Shammai ، فهو أحد كبار رجال الدين اليهود ويلقب باستمرار بالكبير Elder أو بالعبرية Hazaken ، وعاش ما بين عامى ٥٠ ق م ، ٣٠م ، وهناك من يقرر أن المرحلة المبكرة من حياته تعد مجهولة بالنسبة للباحثين ، وتأتى اهمية شماى من خلال كونه مؤسس مدرسة تلمودية نافست مدرسة هليل ، وعرف بصفة عامة بالتشدد فى تعاليمه الدينية ، ويعد أحد الزجوت Zugot والكلمة الأخيرة تعنى مدلولا محددا ، اذ أن المراحل التعليميه تم تفسيرهما الى حلقات يقوم بالتدريس فى كل واحدة اثنان (زجوت) من العلماء اليهود ، ومن المعروف أن شماى خلف فى التدريس مناحم الاسينى وهو أحد أعضاء جماعة دينية متطرفة ولقى مصرعه اثناء الصراع بين اليهود والرومان ، وبصفة عامة احتل شماى مكانة رفيعة بين كبار علماء اليهود لأمد طويل ، عنه أنظر :

Ency. Judaica, «Shammai», Vol. XIV, p. 1291.

The Universal Jewish Ency., «Shammai», Vol. IX, p 495.

(١٤) Petachia, p. 393

(١٥) Ibid, p. 391.

يوشع بن نون هو الذى تولى قيادة بنى اسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام ، وهناك سفر خاص به يحمل اسمه فى العهد القديم ألا وهو سفر يشوع ، ويمكن تقسيم حياة يشوع أو يوشع الى قسمين ، القسم الاول ويطلق عليه مرحلة الصحراء وفيها نجده بمثابة مساعد ومعين للنبى موسى عليه السلام ، أما القسم الثانى فيتمثل فى دوره فى قيادة بنى اسرائيل بعد وفاة موسى ، وفى المجال الأخير نجده يرتبط ارتباطا وثيقا باتجاههم نحو غزو أرض كنعان Canaan والاستقرار فيها ، وقد تمكن من عبور الأردن والنزول بفلسطين وتم الاستيلاء على أريحا واعقب ذلك مذبحة كبرى تم قتل كل من وجد فيها تقريبا من السكان ، ويقرر البعض أن يوشع جعل مبدأه قانون القوة فتصور أن أكثر الناس سفكا للدماء ، هو ذلك الذى يبقى على قيد الحياة ، وهناك من يقرر أن يوشع قد قسم الأرض التى استولى عليها بين الاسباط ، وتركت ست مدن قديمة على الشاطىء الأيمن والأيسر للأردن ، وذلك لتكون ملجأ للمشردين من بنى اسرائيل ، الذين يتم اتهامهم بالقتل الخطأ .

عن يوشع أنظر :

سفر يشوع من ١ : ٣ .

The Universal Jewish Ency., «Joshua», Vol. VI, pp. 202--206.

Ency. Brit., «Joshua», Vol. XIII, p. 153.

Chamber's Ency., «Joshua», Vol. VIII, p. 140.

Dictionnaire Encyclopédique quillet., «Josué», T. II Paris 1953, P. 3027.

عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، أحمد شلبى اليهودية ، ط· القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٦٩ ·

(١٦) Petachia, p. 391.

(١٧) Ibid, p. 393.

(١٨) Ibid, p. 391.

(١٩) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٣٦ ـ ص ١٣٧ ·

وعن هذا المنصب انظر : الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، ط· القاهرة ١٩٨١م ص ٢٤ ، ويقرر أن كلمة الجالوت المقصود بها الجالية ، أى الذين جلوا عن القدس أيضا ، عطيه القوصى ، « صلاح الدين واليهود » ، المجلة التاريخية المصرية م (٢٤) ، عام ١٩٧٧م ، ص ٥٢ ، هامش (٢٨) ·

(٢٠) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٣٨ ·

(٢١) نفسه ، نفس المصدر والصفحة ، والربانيون أو الربيون أو الربانور تحريف لكلمة ربانيم العبرية وتعنى الامام او الفقيه وتعود التسمية الى أن الربانير أخذوا بتفسيرات أحبار اليهود وعلمائهم التى تضمنها التلمود ، وقد انفردوا بشروح غوامض التوراه ، ويلاحظ أن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى كان قد أصدر أمرا بعودة اليهود الى بيت المقدس بعد أن استرد المسلمون المدينة عام ١١٨٧م فعاد العدد الكبير منهم وخاصة الربانيون ، عنهم أنظر :

قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، ط· القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٠٩ ـ ص ١١٠ ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ط· القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٨٢ ـ ص ٨٣ ، عطيه القوصى ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ·

(٢٢) Wright, Op. Cit., p. 118.

Beazley, Op. Cit., p. 266.

Asher, Op. Cit., p. 64.

والجدير بالذكر أن الربى يهوذا الصالح بن شمريل هذا ـ كما يقرر بيزلى ـ من راتسبون وهى مسقط رأس بتاحيا نفسه ، وكان على صلة قوية بعدد من الأطباء اليهود المشهورين فى أخريات القرن الثانى عشر م وأوائل القرن الثالث عشر م والده عهد بتاحيا بأمر كتابة رحلته ، ومع ذلك نجد أن بيزلى يخلط بين بتاحيا ويهوذا ، اذ انه يقرر أسماء لاخوة الأخير ، وفى الواقع أن تلك الأسماء تنطبق على اخوة بتاحيا نفسه ، كما هو واضح فى مقدمة النص العبرى والترجمة الفرنسية ، وكذلك فى دوائر المعارف اليهودية المتخصصة ، عن اشارة بيزلى أنظر :

Beazley, Op. Cit., p. 265, note (1).

الفصل التاسع

يوحنا فوكاس

(١١٨٥ م)

يوحنـــا فـوكاس

(حوالى عام ١١٨٥م)

تمثل رحلة الرحالة يوحنا فوكاس[١] فى انحاء مملكة بيت المقدس الصليبية ، مكانة مرموقة جديرة بها بين الرحلات التى وصلت الينا من تلك المرحلة ، وقد قـدم لنا فيها وصفا هاما للمدن الساحلية الواقعة شرق البحر المتوسط ، ولا سيما الساحل الفلسطينى ، ثم انه ايضا اهتم ببعض الجوانب الصحية التى لم يتطرق اليها الكثيرون من الرحالة السابقين ، وبالاضافة الى ذلك قدم بعض الاشارات عن عدد من القلاع فى انحــــاء المملكة الصليبية ، ونظــــرا لارتبــاط يوحنـا فوكاس بالامبراطورية البيزنطية فقــد انعكس ذلك على رحلتــه ، ولا ريب فى أن كافة تلك العنـــاصر التى احتوتها رحلته ، جعلتها تحتل مكانها اللائق بها بين تلك الرحلات •

أما بالنسبة ليوحنا فوكاس نفسه ، فلحسن الحظ أننا نعرف بعض الجوانب عن حياته وأسرته ، وذلك على خلاف بعض الرحالة الأوربيين الآخرين الذين لم يصل الينا منهم الا النذر اليسير ، كما أن رحلاتهم نفسها لم تقـدم لنـا أضــواء كاشـفة عن شخصياتهم على نحو يمكن أن يفيد فى ادراك الجوانب الشخصية لأولئك الرحالة •

والواقع ان يوحنا فوكاس ولد فى جزيرة كريت Crete ، ووالده هو ماثيــو Mathiew ، وقد عمل الاخير فى السلك الديرانى حتى وصل الى درجة عالية فيه وأدركته منيته فى جزيرة باتموس Patmos [٢] ، وعنـدما شب عن الطـوق عمل فوكاس فى جيش الامبراطورية البيزنطية وذلك فى عهد الامبراطور مانويل كومنين Manuel Commenus (١١٤٥م ـ ١١٨٠م)[٣] وقد تزوج وأنجب ولدا ، وانخرط فى السلك الديرانى ولا نزاع انه فى ذلك الاتجاه أراد ان يقتفى أثر والده ، وقــد انعكس الجانب الدينى فى شخصيته من خلال حرصه الواضح على تناول الكنائس والأديرة المتناثرة فى كافة أنحاء المملكة الصليبية ، كذلك انعكس ارتباطه بالامبراطورية البيزنطية من خلال مديحه للامبراطور مانويل كومنين •

وبالنسبة لتحديد تاريخ القيام بالرحلة ، نجد أن ميلر فى ترجمته للرحلة الى اللاتينية يقرر أن يوحنا فوكاس قام برحلته الى الأرض المقدسة عام ١١٧٧م(٤) ، بينما اتجه فريق آخر الى القول بان ذلك حدث عام ١١٨٥م . وقد مثل الفريق الأخير عدد من الباحثين مثل توبلر والاتيوس وبيزلى ونقولا زيادة(٥) ، وقد ذكر الاتيوس أنه وجد ذلك التاريخ مكتوبا على بعض النسخ المخطوطة للرحلة ومعه معلومات أخرى عن مؤلفها(٦) ، ومن الممكن الأخذ بذلك التاريخ الأخير الذى أخذ به عدد من الدارسين .

وهكذا ، فان أهمية رحلة يوحنا فوكاس تأتى أيضا من خلال التوقيت المرجح ان الرحلة تمت خلاله . فقد قام برحلته قبل حوالى عامين فقط من معركة حطين عام ١١٨٧م(٧) ، والتى أدت الى الحاق الهزيمة العسكرية الفادحة بالملكة الصليبية ودخول المسلمين تحت قيادة الناصر صلاح الدين الأيوبى المدينة المقدسة مظفرين .

وقد قام ذلك الرحالة برحلته الى المملكة فى وقت متقارب مع رحلة رحالة أندلسى مسلم ونعنى به ابن جبير(٨) ، الذى قام برحلته فى ربوع الشام ومر بالمناطق الخاضعة للسيادة السياسية الصليبية ، ومن ثم أمكن الاستفادة من رحلة الأخير فى مقارنتها برحلة يوحنا فوكاس .

ومع ذلك ، ينبغى أن نلاحظ أن هناك اختلافا وفارقا بين الرحلتين ، فابن جبير تتسم رحلته بثرائها وتفصيلاتها على كافة الأصعدة والمستويات الاقتصادية والسياسية والعقائدية والاجتماعية ، بينما رحلة يوحنا فوكاس تفوقت فيها الناحية الدينية على ما عداها من اهتمامات ولم يعمل مؤلفها على ايراد تفصيلات تتعلق بتلك الجوانب التى اهتم بها ذلك الرحالة المسلم .

وبصفة عامة ، تقدم رحلة يوحنا فوكاس صورة لمملكة بيت المقدس الصليبية قبل اسقاطها على أيدى المسلمين عام ١١٨٧م ، وذلك من خلال عرض عام فى شكل دليل للحجاج القادمين لزيارة الاماكن والمواقع المقدسة ، وقد أفادت رحلته فيما يتصل بناحيتين الأولى ما تعلق بالجانب الدينى خاصة الكنائس والأديرة التى تناثرت فى كافة أنحاء المملكة ، وقد قدم تناولا هاما لأهم الأديرة وما احتوته من رهبان انقطعوا للعبادة ، أما الناحية الأخرى فهى تتصل بما ورد فى الرحلة من تناول

للنشاط الاقتصادى ، والكثافات السكانية ، خاصة عند تناوله للمدن الواقعة على الساحل الشامى (*)

أما فيما يختص بالأماكن المسيحية المقدسة ووصف يوحنا فوكاس لها ، فلم يخرج الأمر عن وصف غيره من الرحالة الاوربيين السابقين مثل سايولف Saewulf (٩) ودانيال Daniel (١٠) ، ويوحنا الورزبرجى (١١) John of Wurzburg وغيرهم ، ويلاحظ أنه هو نفسه قرر ذلك اذ أنه عندما تناول كنيسة الضريح المقدس نجده يقرر أن مظهرها وأوصافها تناولها كتاب سابقون آخرون مما يدل على أنه كان على علم بما ألفه السابقون عليه فى هذا الصدد ، وأنه لن يقدم جديدا عما هو معروف ومتفق عليه ٠

وقد تناول يوحنا فوكاس أحد الاديرة الهامة فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius (١٢) ، وقد احيط بصورة دائرية بالعديد من الأبراج ، وفى وسطه نجد كنيسة شيدت على أرض مرتفعة ، وبها توجد مقبرة القديس ثيودوسيوس كذلك تحتوى على العديد من رفات كبار القديسين ويبدو أن موضع دفن أولئك القديسين كان مجالا متسعا للتبرك من جانب آلاف الحجاج الذين يقدمون لزيارة الأماكن المقدسة ٠

وزد على ذلك هناك دير القديس ايوثيميوس الكبير St. Euthymius The Great (١٣) والدير كما يقرر يوحنا فوكاس محصن بعدد من الأبراج والحوائط الكبيرة ، وفى وسطه شيدت كنيسة ذات سطح دائرى ، وبها مقبرة القديس ايوثيميوس الكبير(١٤) ٠

وبالاضافة الى ذلك ، هناك دير كالامون Calamon ، وهو مزود بعدد من الأبراج ، وشيدت كنيسة فى وسطه ، ويقال انها أقيمت فى عهد الحواريين ، فهى تعد من اقدم الكنائس ، وبها صورة للسيد المسيح بين ذراعى مريم العذراء ، والصورة كما يقال ملونة بيد القديس لوقا St Luke (١٥) ، مما أعطاها — ولا ريب — مكانة سامية فى نفوس الحجاج المسيحيين الوافدين على المملكة الصليبية ٠ كذلك اشار ذلك الرحالة الى عدد من الأديرة الأخرى التى احتوت على العديد من الرهبان ،

ومن امثلتها Abbot's Monastrp (١٦) ، وايضا دير النبى الياس Elias (١٧) ، ودير القـديس خاريتوس أو خاريسـتون St. Charitos أو Chariston (١٨) ، ومن الأديرة الهامة التى وجدها ذلك الرحالة دير الرهبان الأسـبان ، والذى حدد موقعه بأنه فى الجهة اليمنى من مدينة بيت المقدس باتجاه برج داود Tower of David (١٩)، ومن ناحية أخرى أشار الى الأديرة الثلاثة التى شيدت فوق جبل تابور Thabor وهى : (٢٠) ،
Monastry of Furerunner, Monastry of Calamen, Monastry of St. Gerasimus
وبصفة عامة يمكن القول ان العديد من الرهبان من جنسـيات متعـددة اقاموا فى الأديرة المتناثرة فى أنحاء المملكة ٠

أما تناوله للساحل الشامى وكذلك المناطق القريبة منه ، فذلك مثل أهميـــة واضحة فى رحلته ، وانفرد فى هذا الصدد بذكر اشارات لم ترد لدى أى من الرحالة الأوربيين السابقين والذين زاروا المنطقة فى عهد السيادة الصليبية هناك ، ويرجع ذلك فى تصورى الى دقة ملاحظة ذلك الرحالة وقدرته على ادراك ما لم يدركه غيره ، ومن الطبيعى تصور أنه قام بزيارة تلك المناطق بالفعل ولم يعتمد على روايات غيره من المعاصرين ، ولا ريب فى أن ذلك أعانه على ادراك تلك الجوانب ٠

وبالنسبة لانطاكية Antioch مثلا نجده يصفها بأنها المدينة الالهية ، الواقعة على نهر الاورنت Orontes أو العاصى ، ذات المسارح المتسعة ، والمعابد الضخمة ، والأعمدة الجميلة ، وذات السكان الموفورى العدد ، والثروات الطائلة ٠ ويقرر فى اشارة هامة تفيد تميزها انها فى الأغلب تتفوق على كافة مدن الشرق ٠ وأشـــار أيضا الى أن تلك المدينة كانت تتمتع بنظام دقيق كفل لها توصـيل المياه عبر العـديد من القنوات الى كافة المنازل المقامة بها(٢١) ٠

أما بيروت Berytus ، فهى عنده مدينة كبيرة وعامرة بالسكان ولها مرفأ جيد وهناك برجان كبيران يتصلان بسلسلة يمكن من خلالها التحكم فى عبور السـفن ، ومن الواضح من خلال اشارته أن بيروت تمتعت بالازدهار التجارى الواضح(٢٢) ٠

وقد ذكر فوكاس جبل لبنان ووصفه بالجمال وكذلك ثرائه بأشجار الفاكهة من كافة الأنواع(٢٣) ، وأشار الى أن الجانب الذى يطل على البحر يحوى الســكان المسيحيين ، بينما سكن المسلمون الجانب الذى يطل على دمشق وبلاد الغرب ، ثم انه أشار الى الأنهار التى تخترق جبل لبنان وان منها ما يصب فى البحر(٢٤) ٠

ومن الطبيعى أن ندرك أن فوكاس كان يقصد بعناصر المسيحيين الذين يسكنون قسما من جبل لبنان خاصة الذى يطل على البحر - عناصر الموارنة الذين عاشوا هناك من قبل مقدم الصليبيين ، أما المسلمون فهم على الأرجح كانوا عناصر الاسماعيلية أو الدروز ·

وعن تناوله لمدينه طرابلس Tripolis يشير الى ارتفاع أسوارها وجمال مبانيها(٢٥) ، ويوضح أن عناصر الحشاشين لديهم قلاعهم فى تلك المنطقة وأنهم يسببون الذعر للسكان ويطيعون شيخهم طاعة مطلقة(٢٦) ، ومن الملاحظ أن حجم اشارته عنهم جاءت مقتضبة ، اذا ما قورنت بما أورده من قبل الرحالة الأسبانى اليهودى بنيامين التطيلى Benjamin of Tudela ، فالأخير تناول مواقفهم بصورة أكثر دقة وذكر علاقاتهم العدائية ، سواء مع المسلمين أو الصليبيين ، على نحو جعله يتفوق على رواية يوحنا فوكاس السابقة ·

كذلك فانه يصف صيدا Sidon وذكر أنها ذات ميناء مزدوج ، ومن بعدها يشير الى حصن سرافتا Saraphtha ، أو سربتا Sarepta أو صرفند Surafend (٢٧) ، ويبدو أنها مثلت مركزا دفاعيا هاما فى الجنوب اللبنانى ·

أما صور Tyre ، فانه يذكر أنها تتفوق بجمالها على كل مدن فينيقيا ، وقد بنيت شأنها فى ذلك شأن طرابلس على شبه جزيرة مشابهة لها(٢٨) ، ولكنها بنيت على مساحة بالغة الاتساع ، وهى ذات مبان جميلة ورائعة تفوق طرابلس ·

وهنا نلاحظ ، أن يوحنا فوكاس لم يكتف بتناول كل مدينة من المدن الساحلية على حدة بل أنه عمل على أن يعقد مقارنة بينها ، ويبدو أن الازدهار العام الذى شهدته تلك المدن خاصة من خلال النشاط التجارى ، قد جعل عقد المقارنة بينها أمرا مألوفا ومنطقيا أيضا ·

أما وصفه لمدينة عكا ، والتى يذكرها على أنها بتوليميس Ptolemais أو عكا Acco ، فيعد بحق من أهم ما ورد فى رحلته من اشارات تتصل بالمدن الشامية الساحلية الخاضعة للسيادة الصليبية وذلك من عدة أوجه :

أولا - أشار الى الكثافة السكانية المرتفعة بها وأن ذلك مما يسترعى الانتباه(٢٩)، وهو فى ذلك يتفق مع ما أورده الرحالة المسلم الأندلسى ابن جبير عندما ذكر

ما نصه : « سككها (أى مدينة عكا) وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطىء الأقدام »[٣٠] ، ولا ريب فى أن تلك الزيادة السكانية قد حدثت من خلال موقع المدينة الساحلى ودورها فى حركة التجارة وكثرة المشتغلين بأعمال الصادرات والواردات واستقرار الكثيرين فى ذلك الميناء الحيوى نظرا للعائد المرتفع نسبيا المتوقع الحصول عليه حينذاك ومن المتصور أن تلك الزيادة السكانية ارتفعت أكثر بعد سقوط بيت المقدس فى قبضة المسلمين وانتقال المملكة الى عكا حيث صارت مركزا لها ٠

ثانيا ــ تناول فوكاس فى رحلته دور عكا فى حركة التجارة وازدهارها فى ذلك الجانب ، وقد ذكر أنها تستقبل كافة السفن التجارية وكذلك بها كافة الحجاج الذين يقومون بالحج سواء بالبحر أو بالبر[٣١] ، ونجد أن ابن جبير هو الآخر يقدم وصفا هاما يوضح لنا البعد التجارى لعكا ، اذ يقول ما نصه « هى قاعدة مدن الأفرنج بالشام ٠ ومحط الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، مرفأ كل سفينة والمشبهة فى عظمتها بالقسطنطينية ، مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق[٣٢] ٠

ويلاحظ أن ازدهار حركة التجارة فى عكا لم يكن فقط من خلال حركة الصادرات والواردات التى قام بها التجار لسد احتياجات الكيان الصليبى ، بل انها مثلت منفذا تجاريا هاما للمدن الشامية الداخلية التى لم تطل على ساحل البحر المتوسط مثل دمشق وغيرها ، ولا ريب فى أن ذلك زاد من النشاط التجارى لذلك الميناء الحيوى الهام ، فاذا أضفنا الى ذلك وجود مراكز للتجار الايطاليين مثل البيازنة ، والبنادقة ، والجنوية للاشراف على نشاطهم التجارى فى الميناء أدركنا حجم التعاملات التجاريه الكبيرة هناك ٠

ثالثا ــ نجد أن ذلك الرحالة يشير الى أن مدينة عكا تحوى ألوانا من الفساد والتحلل الخلقى الناجم عن تدفق أعداد متزايدة من الغرباء وأن ذلك صاحبه انتشار العديد من الأمراض والأدواء ، مما أدى الى تعدد صور الردى[٣٣] بها ، وربما كان هذا النص الذى قدمه لنا ذلك الرحالة يوضح ويفسر النص المقتضب الذى قدمه لنا ابن جبير فى رحلته وذكر عن عكا أنها «زفرة قذرة، مملوءة كلها رجسا وعذرا»[٣٤]، وهكذا فان الرحالة المسيحى وكذلك الرحالة المسلم اتفقا على حقيقة واحدة ونعنى بها تفشى التحلل الخلقى فى المدينة المذكورة ، ومرجع ذلك بالطبع الى كثرة عدد الأجانب والغرباء وتدفقهم على المدينة ، وكذلك وجود عدد كبير من الفاسقات اللائى اشتهرت مراكزهن فى المدينة ومن المنطقى تزايد أعدادهن من خلال التفسخ الخلقى

الذى يواكب المجتمعات المحاربة التى يفنى فيها الرجال وتبقى النساء أرامل بعد وفاة أزواجهن على نحو يفتح الطريق أمام الرذيلة ، ويصدق ذلك بالطبع على المجتمع الصليبى فى عكا ، ومن جهة أخرى نجد أن رواية يوحنا فوكاس تفوق رواية ابن جبير من حيث تناوله لكثرة حالات الوفيات فى عكا بسبب اختلاط أقوام متعددة ، وأجناس متباينة ، ويبدو أن العوامل التى أدت الى ذلك عدم وجود وسائل فعالة وناجعة للحجر الصحى بالصورة الدقيقة حينذاك ٠

ومن الواضح أن تلك الناحيـة التى أثارها فوكاس بشـأن التحلل الخلقى ، وانتشاره فى تلك المدينة الساحلية قـد صاحبها حتى سقوطهـا فى أيدى المماليك عام ١٢٩١م ، مما يدعم التصور بأن عكا سقطت من الداخل قبل أن تسقط على أيدى داويه الاسـلام ٠

وبالاضافة الى ذلك ، فان فوكاس يقدم عرضا لبعض المدن الهامة الأخرى ، ومثال ذلك تناوله لصفورية Semphori (٣٥) ، التى هى فى معظمها غير مأهولة . وليس لها حتى بقية من ازدهارها السابق ، ويصف مدينة كنا Cana وهى من مدن الجليل بأنها مكان محصن صغير الغاية(٣٦) ، كذلك تنـاول مدينـة نابلس وذكر أهميتها لعناصر السامرة(٣٧) وهم من الفرق اليهودية الرئيسية ٠

وتوجد ناحية هامة ميزت رحلة يوحنا فوكاس عن غيرها من رحلات الرحالة الأوربيين ، ونعنى به ارتباطاته بالامبراطورية البيزنطية ، فمن المعروف أنه عمـل فى الجيش البيزنطى فى عهد الامبراطور مانويل كومنين ، ويبدو أنه كان يقـدر ذلك الامبراطور تقديرا كبيرا ، وهذا يتضح لنا من خلال مطالعة نصوص رحلته ، اذ أنه يصفه بأنه الامبراطور المجيد Glorius Emperor (٣٨) ، ويلاحظ أنه عند وصفه لكنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre يشير الى النقش الوجود هناك والذى يصف الامبراطور مانويل كومنين بأنه Porphyrogenitus (٣٩) أى المولود فى العباءة الأرجوانية ٠

والواقع أن هذا النقش له دلالته التاريخية الهامة خاصة فيما يتصل بالعلاقات اللاتينية ـ البيزنطية(٤٠) ، ومن ثم يتطلب الأمر عرض تطور تلك العلاقات حتى عهـد الامبراطور البيزنطى المذكور ٠

فمن المعروف أن الامبراطورية البيزنطية عملت على أن تعقد معاهـدة تنظم علاقاتها مع الأمراء الصليبيين ، الذين قدموا خلال الحملة الصليبية الأولى ، وعرفت تلك الاتفاقية باسم اتفاقية القسطنطينية التى وقعت عام ١٠٩٧م(٤١) ، وقد تعهـدوا فيها بأن يعيدوا للامبراطورية الأملاك التى ضاعت منها من جراء التوسع السلجوقى فى المنطقة وبالطبع فان أنطاكية Antioch كانت تمثل جانبـا أساسيا من تلك الممتلكات ، وفى مقابل ذلك تعهد الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠ ـ ١١١٨م) بتقـديم الدعم العسـكرى البرى والبحـرى للصليبيين وكذلك امدادهم بالمؤن اللازمة والأدلاء المرشدين ٠

غير أنه بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى فى تحقيق أهدافها باقامة امارات لاتينية فى أنطاكية والرها وبيت المقدس وطرابلس ، لم ينفذ الصليبيون تعهداتهم التى قطعوها على أنفسهم ، ووجد فى السياسة البيزنطية ما عرف بالمشكلة الأنطاكية وهى تعنى سعى بيزنطة الفعال من أجل فرض هيبتها وسيادتها على أنطاكية وذلك بكافة الوسائل السياسية الممكنة ٠

ولا ريب فى أن قيام الامارة النورمانيـة فى أنطاكيـة كان مصـدر ازعاج للامبراطورية البيزنطية وذلك بسبب مطامع قياداتها من الأمراء الصليبيين مثل بوهيمند وتاكنرد ٠

وقـد لعب الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين دورا بارزا من أجـل تأكيـد السيادة البيزنطية على أنطـاكية ، ويلاحظ أنه فى عـام ١١٥٨م قـام بغـزو كيليكيا Cilicia وعامل رينو الشـاتونى Renauld de Chatillon أمير أنطاكية على نحو مهين وقاس وأجبره على الخضوع له(٤٢) ٠

ومن ناحية أخرى ، دخل مانويل كومنين أنطـاكية فى أبريل عـام ١١٥٩م فى موكب مهيب ، ومعه كافة الأشعرة الامبراطورية ، ومن خلفه الملك الصليبى بلدوين الثالث Baldwin III (٤٣) ورينو الشاتيونى ، وقد مثل اخضاع أمير أنطاكية ودخولها من جانب مانويل علامة انتصار بارزة للسياسة الخارجية البيزنطية تجاه اللاتين ، وكان ذلك نتاج ما يزيد على الستين عاما من الجهد والنضال(٤٤) ٠

ويوجد فى كنيسة الضريح المقدس فى بيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنبا الى جنب مع اسم الملك الصليبى عمورى الأول Amaury I (١١٦٢ ـ ١١٧٣)

وهـــو ذلك النقش الذى رآه فوكاس وذكر ان مانـويل وصـف فيـــه بأنـــه Porphyrogenitus ، ويقع خـلاف بين المؤرخين فى تحليل دلالات ذلك النقش وهل يعنى أن الامبراطورية البيزنطية كان لهـا نوع من السـيادة السـياسية على المملكة والامـارات الصليبية أم لا ، والمـرجح أن النقش المـذكور ، دل على انجـاز تلك الامبراطورية فى ذلك المجال ، وأن مجهودات مانويل كومنين نجم عنها دعم النفوذ الامبراطورى على الوجـود الصليبى فى بـلاد الشـام ، مع ملاحظـة أن كافة تلك المجهودات الامبراطورية لم تستطع أن تحل المشكلة الأنطاكية ، التى كان حلها على أيدى قوة عسكرية وسياسية أخرى ، ونعنى بها المماليك البحرية بقيادة الظاهـر بيبرس عندما أسقط امارة أنطاكية عام ١٢٦٨م ٠

وهكذا أفادت رحلة يوحنا فوكاس فى القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس قبل سقوطها فى أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م من خلال أوجه متعددة ٠

الهــوامش :

(١) من المقرر أن رحلة يوحنا فوكاس Joannes Phocas عنوانها الأصــــلى هــــو :

Descriptio Terrae Sanctae

وتوجد فى الباترولوجيا اليونانية :

Migne, P.G. T. C XXX III, 997—1063.

وكذلك فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ، المؤرخين اليونانيين ، الجزء الأول ، ط· باريس ١٨٧٥م ، من ص ٥٢٧ الى ص ٥٥٩ ، وفى الجــزء الثــانى من ص ٦٨٣ الى ٦٩٥ ·

وفيها نجد النص اليونانى مصحوبا بالترجمة اللاتينية وقد قام بالترجمــــة ميلر Miller ·

عن ذلك انظــر :

Joannes Phocas, R.H.C., Hist. Grec. T. I, Paris 1875, PP. 527—559, T. II, PP 683—695.

وفى هذا المجــال انظــر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Lanses Bezuhlichen Literatur Von 333 Bis 1878. P. 41.

أيضــــا :

Downey. A History of Antioch in Syria, from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961, P. 674.

ثم قام أوبرى ستيوارت Aubery Stewart ـ وهو الذى قام بترجمــــة عدد كبير من رحلات الرحالة الأوربيين فى انحاء فلسطين على مدى القرنين الثــانى عشر والثالث عشر م ـ قام بترجمة رحلة يوحنا فوكاس الى الانجليزية وذلك ضــمن مجموعة .P.P.T.S ، فى الجزء الخامس الصادر فى لندن عام ١٨٩٦م ، وعلى الرغم من ذلك فان داونى Dawney فى عمله السابق عن تاريخ انطاكية قد اشار الى أن النشر والترجمة التى قام بها أوبرى ستيوارت جاءت ناقصة وأن الرحلة لم تكن مكتملة فيه ، وذلك دون أن يقدم البراهين الدالة على صحة تصوره ·

عن جهد ستيوارت انظــر :

Joannes Phocas, A Brief description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London, 1896.

Tobler, Bibliographica geographica Palaestinae, p. 21.

(٢) Leo Aliatius, p 17.

Tobler, Op. Cit., P. 21.

Beazley, Vol. II, P. 199.

(٣) Leo Allatius, P. IV.

وتجدر الاشارة الى أن الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين قد حكم فى المـد من ١١٤٥ الى ١١٨٠م ، وذلك اعتمـادا على دراسـة العملة البيزنطية ، عن ذا انظـر :

Witting, Monnaies Pyzantines, Paris 1975, P. 181.

ومن قبل اعتقد سعيد عمران ، وعمر كمال توفيق ، وعبد القادر اليوسف أ مدة حكم ذلك الامبراطور وقعت بين عامى ١١٤٣ ، ١١٨٠م انظر اشاراتهم :

سعيد عمران ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطو مانـويل الأول ، ط· الاسـكندرية ١٩٨٥م ، ص ٩٩ ، عمـر كمـال توفيق ، تاريـ الامبراطورية البيزنطية ، ط· الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٥ ، عبد القاد اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ط· بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٤٨ ·

(٤) عن ذلك انظر اشارة داونى :

Dawnev, op. cit. P. 674.

(٥) Tobler, Op. Cit., P. 21.

Leo Allatius, P. IV.

Beazley, Vol. II, P.

نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى ، ص ٨٨ ·

(٦) Leo Allatius, P. IV.

(٧) عن معركة حطين انظر :

ابن شـداد ، النوادر السلطانية والمحـاسن اليوسـفية ، تحقيق الشـيال ، ط· القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٥ ـ ص ٧٩ ، العماد الأصفهانى ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ط· القاهرة ، ص ٨١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٩ ، ص ١٧٩ ·

Richard, «La bataille de Hattin, Saladin defait l'Occident», L'Histoire, T. XLVII, Année 1982, PP. 104 -111, «An Account of The battle of Hattin referring to The Frankish mercenaries in Oriental Moslem States», Speculum,

T. XXXII, PP. 168—175, Lane-Poole, Saladin and The fall of The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1898, PP. 205—210.

Fuller, Decisive battles of Western Europe and their influences upon History, London 1954, P. 427.

Eggemberger, Dictionary of battles, London, p. 430.

ديفيد جاكسون ، « معركة حطين والاستيلاء على القدس » ، ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد ، ط· القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٨٦ ــ ص ١١٠، جوزيف نسيم يوسف ، « معركة حطين ، خلفياتها ودلالاتها » عالم الفكر ، م (٢٠) ، العدد (١) ، ابريل ــ مايو ــ يونيو ١٩٨٩م ، ص ٢٣٢ ــ ص ٢٥١ ، محمود رزق محمود ، العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى موقعة حطين ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ــ كلية الآداب ــ جامعة عين شمس ١٩٧٣م ، ص ١٥٥ ، ص ١٩٦٠ م ، ص ١٠٥ ، جوزيف داهموس ، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ، ت· محمد فتحى الشاعر ، ط· القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٠٣ ــ ص ١٣١ ·

أمين توفيق الطيبى ، « وقعتا حطين والارك نصران متوازيان على الغزاة الصليبيين فى المشرق والمغرب » مجلة البحوث التاريخية ، السنة (١٠) ، العدد (١) يناير ١٩٨٨م ، ص ٥١ ــ ص ٦٤ ·

(٨) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلنسى ، ولد فى بلنسيه ، وتلقى علومه الدينية بها ، وقد حقق شهرة كبيرة بوصفه أديبا وشاعرا ورحاله وسافر الى الشرق ثلاث مرات قام بتأدية فريضة الحج فى كل رحلة ، وبدأ أول ترحاله عام ٥٧٩ هـ /١١٨٣م وعاد ادراجه الى موطنه وذلك فى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ، ثم سيطر المسلمون بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى على مدينة بيت المقدس فى أعقاب معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، الأمر الذى دفعه الى القيام بالترحال مرة أخرى الى بلاد الشام ، وبالفعل قام بالاتجاه الى الشرق وذلك فى عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م وانتهى منها فى عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، ويقرر البعض أن زوجته قد توفيت وكان يحبها حبا عارما وأراد أن يسرى عن نفسه فلم يجد أفضل من السفر والارتحال مرة أخرى ، ومكث فى مكة بعض الوقت ثم غادرها الى بيت المقدس والقاهرة والاسكندرية حيث أدركته منيته فى المدينة الأخيرة عام ٦١٤هـ/١٢١٧م ، ويلاحظ أن ابن جبير لم يترك لنا الا ما كتبه عن رحلته الأولى ، وقد صدرت رحلته بتحقيق رايت Wright وذلك فى لندن عام ١٨٨٢م ·

عن ترجمة ابن جبير انظر المؤلفات التالية :

لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ط· مصر ، ص ٢٣ ،

المقرى ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ٣ ، ط· القاهرة ١٩٤٩م

ص١٤٣ ، ابن الصابونى ، تكملة الاكمال ، تحقيق مصطفى جواد ، ط· بغداد ١٩٥٧م ، ص ١٩٩ ، حاشية (٢) ، كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى ، ت· صلاح الدين عثمان ، ق١ ، ط· القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٢٩٨ ، صلاح الدين المنجد، الشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين ، ط· القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨ ، ص ١٩ ، عبد القدوس الأنصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ، ط· القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٢١ ـ ص ٣٦ ، لامنس ، « بلاد سوريا فى القرن الثانى عشر وفقا لرواية ابن جبير » · المشرق ، العدد (٧) ، السنة (١٠) عام ١٩٠٣ ، ص ٣٨٧ ، شوقى ضيف ، الرحلات، ط· القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٣٠ ـ ص ٧١ ، زكى حسن ، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ط· القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٧٠ ـ ص ٧٤ ، عبد الفتاح وهيبة ، جغرافية العرب فى العصور الوسطى ، ط· القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨ ـ ص ١٩ ، براون ، تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ، ت· الشواربى ، ط· القاهرة ١٩٥٤م ، ص ٦١٤ ، احمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ط· جدة ب ـ ت ، ص ٣٢٣ ، سامى الدهان ، قدماء ومعاصرون ، ط· القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٢٠ ـ ص ١٣١ ، مؤنس احمد عوض « الصراع السنى ـ الشيعى فى بلاد الشام فى القرن السادس هـ/الثانى عشر م من خلال رحلة ابن جبير » ، ندوة العرب وآسيا ، جامعة القاهرة ابريل ١٩٨٩م ، ص ١٢ ـ ص ١٣ ·

(٩) انظر رحلة سايولف ·

(١٠) انظر رحلة دانيال ·

(١١) انظر رحلة يوحنا الورزبرجى ·

(١٢) Joannes Phocas, P. 24.

وفيما يتصل بالقديس ثيودوسيوس St. Theodosius تجدر الاشارة الى انه ولد فى كبادوكيا Cappadocia وذلك فى عام ٤٢٣م ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره غادر موطنه واستقر فى فلسطين ، وقد كون جماعة ديرانية صغيرة وذلك بالقرب من بيت لحم ، وطبقت شهرتها الآفاق على نحو واضح ، وتكون رهبانها من شعوب مختلفة تتحدث بلغات متعددة ، واتجهت تلك الجماعة الى القيام بعدة اعمال خيرية كان من ابرزها معالجة المرضى والعمل على توفير سبل الشفاء لهم ، وفى الوقت الذى كان فيه القديس ساباس St. Sabbas رئيسا لكافة الرهبان فى فلسطين، كان القديس ثيودوسيوس على رأس أولئك الرهبان الذين اخلصوا لفكرة الحياة الديرانية ، ومثل ثيودسيوس معارضا قويا لعناصر المنافزة وهم القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وقد ادى ذلك الى تنحيته عن منصبه لمدة قصيرة على يد الامبراطور اناستاسيوس Anastasius ، ويلاحظ ان ذلك القديس توفى بالقرب من بيت لحم عام ٥٢٩م ، عن عمر يناهز المائة ، وقد تقرر ان يكون عيده يوافق يوم الحادى عشر من يناير ·

علـه انظـر :

Attwater, Penguin Dictionary of Saints, P. 323.

(١٣) Joannes Phocas, P. 25.

القديس ايوثيميوس الكبير St. Euthymius The Great ، ولد حوالى عام ٣٧٧م فى ميليتين Melitene ومسقط رأسه فى أرمينيا Armenia وهناك صار راهبا وأصبح مشرفا على مؤسسة ديرانية ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره اتجه الى فلسطين حيث عاش حياة منفردة فى أماكن متعددة وفى المعتاد فضل سكن أحد الكهوف وأخيرا استقر فى احدى المنافذ الواقعة بين بيت المقدس وجرش وجمع حوله العديد من الأتباع واستطاع أن يؤثر فيهم بأفكاره فى الزهد والتقشف ، ويعد يوثيميوس الكبير أحد أهم الرهبان الفلسطينيين فى تلك المرحلة المبكرة ، وقد كان موضع استشارة الامبراطورة ايودوكيا Eudokia زوج الامبراطور ثيودوسيوس الثانى Theodosius II ، وقد توفى ذلك القديس فى فلسطين فى عام ٤٧٣م ، ويوم الاحتفال بعيده يوافق العشرين من يناير .

عنـه انظـر :

Attwater, Op. Cit P. 124—125.

(١٤) Joannes Phocas, P 25.

(١٥) Ibid, P. 30.

(١٦) Ibid, P. 33.

(١٧) Ibid, P. 31.

ويشير يوحنا فوكاس الى أن ذلك الدير قد شيده اناس أتقياء فى عصـــور غابرة ، وأن الزلازل التى نكبت بها بلاد الشام قد دمرت ذلك الدير ، مما يدل على أن تلك الكوارث الطبيعية المدمرة قد اثرت تاثيرا ضارا على تلك الأديرة فى أنحـاء المملكة الصليبية ، وان كنا لا نعلم عما اذا كان ذلك من جراء أحد الزلازل خـــلال القرن الثانى عشر م أم أنه من قبل ذلك .

(١٨) Ibid, P. 34.

(١٩) Ibid, P. 30.

(٢٠) Ibid. P. 29.

وقد ولد القديس جيراسيموس St. Gerasimus فى ليكيا Lycia بآسـيا الصغرى Asia Minor ، وغادر موطنه من أجل القيام بزيارة رهبان الصحراء فى كل من مصر وفلسطين ، واستقرت عصا التسيار به بالقرب من البحر الميت ، وتوطدت عرى الصداقة بينه وبين القـديس ايوثيميوس الكبير Euthymius The Great ، وأدى ذلك الى اثارة العديد من المصاعب والأزمات تجاههما من جانب خصومهما ،

وعمل القديس جراسيموس على أن يؤسس جماعة ديرانية تاخذ باسباب الزهد والتقشف ، ويلاحظ أن يوحنا موسكوس John Moschus (ت عام ٦١٩م) ألف كتاب أسماه المرج الروحي The Spiritual Meadow قدم فيه رواية مطولة عن القديس جيراسيموس ودوره في نشر حركة الرهبنة في فلسطين ولا سيما في منطقة البحر الميت ، وقد توفي في فلسطين عام ٤٧٥م ، ويوم عيده يوافق الخامس من شهر مارس ٠

عنه انظر :

Attwater, Op. Cit., P. 150—151.

(٢١) Joannes Phocas. P. 6.

(٢٢) Ibid, P. 9.

(٢٣) Ibid, P.

ويذكر ابن جبير رواية متشابهة ، انظر : الرحلة ، ص ٢٦ ٠

(٢٤) Ibid, P.

Kimble, Geography in The Middle Ages, London 1938, P. 70.

(٢٥) Joannes Phocas. P. 9.

(٢٦) Ibid, P. 9.

(٢٧) Ibid. P. 9, P. 10.

صرفند ، وقعت على الساحل اللبناني الى الجنوب من عثليث وهى تقع الى الجنوب من صيدا والى الشمال من صور وجنوب غرب جزين ٠

عنها انظر :

Fulcher of Chartres, P. 114.

الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٦٦ ، ابن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، جـ٢ ، ص ٨٣٨ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ٧/ ق١ ، ص ٦٠٤ ٠

(٢٨) Joannes Phocas. P. 10.

Beazley, Vol. II, P. 200—201.

وتجدر الاشارة الى أن رواية ابن جبير عن صور تتفوق على مثيلتها لدى يوحنا فوكاس من حيث تناوله لحصانتها ومناعتها ، انظر ، الرحلة ، ص ٢٧٧ ـ ص ٢٧٨ ،

وعن حصانتها انظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط· ليدن ١٩٦٧م ، ص ١٧٤ ، المقدسى ، احسن التقاسيم ، ص ١٦٣ — ص ١٦٤ ، ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ط· بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢١٧ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٧٥ ، سر الختم عثمان ، صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، ص ٤ — ص ٧ ، محسن محمد حسين ، « مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور » ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) الكويت ١٩٨٧م ، ص ٣٢ ·

(٢٩) Joannes Phocas, P. 11.

(٣٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ ·

وعن الجوانب السكانية فى المدن الصليبية بصفة عامة أنظر :

Russel, «The Population of the Crusader States», in Setton, The Crusades, Vol. V, Madison 1985, PP. 295—314.

(٣١) Joannes Phocas, P. 11.

Beazley, Vol. II, P. 201.

(٣٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ ، وهذا يتفق مع اشارة الادريسى الذى ذكر أن « ناسها اخلاط » ·

أنظر : نزهة المشتاق ، ص ٣٦٥ ، كذلك القسم الخاص بالملاحق ·

(٣٣) عن مظاهر الانحلال الخلقى فى الكيان الصليبى أنظر :

Joannes Phocas, P. 11.

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, P. 64.

حيث يشير الى أن رجال الدين كانوا يؤجرون المساكن من أجل أعمال الدعارة نظرا لايجارها الباهظ الذى يدر عليهم الأموال الطائلة ، ويتحدث عن عناصر الافراخ أو البولانى وانتشار الزنا فى صفوفهم وأنه يندر أن يوجد منهم من ليست له انحرافاته وتحلله الخلقى ، وأيضا أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٤ ، وهو يصف الصليبيين على اعتبار أنهم ليست لديهم غيرة جنسية ، ورواياته فى هذا الشأن روايات خبير خالط الصليبيين وصار عارفا بأساليب حياتهم ، وبصفة عامة احتوت مدينة عكا على مراكز معروفة للفاسقات ، كما احتوى الجيش الصليبى على عناصر منهن وقد أشار الى ذلك بصورة مفصلة العماد الكاتب الأصفهانى ضمن تناوله لأحداث الحملة الصليبية الثالثة ·

أنظـر : العماد الأصـفهانى ، الفتح القسى ، ط· القاهـرة ب ت ، ص ١٧٠
وللمزيد من الضوء عن التحلل الجنسى لدى الصليبيين أنظر :

براور ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ص ١٥٢ ، قاسم عبده قاسم ، « الحروب الصليبية فى الف ليلة وليلة » ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ ، ط· القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٣٣ ·

جمعه الجندى ، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خـلال القـرنين الثانى عشر والثالث عشر ، دراسـة تطبيقية على مملكة بيت المقـدس ، رسـالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م ، ص ٢٩٩ ـ ص ٣٠٠ ·

(٣٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ ·

(٣٥) Joannes Phocas, P. 12.

وصفورية هى احدى القرى الواقعة فى اقليم الجليل وقـد بعـدت عن طبرية بمسافة خمسة أميال ، وحدها من الشرق قرية كفر كنا ، ومن الشمال قرية روما ومن الجنوب الغربى قرية عيلوت ، ومن الجنوب الشرقى الناصرة ، وكانت تسمى لدى الرومان باسم Dio Caesarea ، وقد ضعف شأنها فى القرن الرابع الميلادى بعد أن دمرها الرومان ، ويلاحظ أن صفورية احتوت على قلعة حصينة خضعت لسـيطرة فرسان الداوية ، ولا تزال بقية تلك القلعة قائمة الى الآن ، وكانت صفورية من بين المناطق التى خضعت لسيطرة المسلمين فى ظروف معركة حطين عام ١١٨٧م · عنها أنظـــر :

Fetellus, P. 30.

Marino Santo, P. 37.

مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، ط· الاسـكندرية ١٩٥٨م ، ص ١٠٦ ، ياقوت ، معجم البلـدان ، ج٣ ، ص ٤١٤ ، بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١١٠ ، حاشية (١) ، ليلى طرشوبى ، اقليم الجليل ، ص ٩٩ ، البيشاوى ، الممتلكات الكنسية ، ص ٢٠٤ ، حاشية (٣) ، وتجدر الاشارة الى أن يوحنا فوكاس ذكر حصانة صفورية ووجود احدى القلاع الصليبية بها وقـد أورد أمر حصانتها رحالة سابقون عليه ومن أمثلتهم ثيودريش ·

Theoserich, P. 69.

(٣٦) Joannes Phocas, P. 12, P. 35.

(٣٧) Ibid, P. 16.

(٣٨) Ibid, P. 19.

(٣٩) Ibid, P. 19.

وكلمة Porphyrogenetus تعنى المولود فى العباءة الأرجوانية أو المذهبة ، واشتقاق الكلمة من Porphyro وتعنى ذهب أو لون ارجوانى ، أما geneus فهى تعنى المولود ، والمقصود بهذا التعبير أن ذلك الامبراطور وصل الى العرش بشرعيه كاملة ، ولم يصل اليه بالاغتصاب مثل بعض الأباطرة البيزنطيين الآخرين ، ويلاحظ أن هـذا اللقب فى الأصـل اتخـذه الامبراطور البيـزنطى قسـطنطين السـابع Constantine VII (٩١٣ – ٩٥٩م) وهو أحد أباطرة الأسرة المقدونية وهو مؤلف كتاب الادارة الامبراطورية De Administrando Imperio ، عن ذلك انظر :

Little, Coulson, The Shorter Oxford English dictionary on historical principles, Vol. II, Oxford 1950, P. 1546.

عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، عبد القادر اليوسف ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤٠) عن ذلك النقش أنظر :

Corpus Inscriptionum Graecorum, T. V, Berlin 1877, P. 339.

Chalandon, Jean II Commnene, Paris 1918, T, II, P. 449.

Ostrogorsky, Hist. of The Pyzantine State, P. 343, note (2), Vasiliev, Hist. of The Pyzantine Empire, Vol. I, P. 80.

أيضـــا :

مؤنس أحمد عوض ، سياسة نور الدين محمود الخارجية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة عين شمس ، عام ١٩٨٨م ، ص ٢٢٣ ، هامش (٤) ، ص ٢٢٤ .

(٤١) عنها أنظـــر :

William of Tyre, Vol. I, P. 130.

عبد الغنى عبد العاطى ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ص ٢٩٣ ، فتحية النبراوى ، حياة الامبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القـرن ١٢م ، المجـلة التـاريخية المصرية ، م ((٢٧) ، عام ١٩٨١م ، ص ٤٧ – ص ٤٨ ، جوزيف نسـيم يوسف ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط٠ بيروت ١٩٨١ ، ص٥٢ ، اسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ط٠ القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٠١ .

(٤٢) William of Tyre, Vol. I, P. 276.

Schlumberger, Renauld de Chatillon, Paris 1933, P. 102, Ostrogorsky, Op. Cit., P. 343.

Baldwin, The Latin States under Baldwin III and Amalric I, P. 542.

اسد رستم ، الروم ، جـ٢ ، ص ١٥٣ .

(٤٣) عن دخول مانويل كومنين انطاكية انظر :

Cinnamus, Epitome Historiarum, C.S.H.P., Bonn 1836. P. 187.

Chalandon, Op. Cit., P. 451—452, Hussey, «The Later Macedonians, The Comneni and The Angeli», C.M.H., Vol. V, Cambridge 1979, P. 234, Baldwin, Op. Cit., P. 544. Ostrogorsky, Op. Cit., P. 343, Vasiliev, Op. Cit., P, 80, La Monte, «To what extent was The Pyzantine Empire Suzerian of The Latin Crusading States», Pyzantion, T. III, 1932, P. 260.

حسنين ربيع ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط٠ القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٢٢٦ ، عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، هسى ، العالم البيزنطى ، ص ١١٤ ، اسد رستم ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٣ ، مؤنس أحمد عوض ، المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٤٤) Vasiliev, Op. Cit., P. 80.

الخاتمة

الخاتمـــــة

تمخض البحث عن نتائج هامـة فى دراسـة اوضـاع مملكة بيت المقـدس الصليبية (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م) خلال تلك المرحلة المؤثرة الهامة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ومرحله الصراع الاسـلامى ـ الصليبى على نحو خاص ٠

ومن الممكن أن نرصد أهمية أولئك الرحالة الأوربيين وذلك على كافة الاصعدة والمستويات السياسية والحربية والاقتصادية والدينية والعقائدية وحتى الطبيـــة العلاجية ٠

والواقع أن مؤلفات الرحالة الأوربيين أفادت بصورة هامة على الصعيدين السياسى والحربى ، فقد أعانت على القاء الضوء بشأن العلاقات بين أتابكية دمشق التى أسسها ظهير الدين طفتكين ومملكة بيت المقدس الصليبية ، وكذلك صورت جانبـا من الجهود التى بذلها الفاطميون من أجل حمـاية ما بقى لهم من مراكز هـــامة على الساحل الشامى بعد مقدم الصليبيين الى المنطقة ونجـاحهم فى تحقيق التفوق على الكيانات الاسلامية المتصارعة سياسيا وتدهبيا ٠

ومن جهة اخرى ، أوضحت تلك المؤلفات الهامة أن الصليبيين طمعوا فى مــد سيطرتهم الى حدود أبعد من تلك التى تمكنوا من تحقيقها وذلك على حساب المسلمين فى المنطقة ، وقد وضح ذلك من خلال تحمس بعض الرحالة للمشروع الصليبى ورغبتهم المستعرة فى أن تتضخم المملكة الصليبية لتشمل مناطق هامة اقتصاديا واستراتيجيا وتكون لها الغلبة السياسية فى المنطقة ، ولا ريب فى أن ذلك كشف النقاب فى جـلاء وضاح عن الطبيعة الاستعمارية للحركة الصليبية التى اتشحت بوشاح الدين مخفية وراءها مطامعها الحقيقية فى استعمار المنطقة ومهاجمة العالم الاسلامى فى عقر داره من خلال مشروع حربى ضخم ، يستغل ظاهرة التشرذم السياسى التى عانت منها المنطقة عند مقدم الصليبيين اليها ٠

وبالنسبة للناحية الحربية ، نجد أن أولئك الرحالة مثلوا مكانة كبيرة فى القاء

الضوء على الطابع الحربى للكيان الصليبى ، ومثلوا شهود عيان للآله الحربيــــة الصليبية وفرســانها الأشــداء ممثلين فى عنــاصر الرهبان الفرســان مثل الاسبتارية Hospitaliers والداوية Templars وقد أشارت مؤلفاتهم الى قيامهم بالدفاع عن حدود المملكة الصليبيه ضد اغارات وهجمــات أعــدائها من المسلمين ، وتنــاولت امتلاكهم للعديد من القلاع والحصون التى تناثرت بطول المملكة وعرضها ودل ذلك على تعــاظم نفوذ تلك العنــاصر الحربيــة الصــليبية وهــو الأمر الذى ســوف يؤدى فى النهــاية الى أوخم العواقب على الصليبيين فى بلاد الشــام وسـيؤدى الى اخفاق المشروع الصليبى برمته وطردهم من المنطقة من خلال التنافس المستمر بين تلك العناصر ، فضلا عن تعاظم حركة الجهاد الاسلامى ضد الغزو الصليبى بطبيعـــة الحال ، كذلك تناولت تلك المؤلفات التى كتبها أولئك الرحالة أمر المعارك التى كانت تنشب بين حين وآخر بين اتابكية دمشق من ناحيــة والمملكة الصليبية من ناحيــة أخرى ووقوع بعض القيادات الصليبية أسيرة فى قبضة المسلمين •

ولعل من أهم الجوانب التى أبرزتها رحلات أولئك الرحالة الأوربيين ، تصوير حركة المقاومة الاسلامية فى داخل فلسطين بعد خضوعها للسيادة الصليبية ، وتمثل ذلك بوضوح فى مقاومة الحجاج الأوربيين القادمين الى المنطقة من خلال طرق الحج الرئيسية لا سيما طــريق يــافا ــ بيت المقــدس ، ولا ريب فى أن المسلمين أدركوا أن أولئك الحجاج مثلوا دعما بشريا هاما ومؤثرا للكيان الصليبى ومن ثم من الضرورى مقاومتهم على اعتبار أن من الحجاج من مكث فى المنطقة وانضم الى صفوف الصليبيين فى تشييد القلاع والحصون ، أو فى المشاركة الفعلية فى المعارك الحربية ضــــد المسلمين •

وقد اعترفت كتاباتهم بفعالية تلك المقاومة الاسلامية وان بعض الطرق الرئيسية التى سلكها الحجاج الأوربيون كانت خطرة وخشى القوم المرور فيها لكثرة من قتل فيها على أيدى المسلمين ، ودل ذلك على أن حركة الجهاد الاسلامى لم تكن تجد صدى لها فى مناطق التقاء الحدود الاسلامية ــ الصليبية فقط بل أيضا فى داخل فلسطين ذاتها حيث مثلت عناصر المقاومة الاسلامية دورا فعالا فى هذا الصدد •

وتأتى أهمية اشارات الرحالة الأوربيين الى حجم تلك المقاومة من خـــلال أن المصادر التاريخية العربية أغفلت الاشارة اليها نظرا لانشغال المؤرخين الرسميين بالتأليف لكبار الأمراء والخلفاء والسلاطين ، وبسبب انعزال تلك الحركة المقاومة

فالصليبيين فى داخل فلسطين بينما تركزت مراكز حركة التأليف التاريخى للصراع الاسلامى ـ الصليبى قبل تحرير بيت المقدس عام ١١٨٧م ، خارج تلك المناطق التى شهدت عنف تلك المقاومه ، ويصدق ذلك الموقف بوضوح على ابن القلانسى الذى جعل جل اهتمامه منصبا على دمشق وركز تناوله لحركة الجهاد الاسلامى من خلال الصادمات الحربية بين المسلمين والصليبيين ، ويبدو أنه لم تصل اليه روايات كافية عن حجم المقاومة ـ من الداخل ـ ضد الصلبيين ومن ثم فقد أغفل الاشارة اليها فى تاريخه الهام ٠

وفيما يتصل بالناحية الاقتصادية ، تحتل كتابات الرحالة الأوربيين مكانة هامة ، فقد قدمت اشارات لها شأنها عن حجم الدور الذى لعبته مدن الساحل الشامى ـ الشريان الحيوى للكيان الصليبى ـ اذ تمتعت تلك المدن بازدهار تجارى واسع النطاق ، حقيقة أن حجم ذلك الازدهار اختلف من مدينة الى أخرى ، الا أن الصفة العامة كانت متمثلة فى انتعاشها اقتصاديا وقيامها بدور هام فى حركة الصادرات والواردات لا سيما فى مدن عكا وعسقلان وصور ويافا والسويدية واللاذقية وغيرها كثير ٠

ولا نغفل أن أولئك الرحالة اشاروا الى عدد من الأسواق الموسمية الهامة التى عقدت فيها الصفقات التجارية وازدحمت بالبائعين والمشترين والوسطاء التجاريين والتقى فيها المسلمون والمسيحيون من خلال المصلحة المشتركة على الرغم من استعار العداء بينهما على المستويين الحربى والسياسى ، ولا شك أن تناول أولئك الرحالة لمثل تلك الأسواق ـ ومن أمثلتها سوق موزرب عند حوران ـ افاد فى توضيح الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمثل تلك المنطقة ويعلل لماذا حرص الصليبيون على أن تظل خاضعة لسيطرتهم نظرا لما در عليهم وضعها التجارى من أموال طائلة دعمت ميزانيتهم ٠

أما فيما اتصل بمصادر المياه ـ وهى عصب النشاط الاقتصادى ـ فقد اهتمت بها مؤلفات الرحالة الأوربيين وذلك يتضح من خلال تتبعهم الدقيق لاعداد الأنهار فى كافة انحاء بلاد الشام حيث أن فلسطين ـ على نحو خاص ـ قلت فيها مصادر المياه ، فقد فطن الصليبيون الى أن الصراع بينهم وبين المسلمين ـ فى أحد جوانبه الاقتصادية ـ صراع على مصادر الثروة لا سيما المائية منها ، ومن ثم حرصوا على أن تمتد مطامعهم الى انهار المنطقة ، فضلا عن اهتمامهم بتخزين المياه

لاستغلالها الأمثل دون فقدانها ، ولا ريب فى أن اشـارة أحـد الرحالة الأوربيين الى ذلك دل على أن الصليبيين أدركوا طبيعـة المنطقـة وحرصـوا على اسـتغلال مواردها بصورة مثلى من أجل تحقيق أهدافهم فى النهب الاستعمارى المنظم لثروات المنطقـة ٠

زد على ذلك ، توافر اشارة هامة تفيد باستعانة الصليبيين بالسكان المحليين فى أعمال الزراعة التى احترفوها عن أجدادهم وان تردد الزعم بأن ذلك تم فى سـلام تام ، غير اننى أؤكد على حقيقة ألا تأخذ مثل تلك الاشارات بمأخذ الحقيقة التاريخية الكاملة ، فالحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية هدفت ـ فيما هدفت ـ الى احلال المستوطنين الأوربيين محل أبناء البلاد من السكان المحليين ٠

واذا انتقلنا الى الناحية السكانية وجدنا أن تلك المؤلفات التى تركها الرحالة الأوربيون ألقت أضواء ساطعة على أن هنـاك مناطق معينة شـهدت تزايد الكثافة السكانية بها ونجد ذلك واضحا فى المدن الساحلية الشامية الكبرى مثل عكا ـ على سبيل المثال ـ وقد تأتى ذلك من خلال أهميتها التجارية وتدفق التجار عليها وكذلك تدفق الحجاج للقيام برحلتهم الى البقاع المقدسة فى أنحاء المملكة لا سيما فى مدينة بيت المقدس ٠

وكامتداد للجانب السكانى، أعانت رحلات أولئك الرحالة على ادراك معدل الوفيات فى الكيان الصليبى والاقتراب منه قدر الاستطاعة والواقع أن تزايد معدل الوفيات تأتى من خلال عدة عوامل مجتمعة ، منها انخفاض الوعى الصحى لدى عامة الأهلين ، ثم أن النشاط الحربى والتصارع مع المسلمين أدى ـ بلا ريب ـ الى سقوط الكثيرين صرعى وجرحى فى ميادين القتال ، فضلا عن أن بعض الحوادث الطارئة ـ والتى لم تكن لها الصفة الاستمرارية بالطبع ـ أثرت بدورها على البنية السكانية ونعنى بهـا الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام لا سيما خلال النصف الثانى من القـرن الثانى عشر م والتى أدت الى هلاك الآلاف بصورة أوضحتها تلك الرحلات مع ملاحظة أن تأثيراتها المدمرة لم تقتصر على المناطق الصليبية فحسب بل تعدتها لتشمل أملاك المسلمين ٠

ومن الزاوية الأثنية أفادت تلك الرحلات فى ادراك صورة تعدد العناصر المكونة للوجود الصليبى بحيث شملت كافة الأمم الأوربية ومثلت خليطا عنصريا مختلفا وغير

متجانس جمعته الرغبة فى الثروة والحصول على المغانم المتعددة ، وقد انقسمت عناصره الى البرجنديين والبروفنساليين والألمان والايطاليين والفرنجة وغيرهم ، فاذا ما لاحظنا توافر عداءات متوارثة بين مثل تلك العناصر من قبل مقدمهم الى الأرض المقدسة فى فلسطين ، ادركنا ان ذلك الكيان الدخيل فقد تماسكه البنيوى الاجتماعى ، وظل يعانى – حتى النهاية – من عدم التجانس والتصارع الداخلى على نحو عجل بانهياره فى آخر المطاف •

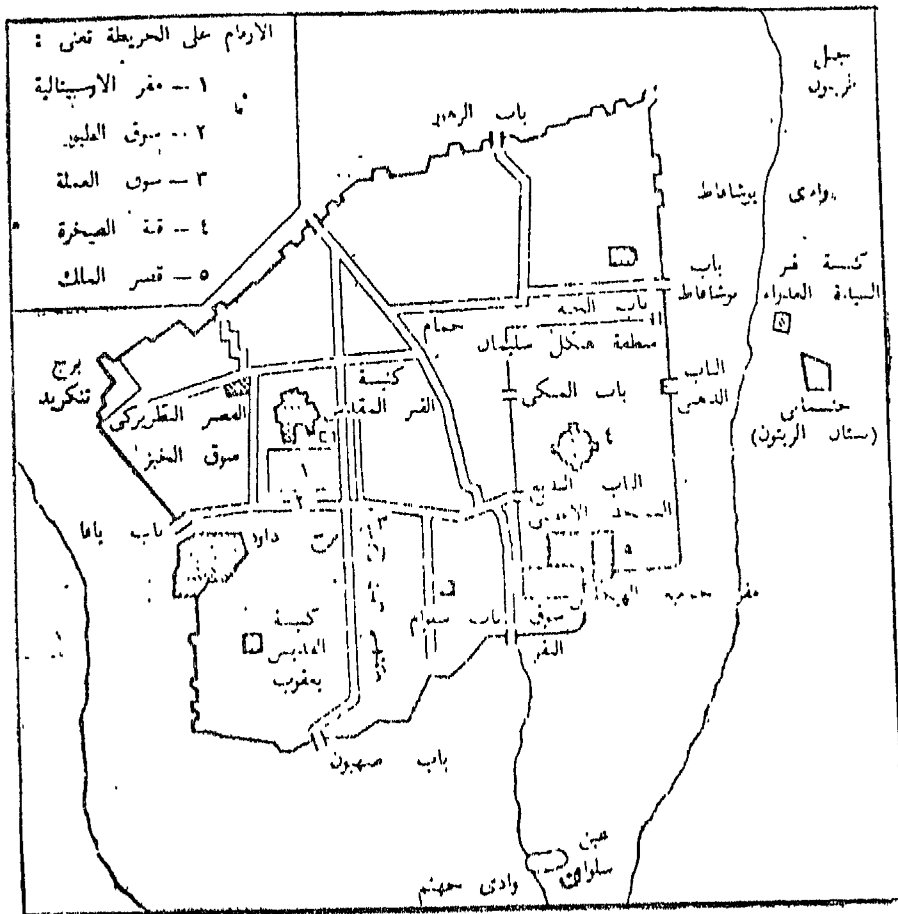
وفى المجال الدينى ، قدمت مؤلفاتهم تناولا هاما لتطور حركة الحج الى المواقع المقدسة لدى كل من اليهود والمسيحيين على حد سواء فى فلسطين ، على نحو افاد فى دراسة التطور التاريخى لتلك الحركة فى المرحلة السابقة على المرحلة الممتدة من ١٠٩٩ الى ١١٨٧م وما تلاها •

والجدير بالاشارة هنا ان رحلات اولئك الرحالة اوضحت بجلاء غلبة الطابع الدينى على عقول المعاصرين ومن ثم جاء الحجم المتزايد للخرافات والاعتقاد فى الرؤى والمعجزات وكرامات القديسين الذين صار الاعتقاد فيهم بمثابة جزء لا يتجزأ من الايمان والاعتقاد الدينى لكل رحالة من اولئك الذين قدموا الى المنطقة خلال المرحلة موضوع الدراسة •

اما ما اتصل بالجانب الطبى فنجد ان تلك الرحلات خاصة رحلات الرحالة يوحنا الورزبرجى وثيودريش ، وكذلك بنيامين التطيلى ، قدمت لنا اشارات هامة عن الدور العلاجى لهيئة الاسبتارية وقدراتهم على استيعاب اعداد كبيرة من المرضى ، ومع ذلك ينبغى الا نبالغ فى حجم ذلك الدور العلاجى ونتصوره انه قد مثل فاتحة مرحلة مزدهرة من التفوق الطبى لدى الصليبيين اذ ان الاشارات التى وردت لدى من تداخل معهم وسرد اغوارهم اوضحت بجلاء ان المعارف الطبية لديهم كانت متخلفة وهذا هو التعليل الحقيقى فى ارتفاع معدل الوفيات فى صفوفهم وهو ما اقرت به بعض نصوص اولئك الرحالة انفسهم •

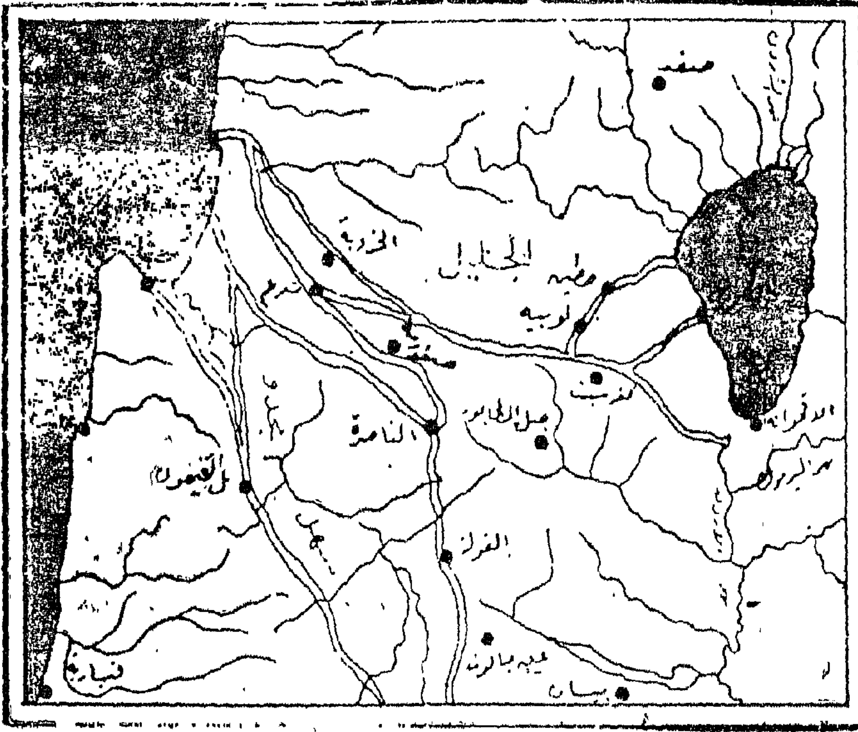
مجمل القول ، ان الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية قدموا اشارات هامة افادت فى دراسة اوضاع تلك المملكة على كافة الأصعدة والمستويات ولذا تعد مصدرا هاما يضاف الى باقى المصادر التاريخية الأخرى التى يعتمد بها فى دراسة تلك المملكة حينذاك •

الخــرائط



شكل رقم (١)

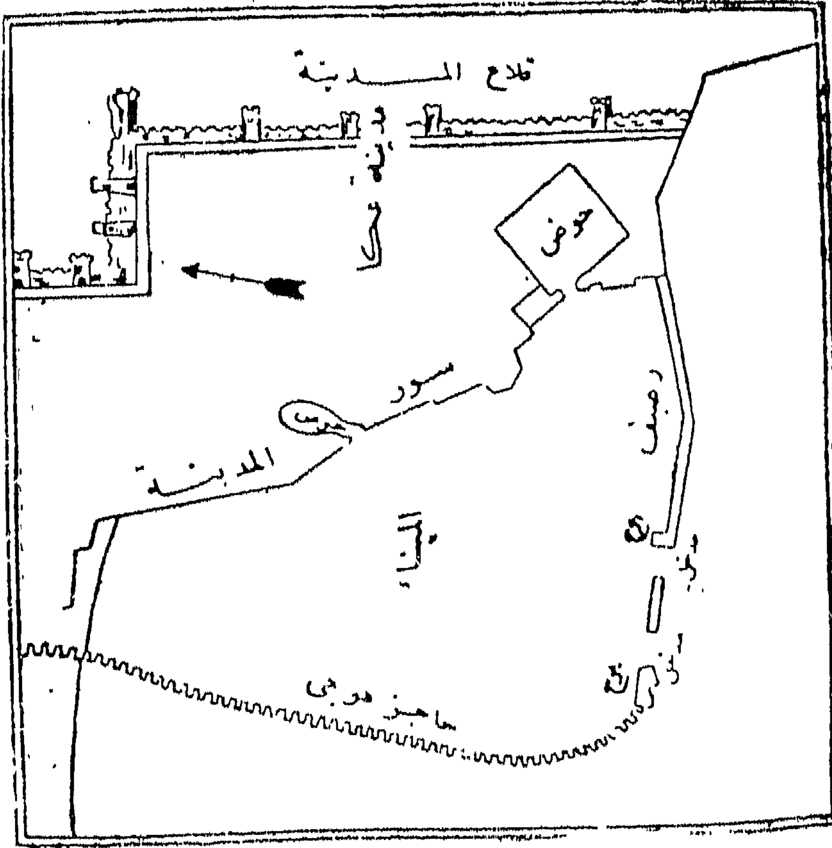
بيت المقدس تحت حكم الصليبيين ، عن زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ص ١٥٢



شكل رقم (٢)

من طبرية الى عكا (وقعة حطين ١١٨٧م)

نقلا عن : عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوربا ، من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٨٣م ص ٤٩٣

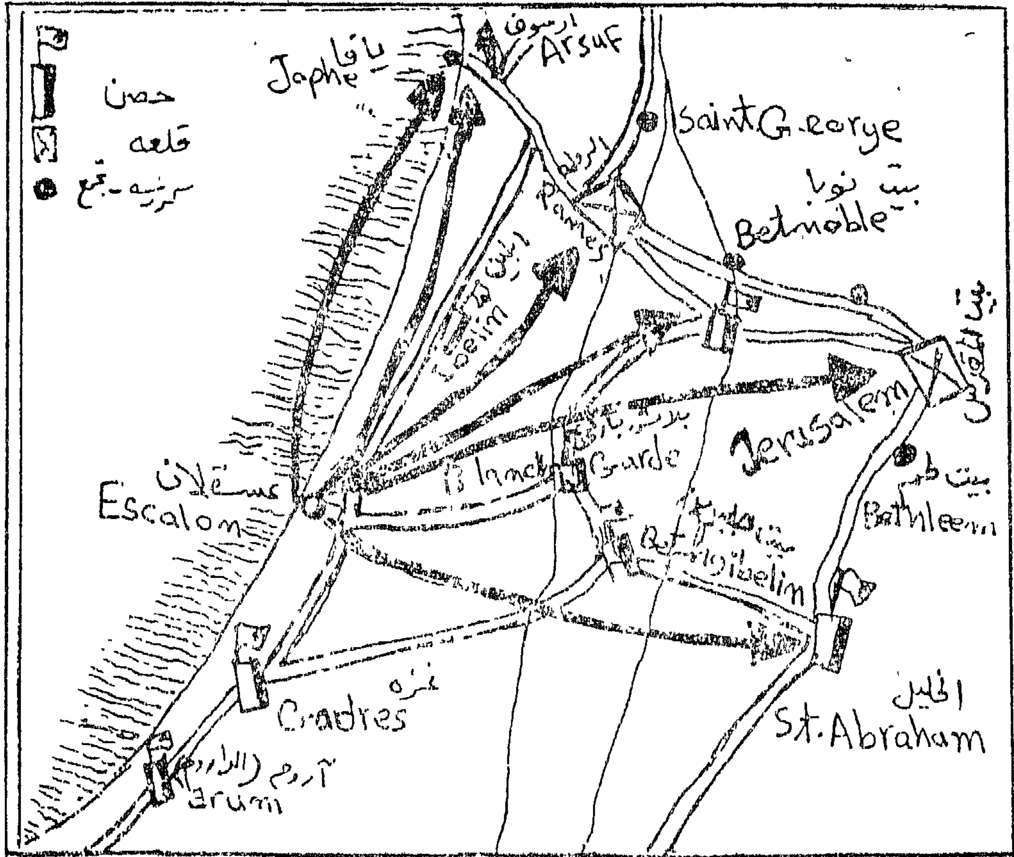


شكل رقم (٣)

مدينة عكا وميناؤها فى عصر الحروب الصليبية

« رسم توضيحى »

نقلا عن : جوزيف يوسف ، العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ط• بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٩٨



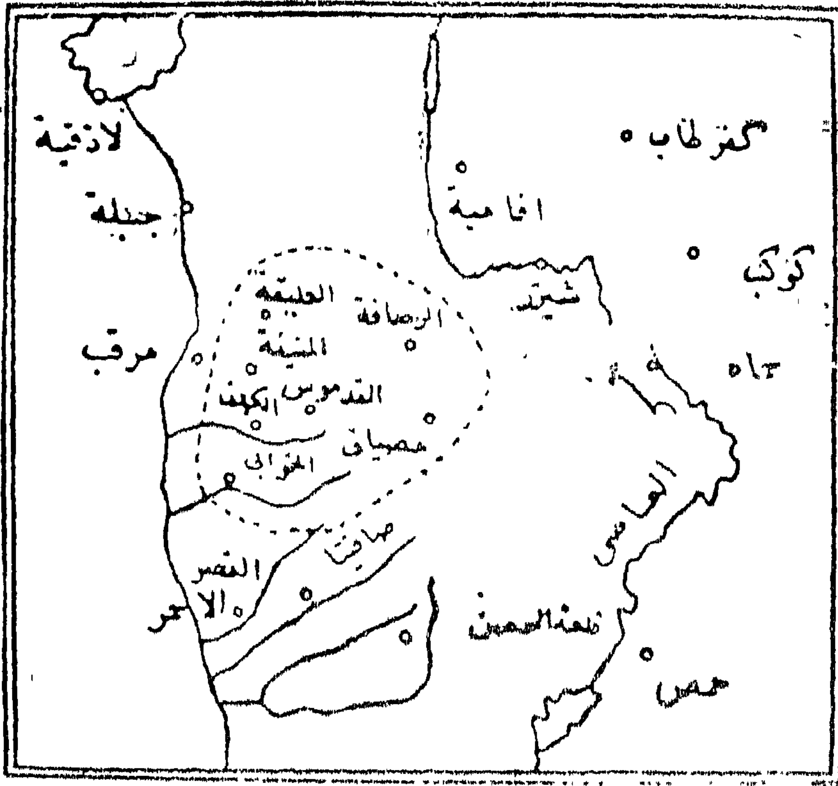
شكل رقم (٤)

طرق الغارات التى شنتها حامية عسقلان الفاطمية

ضد أملاك مملكة بيت المقدس الصليبية

نقلا عن : عبد اللطيف ، السيد ، السياسة الخارجية

لمملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الثالث.



شكل رقم (٥)

قلاع الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام

نقلا عن : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ط٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ٢٣٤

ايضا : اسامة زكى زيد ، الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية (القرن الثانى عشر م/ السادس هـ) ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٩٤



شكل رقم (٦)

قلعة شقيف ارنون فى جنوب لبنان

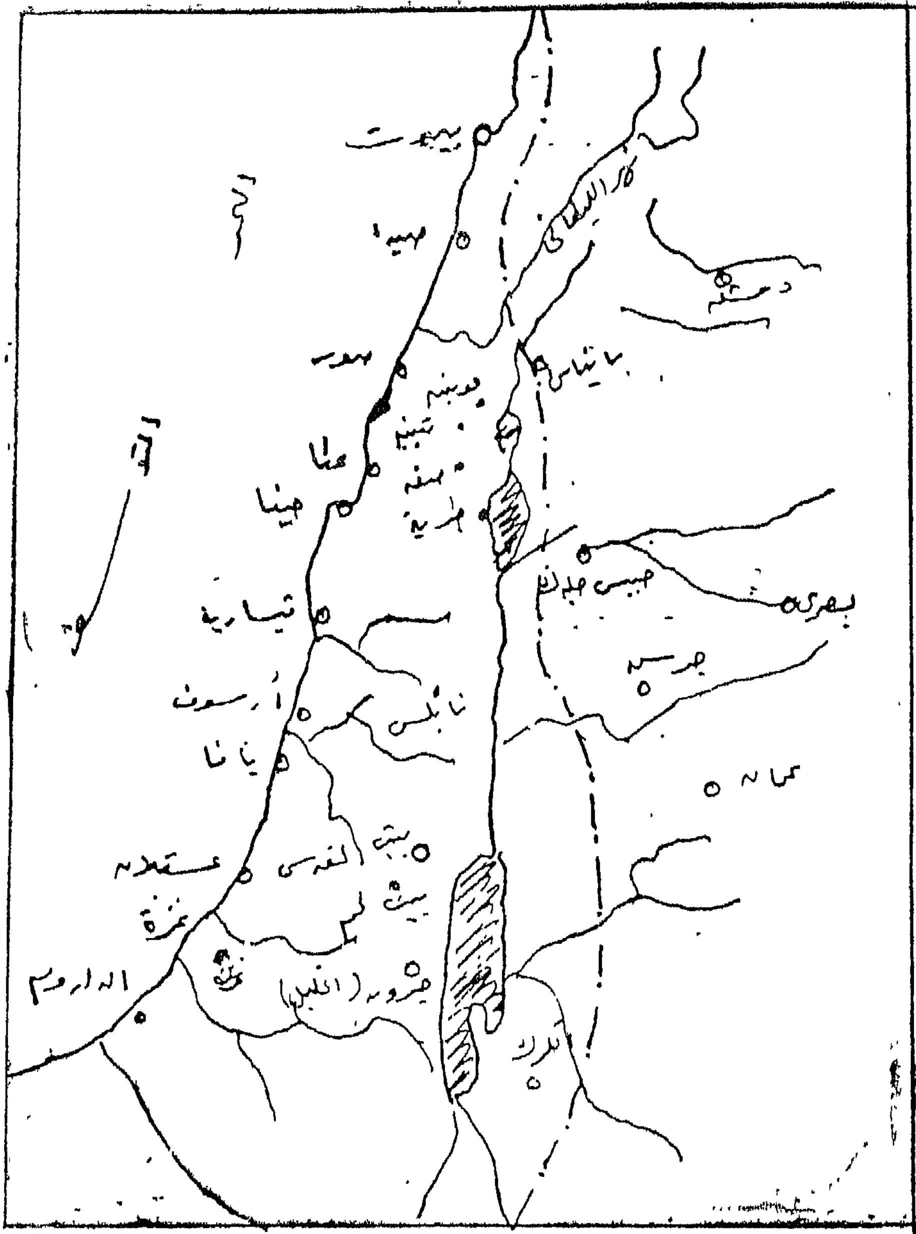
نقلا عن : احمد الحفناوى ، « الصراع من اجل صيدا فى العصر الوسيط » ، المنهل ، م (٤٦) ، لعام ١٩٨٣م، ص ٦٧.



شـكل رقم (٧)

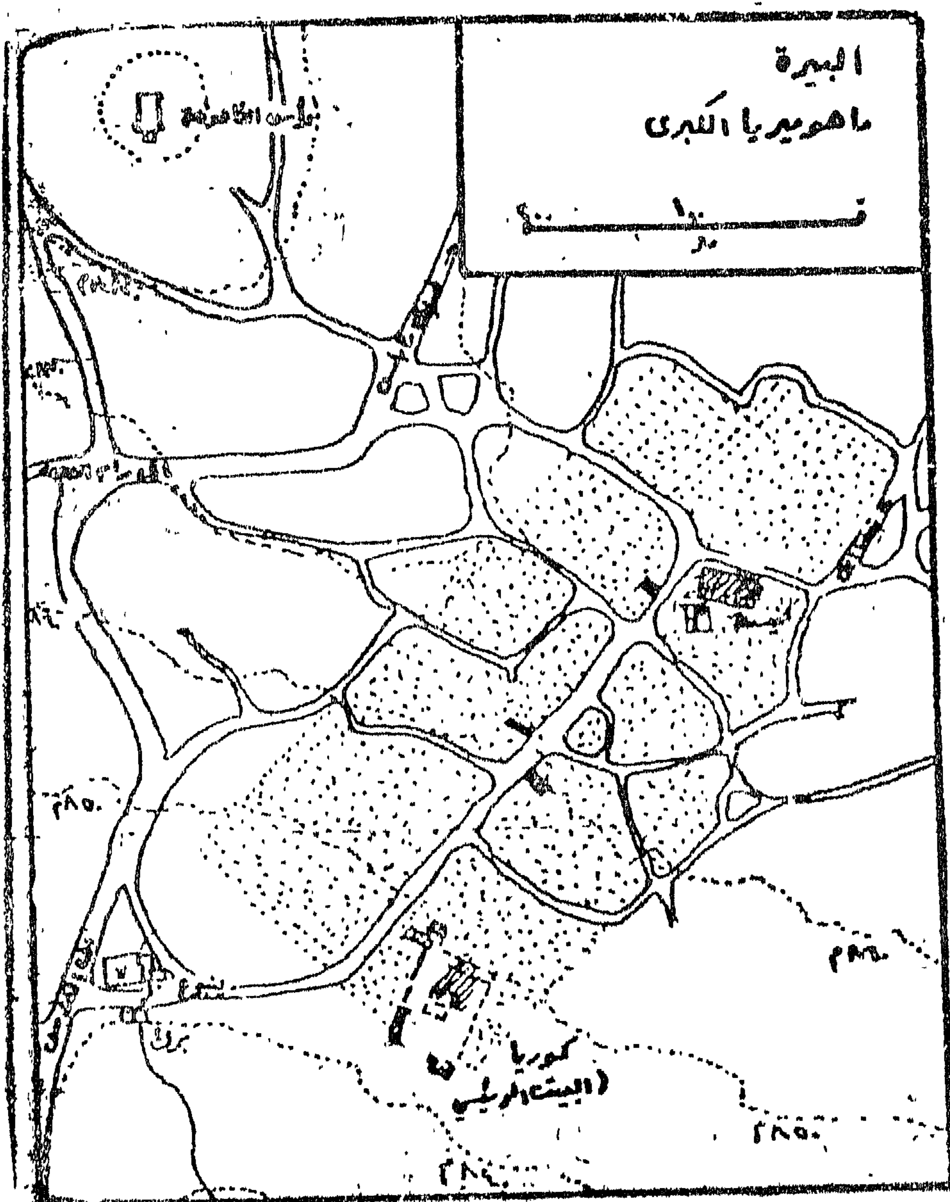
اقليم الجليل فى القرن الثانى عشر الميلادى

نقلا عن : ليلى طرشوبى ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ص ٢٣٣



شكل رقم (٨)
مملكة بيت المقدس الصليبية فى القرن الثانى عشر م

نقلا عن :
Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 189.



شكل رقم (٩)

رسم تخطيطى للبيرة Magna Mahumeria

نقلا عن : سعيد البيشاوى ، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٢٨٤

الملاحق

فهرس الملاحق

ملحق رقم (١٢) :

اليهود فى بيت المقدس وفقا لرحلة بنيامين التطيلى ٠

ملحق رقم (١٣) :

بتاحيا الراتسبونى فى طبرية وصفورية :

ملحق رقم (١٤) :

بتاحيا الراتسبونى فى الجليل الأعلى وأهم المزارات اليهودية هنـاك ٠

ملحق رقم (١٥) :

أعداد اليهود فى كل من بيت المقدس وطبرية ودمشق وفق رحلة بتاحيا الراتسبونى

ملحق رقم (١٦) :

ابن جبير يصـف عكا ٠

ملحق رقم (١٧) :

وصف ابن جبير لصـور ٠

ملحق رقم (١٨) :

وصف ابن جبير لطبرية ٠

ملحق رقم (١٩) :

العـلاقات التجـارية بين المسـلمين والصليبيين من خـلال ابن جبير ٠

ملحق رقم (٢٠) :

وصف الادريسى لعكا وعسقلان ٠

ملحق رقم (٢١) :

تناول الادريسى لوادى جهنم وما به من كنائس وأديرة ٠

ملحق رقم (٢٢) :

كنيسة القيامة عند الادريسى ٠

ملحق رقم (٢٣) :

وصف الادرليسى لعدد من الكنائس فى بيت المقــدس ووادى الأردن ٠

ملحق رقم (٢٤) :

أسامة بن منقذ يصف معرفة الصليبيين الطبية ٠

ملحق رقم (٢٥) :

من أمثلة الزلازل التى اجتاحت بلاد الشام فى القرن السادس هـ/ الثانى عشر م من خلال ابن القلانسى ٠

ملحق رقم (١)

اسماء المواقع التى وردت فى مؤلفات الرحالة الاوربيين فى مملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر م وما يقابلها فى العربية

Atsuph [1] Azotus. [2] Arsur. [3]	ارسوف
Scandalium. [4]	اسكندرونة
Antioch. [5] Antiochia. [6] Reblata [7]	انطاكية
Beersheba. [8]	بئر سبع
Betany. [9] Bethany. [10]	بيتانى
Eleutheropolis. [11]	بيت جبرين
Bethlehem. [12]	بيت لحم
Berytus. [13] Baruth. [14] Beritus. [15]	بيروت
Mahumeria. [16]	البيرة

بيسان	Scythopolis [١٧]
جبل الشيخ	Hermon. [١٨]
جبلة	Jubelet. [١٩]
	Gibeleth. [٢٠]
جبيل	Gibel. [٢١]
	Byblus. [٢٢]
جنين	Genin. [٢٣]
حيفا	Cayphas. [٢٤]
	Caipha. [٢٥]
الخليل	Hebron. [٢٦]
السويدة	Suetha. [٢٧]
	Sueta. [٢٨]
السويدية	Solim. [٢٩]
	St. Simeon. [٣٠]
صرفند	Sarepta. [٣١]
	Surephtha. [٣٢]
	Surafend. [٣٣]
صفورية	Semphori. [٣٤]
	Sepphoris. [٣٥]
صور	Tyre. [٣٦]
	Sors. [٣٧]
	Sur. [٣٨]
صيدا	Sidon [٣٩]

Cynereth. (٤٠)	طبرية
Tiberias (٤١)	
Tripolis. (٤٢)	طرابلس
Tartusa. (٤٣)	طرطوس
Tortosa. (٤٤)	
Thabor. (٤٥)	الطور (جبل)
Tabor (٤٦)	
Orontes. (٤٧)	العاصى (نهر)
Pharphar. (٤٨)	
Farfar. (٤٩)	
Ascalon. (٥٠)	عسقلان
Acre. (٥١)	عكا
Accoron. (٥٢)	
Acron. (٥٣)	
Acras. (٥٤)	
Ptolemais. (٥٥)	
Siloe. (٥٦)	سلوان (عين)
Caesarea. (٥٧)	قيسارية
Caesaria Philippi. (٥٨)	
Capharnaum. (٥٩)	كفر ناحوم
Cana. (٦٠)	كنـا
Chana. (٦١)	

اللد — Lydda. (62)

الميدان (وادى) — Medan. (63)

Meddan. (64)

الناصرة — Nazareth. (65)

يافـــا — Joppa (66)

Jafis (67)

اليرموك (نهر) — Dan (68)

يوشفات (وادى) — Johosaphat (69)

Josaphat (70)

الهوامش :

(١) Saewulf, P. 27.

(٢) Ibid, P. 27.

(٣) Theoderich, P. 46.

(٤) Ibid, P. 59.

(٥) Ibid, P. 71.

(٦) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٨٦ .

(٧) Fetellus, P. 25, P. 37.

(٨) Ibid, P. 10.

(٩) Theoderich, P. 45.

(١٠) John of Wurzburg, P. 33.

(١١) Fetellus, P. 41.

(١٢) Daniel, P. 38.
Theoderich, P. 51.
John of Wurzburg, P. 54.
Joannes Phocas, P. 30.

بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٠٤ .

(١٣) Theoderich, P. 71.
John of Wurzburg, P. 63.

(١٤) Saewulf, P. 27.

(١٥) Theoderich, P. 51.

بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٩٠

(١٦) Theoderich, P. 60.
John of Wurzburg, P. 14.

(١٧) Fetellus, P. 32.
Theoderich, P. 63.
John of Wurzburg. P. 7.

(١٨) Daniel, P. 27.
Fetellus, P. 31
Theorerich, P. 63.

(١٩) Saewulf, P. 27.

(٢٠) Theoderich. P. 27.

(٢١) Saewulf, P. 27.

(٢٢) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٨٩ .

(٢٣) Fetellus, P. 32.
Theoderich, P. 56.

(٢٤) Saewulf, P. 27.

(٢٥) Theoderich, P. 58

(٢٦) Daniel, P. 44.
Fetellus, P. 8.
Theoderich, P. 53.
John of Wurzburg, P. 58.
بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٠٥

(٢٧) Fetellus, P. 26, P. 27.

(٢٨) Theoderich, P. 70.

(٢٩) Fetellus, P. 25.

(٣٠) Theoderich, P. 71.

John of Wurzburg, P. 65.

(٣١) Fetellus, P. 71.

Theoderich, P. 72.

John of Wurzburg, P. 63.

بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩١ .

(٣٢) Joannes Phocas, P. 10.

(٣٣) Ibid, P. 10.

(٣٤) Ibid, P. 12.

(٣٥) Fetellus, P. 30

Theoderich, P. 79.

بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١١٠ .

(٣٦) Saewulf, P. 27.

Fetellus, P. 49, P. 50.

Theoderich, P. 72.

John of Wurzburg, P. 63.

(٣٧) Ibid, P. 63.

(٣٨) Saewulf, P. 27.

(٣٩) Ibid, P. 27.

Fetellus, P. 50.

John of Wurzburg, P. 63.

(٤٠) Theoderich, P. 66.

بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١١١ .

(٤١) Daniel, P. 56.

Theoderich, P. 66.

(٤٢) Ibid, P. 71.

(٤٣) Saewulf, P. 27.

(٤٤) Joannes Phocas, P. 8.

(٤٥) Saewulf, P. 30.

(٤٦) Theodirich, P. 67.

Joannes Phocas, P. 13.

(٤٧) Daniel, P. 6.

(٤٨) Fetellus, P. 24, P. 25.

(٤٩) Fetellus, P. 24, P. 25.

(٥٠) Theoderich, P. 55.

بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص١٠٩ .

(٥١) Daniel, P. 11.

(٥٢) Theoderich, P. 59.

(٥٣) Ibid, P. 69.

(٥٤) Saewulf, P. 27.

(٥٥) Daniel, P. 11.

Joannes Phocas. P. 11.

(٥٦) Daniel, P. 38.

John of Wurzburg, P. 50.

(٥٧) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص٩٤ .

(٥٨) Daniel, P. 54.

(٥٩) Theoderich, P. 66.

(٦٠) Daniel, P. 72.

(٦١) Theoserich, P. 69.

(٦٢) Ibid, P. 38.

Daniel, P. 53.

(٦٣) Theoderich, P. 65.

(٦٤) Fetellus, P. 26.

(٦٥) Daniel, P. 69.

Fetellus, P. 29.

Theoderich, P. 68.

(٦٦) Daniel, P. 8.

Theoderich, P. 55.

(٦٧) Ibid, P. 55.

(٦٨) Ibid, P. 64.

(٦٩) John of Wurzburg. P. 50.

Joannes Phocas, P. 21.

(٧٠) Fetellus, P. 6, P. 40.

Theoderich, P. 4.

ملحق رقم (٢)

ســـائيولف يصــف
الطــريق الممتــد من يافا الى بيت المقــدس

« وعرجنا من يافا Joppa الى بيت المقدس Jerusalem فى رحلة استغر
يومين على طول طريق جبلى ، وصخرى وعلى جانب كبير من الخطورة ، اذ أن العر
يكمنون دائما ويختبئون فى الأماكن المجوفة من الجبال ، والكهوف الصـخرية ، و
يقومون بمراقبة الطريق نهـارا وليـلا ، ودائما عنـد رؤية من بامكانهم مهاجم
واضـعين فى الاعتبـار قـلة الجمـاعة أو أولئك الذين تخلفوا عن جماعتهم ، بف
الارهاق والإجهاد ، وفى خلال لحظة تراهم يقدمون من كل حدب وصوب ، ويختف
من فورهم بصورة كاملة ، وفى امكان أى شخص يقوم بهذه الرحلة أن يرى بنفس
ذلك ... وبالعدد الجثث البشرية الخامدة سواء فى الطريق أو على جانبه اذ تلتم
الوحوش الضارية ، والبعض يتملكه العجب ، اذ كيف ترقد جثث المسيحيين هنـ
دون أن تقبر ، غير أن ذلك ليس مثار تعجب البتة ، ذلك انه لا توجد الا أرض محدو
وليس فى الامكان الحفر فى الصخور فى سهولة ، أضف الى ذلك انه فى حالة وج
الأرض الصالحة ؛ فأين ذلك الأحمق الذى سيكون وحيدا ويترك جماعته ليحفر ق
لرفقائه ، اذ أنه لو فعل ذلك فعندئذ سيحفر قبرا لنفسه لا لرفقائه ، وفى هذا الطر
يتعرض للخطر ليس فقط الفقير والضعيف بل وحتى الثرى والقوى »[1] .

Saewulf, P. 8—9.

ملحق رقم (٣)
وصف دانيال لجبل لبنان

« وهناك جبل ضخم باذخ الارتفاع يقع على الجانب الآخر من بحيرة ديكابوليس Dicapolis وباتجاه الشمال الشرقى ويكسو الثلج قمته حتى خلال فصل الصيف ، ويسمى بجبل لبنان Lebanon ، وينتج عنه عبق لبنان والمادة الصمغية البيضاء فى أشجاره ، وينبع اثنى عشر نهرا كبيرا فيه ، ستة منها تتدفق فى الاتجاه الشرقى ، والستة الآخرين فى الاتجاه الجنوبى ، ويصب الستة الأخيرون فى بحيرة جنيسارت Genesaret ، والستة الآخرون يتجهون صوب انطاكية Antioch العظمى ، وتسمى هذه البلاد ميسوبوتاميا Mesopotamia ، أو بلاد ما بين النهرين نظرا لوقوعها بين الأنهار ٠

ولم يكن فى وسعى الوصول الى جبل لبنان خشية الكفار ، بيد اننى تمكنت من الالمام بفكرة طيبة عنه عن طريق مرشدى المسيحيين الذين عاشوا هناك ، نظرا لسكن العديد من الكفار ذلك الجبل ، وقد اكتفيت برؤيته فحسب واجزاء من بحيرة جنيسارت Genesaret من بعد ، وتبلغ المسافة الواقعة بين بحيرة طبرية Tiberia وبحيرة جنيسارت فرسين ، وتقع الأخيرة شمال شرق مدينة طبرية[1] ٠

(١) Daniel, P. 65—66.

ملحق رقم (٤)

دانيـــال يصـف كنا الجليلية وعـــــكا

« تبلغ المسافة فرس ونصف بين قرية ايساو Esau وكنا Cana في الجـــليل Galiliel . وتقع كنا الجليلية على الطريق الرئيسى ، وهنا حول السيد المسيح المـاء الى خمر ، وقابلنا هنـاك قافلة كبيرة متجهة صـوب عـكا Acre والتحقنا بها فى حبور ، وواصلنا الطريق صوب عكا ، وهى التى كانت عادة فى أيدى العرب ، بيد أنها الآن صارت خاضعة للفرنج ، وهى ذات مرسى جيد ، والمدينة مزودة بصـورة طيبة بكافة الاحتياجات ، وتقع عـكا الى الجنوب من الناصرة Nazareth وتبعد عنها بمسافة ثمانية وعشرين فرس »(١) .

---

(١) Daniel, P. 72.

ملحق رقم (٥)

تناول يوحنا الورزبرجى لفرسان الداوية

« يوجد القصر الذى يقال ان سليمان Solomon بناه ، وبداخله اسطبل عجيب يتسع حجمه لأكثر من اللفين من الخيول أو الف وخمسمائة من الجمال ، وبجوار هذا القصر امتلك فرسان الداوية Templars مبان متصلة ومتسعة ، وايضا منشآت كنيسة كبيرة وجديدة ، وهى التى لم يكتمل بناؤها بعد ، ويمتلك ذلك البيت أملاكا عديدة ، ودخولا طائلة لا تحصى سواء فى تلك البلاد أو فى كافة الأنحاء الأخرى ، ويقدم مبلغا كبيرا من الصدقات الى فقراء المسيح ، لكن لا يصل ذلك الى عشر ما يتم تقديمه من جانب الاسبتارية Hospitallers ، ولبيت الداوية عدد كبير من الفرسان للدفاع عن أرض المسيحيين ، غير أن سوء الطالع لحق بهم ، والواقع اننى لا أعلم عما اذا كان ذلك حقيقى أم باطل ، ذلك أن صيت الداوية الطيب لحق به الطعن من جراء اللوم عل خيانتهم والتى ظهرت بجلاء فى واقع الأمر فيما يتصل بأحداث دمشق تحت قيادة الملك كونراد Conrad »(١) .

---

(١) John of Wurzburg, P. 21.

ملحق رقم (٦)

رحلة القديســة ايو فروزين
الى بيت المقــدس

« ... عند وفاة والديها أرادت القديسة أيوفروزين التى كان قـد مـر على دخولها سلك الرهبنة مرحلة زمنية طويلة أن تزور الأماكن المقدسة فى بيت المقدس وخاصة قبر السيد المسيح ، وكانت تدعو الله أن يحقق لها رغبة دفينة وهى الموت بجوار هذه الأماكن المقدسة .

وعندما علم بذلك رجال الدين والكنيسة المسئولون اجتمعوا عندها محاولين انثنائها عن الرحيل ولكنها هدأت من روعهم بكلماتها التى تفيض بالتعقل والحنان ، فودعها أخوها الأمير فاتشسلوف وزوجته الأميرة وأطفـالهم باكيا وهو يقـول : « أختى العزيزة وأمى لـماذا تريدين فراقنا ؟ فأنت ضـيـاء عينى ومهجـة روحى » فأجابت القديســة « ليس فراقكم ما أريــده ولكنى أريـد أن أدعو الله لى ولكم فى الأراضى المقدسة » .

وبعد فترة وجيزة عهدت بالدير الى أختها أودوكسى ثم ودعت الجميع بعـد أن دعت الله طويلا وتوكلت عليه ليوفقها فى رحلتها الشاقة الى بيت المقدس ، وودعها الجميع بالعبرات ورافقوها حتى بدايـة الطـريق ، وقد رافق القديســة فى رحلتها أخوها الآخر دافيد وقريبة لها تدعى أوفرازى .

وعند وصولها الى مدينة القسطنطينية استقبلت بحفاوة من قبل الامبراطور والبطريرك ، وبعد أن زارت الكنائس المقدسة والعديد من مقابر القديسين اتجهت الى بيت المقدس ، وهناك ذهبت الى قبر السيد المسيح حيث وضعت مصباحا من الذهب الخالص ومنحت الكثير من الهبات الى كنيسة بيت المقدس والطريرك ، وأخذت تدعو بدموع مخلصة صادقة فى جميع الأماكن المقدسة فى بيت المقدس ، ثم أقامت فى دير يسمى روس بجوار كنيسة القديسة العذراء .

وبعد أن فرغت من دعائها خرجت من كنيسة القديسة العذراء واتجهت صوب محل اقامتها حيث أصـابها المـرض ، وعنـدئذ رددت وهى على فراشــها تتوجع : « شكرا لك ياسيدى المسيح لاستجابتك لدعوة خادمتك المتواضعة فلقد منحتنى مـا كنت اتمنى » .

ولقد أرادت القديسة أن تذهب أيضا الى نهر الأردن ولكن مرضها حال دون ذلك ، فبعثت أخاها ديفيد وأفرازى للحصول على ماء من هناك ، وشربت القديسة وهى تشعر بسعادة غامره ، ووضعت من الماء على جسدها ، ثم رقدت مرة أخرى قائلة : بارك الله فى المسيح الذى ينير كل كائن مولود يرى نور الحياة وخلال مرضها رأت رؤيا ملائكية من عند الرب تبشرها بما سوف تنعم به بعد موتها من سعادة وسلام ، فسجدت القديسة لهذه الرؤيا وشكرت الرب على ما أنعم به عليها .

ثم أرسلت الى دير القديس ساباس الشرقى لترجو الارشيمندريت والأخوية أن يمنحوها مكانا تدفن فيه فى ديرهم ، فأجابوها بالرفض : « ان الأب القديس ساباس أمرنا بألا تدفن امرأة فى ديره ، وهناك دير القديسة العذراء فى ثيودوس حيث دفنت عدة قديسات ، مثل أم القديس ساباس وأم القديس ثيودوس وأم القديسين اثارجير وثيودوس وكثيرات ، ولذلك يجب أن تدفن القديسة أيوفروزين معهن » .

وعندما علمت القديسة أيوفروزين بذلك شكرت الرب على أنها سوف تدفن مع رفات القديسات ، فبعثت برسالة لدير القديس ثيودوس ، فأعد الرهبان مكانا لقبرها .

وشعرت القديسة أيوفروزين بعد أربع وعشرين يوما من مرضها ـ شعرت باقتراب الردى ، فأرسلت فى استدعاء القس ، وتلقت سر القربان المقدس ثم فاضت روحها الى بارئها فى ٢٣ مايو ، ودفنت فى دير القديس ثيودوس .

وعاد أخوها ديفيد وقريبتها أوفرازى الى بلادهما ، وداع نبأ وفاة القديسة أيوفروزين ، فبكاها الجميع ، وقرروا أن يحتفلوا بذكراها كل عام شاكرين ومسبحين لله وللابن والروح القدس فى كل وقت وحتى نهاية العالم ، آمين(١) .

---

(١) Euphrosine, PP. 32 - 35.

ملحق رقم (٧)

وصف ثيودريش لعكا

« وبعيدا عن ساحل البحر قبالة اكارون Accaron ، هناك قلعة كبيرة لها نفس الاسم تقع فى بلد ثرى ، وتسمى القلعة الجديدة ، وبالقرب منها هناك غيضة كبيرة من أشجار النخيل ، وتقع بتوليمايس Ptolemais نفسها على بعد ثلاثة اميال ، وهى مدينة عامرة بالسكان ، وذات ثراء كبير ، وأيا كان الأمر ، فان الشاطىء أو الطريق المؤدى الى بتوليمايا شاق ومحفوف بالمخاطر ، وعندما تهب الرياح من جهة الجنوب ترتجف الشواطىء على أثر الصدمات والضربات المتلاحقة التى تتلقاها من الأمواج »(١) ٠

---

(١) Theoderich, P. 59.

ملحق رقم (٨)

بنيامين التطيلى يصف الاسماعيلية النزاوية فى بــلاد الشـــام

« جيلة ، هى بلعجاد الواردة فى التوراة فى سفوح جبل لبنان ، وبظاهرها تقيم الطائفة المعروفة بالحشيشين ، وهم زنادقة لا يؤمنون بدين محمد ، ويتبعون تعاليم شيخهم « قرمط » ، يطيعونه طاعة مطلقة للموت أو الحياة ، يأتمر بأمره سكان الجبل ويسمونه « شيخ الحشيشين » ، امـا مقـامه فحصن يدعى القـدموس أى قدموث الواردة فى التوراة من أملاك سيحون ، وهؤلاء الحشيشيون متضامنون مع بعضهم اذعانا لتعاليم شيخهم ، حتى انهم ليضحون بالنفس طوعا ، ويفتكون بالملوك والأمراء اذا اقتضى ، ومسيرة أراضيهم ثمانية أيام ، وهم فى نزاع مستمر مع النصارى من الافرنج وأمير طرابلس الشام »[١] ٠

---

(١) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٨٨ ٠

ملحق رقم (٩)

بنيامين التطيلى يصف

صـــــور

« صـور الجديدة ، وهى مدينـة جميلة ، لهـا خليج يتوسطها ، بين برجين عظيمين ، تدخله السفن للرسو عند الميناء ، وبين البرجين سلسلة حديد معترضة ، عليها الحراس الأمناء ، يربطونها فى أول الليل فيتعذر على سفن الفرسان سبيل الدخول للسلب والنهب من البر أو البحر ، وليس فى بلاد الدنيا ما يقابل هذا الميناء شأنا » .

ويقيم فى هذه المدينة نحو ٤٠٠ يهودى ، بينهم جماعة من العلماء العـارفين بالتلمود ، منهم الربيون افـرايم المصرى القاضى ، ومئير القرقشونى ، والرئيس ابراهيم ، وبين يهود صور من يمتلك السفائن التى تجوب البحار ، ومنهم من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصورى الشهير فى العالم ، وفيها كذلك السكر الجيد »(١) .

(١) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٩١ ــ ص ٩٢ .

ملحق رقم (١٠)

بنيامين التطيلى يتنـاول
عناصر الاسبتارية والداوية

« وفى القدس مستشفيان يتسعان لايواء أربعمائة من فرسان الاسبتارية ، عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم فى الحياة وبعد الممات ، وفيها أيضا البنـاية المسماه « معبد سليمان » ، ويزعم البعض انها من انقاض مقدس الملك سليمان (ع) ويقيم فى هذه البناية نحو ثلاثمائة من فرسان المعبد يمارسون فنون الحـــرب والقتــال »(١) ٠

---

(١) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٩٩ ـ ص ١٠٠ ٠

ملحـق رقم (١١)

عسقلان من خلال رحلة

بنيامين التطيلى

« عسقلان ، قسمها القديم خراب ، يبعد عن عسقلان الجـديدة بنحو اربعـة فراسخ ، وكانت قديما تسمى « بنى براق » ، ويقال ان مجدد بنائها عزرا الكاهن (ع)، أما عسقلان الجديدة فهى اليوم مدينة عامرة جميلة الموقع على ساحل البحر ، يؤم ميناءها عدد غفير من التجار لقربها من حدود مصر ، ويقيم فيها نحو مائتى يهودى من الربانيين ، بينهم الربيون صمح وهرون وسليمان ، ونحـو الأربعين من اليهود القرائين ، وثلاثمائة من الكوتيين (السامريين) »[١] ٠

---

(١) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ١٠٩ ٠

ملحق رقم (١٢)

اليهود فى بيت المقدس
وفقا لرحلة بنيامين التطيلى

«بيت المقدس هى بلدة صغيرة عظيمة التحصين ، تحيط بها ثلاثة أسوار ، وفيها عدد كبير من اليعاقبة ، والسريان ، والأرمن ، واليونان ، والكرج ، والأفرنج ، خليط من كل أمة ولسان ، وفيها معمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس سنويا ، فتنحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم ، ويبلغ عددهم فى هذه المدينة نحو المائتين ، يقيمون فى حى مجاور لبرج داود»[1] ·

(١) بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص ٩٩ ·

ملحـق رقم (١٣)

بتاحيا الراتسبونى فى طبرية وصـفورية

« وقـد عبر المربى بتاحيا الأردن كما ذكر الحكماء ، ثم خرج من الأردن فى اتجاه طبرية ، وهناك وجد طائفة يهودية كبيرة ، ذلك أنه كانت هناك طوائف يهودية فى أرض اسرائيل ، وفى طبرية يوجد المعبد الذى بناه يشوع بن نون ، وفى مدينة صفورية مدفون سيدنا أو معلمنا موسى ، وهناك رائحة زكية تفوح من قبره بحيث تشم من على بعـد ميل من ذلك الموضع ، وعلى حوالى ذراع من قبر النبى موسى ، يوجد قبر رجـل عالم ، الا وهو المربى نهورائى ، وله ابن حكيم يسمى الربى يهودا على اسم الربى يهودا هناس ، وكان المربى نهورائى طبيبا وتجرا للعطور فى السوق واعتاد أبناؤه الجلوس أمامه فى متجره ، وهو رجل حكيم وصالح »[1] ·

(١) Petachia, P. 391.

ملحق رقم (١٤)

بتاحيا الراتسبونى فى الجليل
الأعلى وأهم المزارات
اليهودية هنـاك

« وقد ارتحل الربى بتاحيـا الى الجليل الأعلى ، وهنـاك جبـل بركانى باذخ الارتفاع ، حيث يوجد قبر النبى عوفديا Abadias ، وفى منتصف الجبل يوجـد قبر يشوع بن نون Joshua B. Non والى جانبـه يقع قبر ابن يفـونه ، وينبع بئر بالقرب من قبرهما مياهه عذبة مصدرها الجليل ، وتوجد بعض أماكن للراحة الى جوار هذه المقابر وكلها تم تشييدها من الحجارة ، شأنها فى ذلك شأن كافة المبانى المقامة فى أرض اسرائيل »(١) ٠

(١) Petachia, P. 395.

ملحق رقم (١٥)

اعداد اليهود فى كل من بيت المقدس وطبرية ودمشق وفق رحلة بتاحيا الراتسبونى

« ... وبعد ذلك ارتحل الى بيت المقدس ، ولم يجد هناك سوى شخص يهودى هو الربى ابراهيم هلتسيفع ، وقد كان يدفع ضرائب باهظة للملك الذى كان يحكم المدين حينذاك ، وقد اصطحبه الربى ابراهيم لرؤية جبل الزيتون » .

« وقد عبر الربى بتاحيا الأردن كما ذكر الحكماء ، ثم خرج من الأردن فى اتجاه طبرية وهناك وجد طائفة يهودية كبيرة ، وذلك أنه كانت هناك طوائف يهودية فى ارض اسرائيل ، على الرغم من انه لم يكن هناك فى هذه المنطقة سوى مائتين او ثلاثمائة من اليهود » .

« .... ومن حلب ارتحل الى دمشق وهى مدينة كبيرة يحكمها ملك مصر فى تلك الآونة ، ويسكنها ما يقرب من عشرين الف يهودى ، وكان رئيس الطائفة هناك الربى عزرا »[1] .

---

(١) Petachia, P. 387, P. 389, P. 399.

ملحق رقم (١٦)

ابن جبير يصف عكا

« هى قاعدة مدن الافرنج بالشام ، ومحط الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، مرفأ كل سفينة ، والمشبهة فى عظمتها بالقسطنطينية ، مجتمع السفن والرفاق ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق ، سككها وشوارعها تغص بالزحام ، وتضيق فيها مواطىء الأقدام ، تستعر كفرا وطغيانا وتفور خنازير وصلبانا ، زفرة قذرة ، مملوءة كلها رجسا وعذرة ، انتزعها الافرنج من أيدى المسلمين فى العشر الأول من المائة السادسة ، فبكى لها الاسلام ملء جفونه وكانت أحد شجونه ، فعادت مساجدها كنائس ، وصوامعها مضاربها للنواقيس وطهر الله من مسجدها الجامع بقعة بقيت بأيدى المسلمين مسجدا صغيرا ، يجتمع الغرباء منهم فيه لاقامة فريضة الصلاة ، وعند محرابه قبر صالح النبى ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء ، فحرس الله هذه البقعة من رجس الكفرية ببركة هذا القبر المقدس »(١) .

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ .

ملحق رقم (١٧)

وصف ابن جبير لصور

« مدينة يضرب بها المثل فى الحصانة ، لا تلفى لطالبها يد طاعة ولا استكانة ، قد أعدها الافرنج مفزعا كارثة زمانهم ، وجعلوها مثابة لأمانهم ، هى أنظف من عكا سككا وشوارع ، وأهلها الين فى الكفر طبائع ، واجرى الى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازع ، فخلائقهم أسجح ومنازلهم أوسع وافسح ، واحوال المسلمين بها اهون وأسكن ، وعكا أكبر وأطغى وأكفر » .

« وأما حصانتها ومناعتها فأعجب ما يحدث به ، وذلك انها راجعة الى بابين : أحدهما فى البر ، والآخر فى البحر ، وهو يحيط بها الا من جهة واحدة ، فالذى فى البر يفضى اليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة ، كلها فى ستائر مشيدة محيطة بالباب ، وأما الذى فى البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين الى مرناء ليس فى البلاد البحرية أعجب وضعا منها ، بحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ، ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجص ، فالسفن تدخل تحت السور ، وترسو فيها ، وتعترض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها ، وعلى ذلك الباب حراس وأمناء ، لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الا على أعينهم ، فشأن هذا الميناء شأن عجيب فى حسن الموضع »(١) .

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧ ــ ص ٢٧٨ .

ملحــق رقم (١٨)

وصــف ابن جبير لطبرية

« وعلى بادية طبرية اختلاف القوافل من دمشق لسهولة طريقها ، ويقصد بقوافل البغال على تبنين لوعورتها وقصد طريقها ، وبحيرة طبرية مشهورة ، وهى ماء عذب، وسعتها نحو ثلاثة فراسخ أو أربعة ، وطولها نحو ستة فراسخ ، والأقوال فيهـا تختلف ، وهذا القول أقربها الى الصحة ، لأننا لم نعاينها وعرضها أيضا مختلف سعة وضيقا ، وفيها قبور من قبور الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، كشعيب وسليمان ويهوذا وروبيل وابنه شعيب زوج الكليم موسى وغيرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وجبل الطور منها قريب »[1] ٠

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٨٢ ٥

ملحـق رقم (١٩)

العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين من خــلال ابن جبير

« واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع ، واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك ، وتجار النصـارى أيضـا لا يمنع أحـد منهم ولا يعترض ، والنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها فى بلادهم ، وهى من الأمنة على غاية • وتجار النصارى أيضا يؤدون فى بلاد المسلمين على سلعهم ، والاتفاق بينهم والاعتدال فى جميع الأحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس فى عافية ، والدنيا لمن غلب »[1] •

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦٠ •

ملحق رقم (٢٠)

وصف الادريسى لعكا وعسقلان

« ومن حيفا الى مدينة عكا مرحلة فى البر ، وهى من الأميال ثلاثون ميلا ، وفى البحر رؤوسية ثمانية عشر ميلا ، ومدينة عكا كبيرة واسعة الأرجاء كثيرة الضياع ، ولها مرسى حسن مأمون وناسها أخلاط ، فمن طبرية الى عكا يومان ، ومن عكة الى حصن الزيب اثنا عشر ميلا ، وهو حصن حسن على ضفة البحر الملح »[1] ٠

« وأما مدينة عسقلان فهى مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق وليس لها من خارجها بساتين ، وليس بها شىء من الشجر ، واستفتحها صاحب القدس بعساكر الروم من الافرنج وغيرهم فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وهى الآن بأيدهم وعسقلان معدودة فى أرض فلسطين » ٠

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٦٥ ٠

ملحق رقم (٢١)

تناول الادريسى لوادى جهنم
وما به من كنائس وادية

« واما ما يلى بيت المقدس فى ناحية الجنوب ، فانك اذا خرجت من باب صهيون ، وسرت مقدار رمية حجر وجدت كنيسة صهيون ، وهى كنيسة جليلة حصينة وفيها العلية التى أكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية الى الآن ولها ميعاد فى يم الخميس ومن باب صهيون تنزل فى خندق يعرف بوادى جهنم ، وفى طرف الخندق كنيسة على اسم بطرس وفى هذا الخندق عين السلوان وهى العين التى أبرأ بها السيد المسيح الضرير الأعمى ، ولم يكن له قبل ذلك عينان ، ومن هذه العين المذكورة الى الجنوب الحقل الذى يدفن فيه الغرباء ، وهى أرض اشتراها السيد لذلك وبقربها بيوت كثيرة منقورة فى الصخر وفيها رجال قد حبسوا أنفسهم عبادة »[1] ٠

---

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٦٢ ٠

ملحـق رقم (٢٢)

كنيسة القيامة عنـد الادريسى

« واذا دخل الداخل من باب المحراب وهو الباب الغربى كما قلناه يسير نحو المشرق فى زمان شـارع الى الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسـة القيامة ويسميها المسلمون قمامة وهى الكنيسة المحجوج اليها من جميع بلاد الروم التى فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيدخل من باب فى غربها فيجد نفسه فى وسط القبة التى تشتمل على جميع الكنيسة ، وهى من عجائب الدنيا ، والكنيسة أسفل ذلك الباب ولا يمكن أحدا النزول اليها من هذه الجهة ، ولها باب وفى جهة الشمال ينزل منه الى أسـفل الكنيسة على ثلاثين درجة ، ويسمى هذا الباب باب شنت مريه ، وعند نزول الداخل الى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة العظمى ، ولها بابان وعليها قبة معقودة ، قـد اتقن بنيانها ، وحصن تشييدها ، وأبدع تنميقها ، وهذان البابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب شنت مريه والباب الآخر يقابله من جهة الجنوب ويسمى باب الصلوبيـة وعلى هذا الباب قنبنار الكنيسة ويقابلها من جهة الشرق كنيسة عظيمة كبيرة جـدا يقدس فيها افرنج الروم ويقربون »[1] .

---

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٥٨ ـ ص ٣٥٩ .

ملحق رقم (٢٣)

وصف الادريسى لعدد من الكنائس
فى بيت المقدس ووادى الاردن

« اذا خرجت من باب الأسباط سرت فى حدود مقدار رمية سهم فتجد كنيسة كبيرة حسنة جدا على اسم السيدة مريم ويعرف المكان بالجسمانية ، وهناك قبرها بيصر جبل الزيتون ، وبينه وبين باب الأسباط نحو ميل ٠

وفى طريق الصعود الى هذا الجبل كنيسة عظيمة حسنه متقنة البناء تسمى كنيسة باتر نصتر وعلى أعلى الجبل كنيسة أخرى حسنة معظمة وفيها رجال ونساء محبوسون يبتغون بذلك أجر الله سبحانه ، وفى شرقى هذا الجبل المذكور منحرفا قليلا الى الجنوب قبر العازر الذى أحياه السيد المسيح وعلى ميلين من جبل الزيتون القرية التى جلب منها الأتان لركوب السيد المسيح عند دخوله الى أورشليم وهى الآن خراب لا ساكن فيها ٠

وعلى قبر العازر يؤخذ طريق وادى الأردن وبين وادى الأردن وبيت المقدس مسافة يوم واحد ، ومن قبل أن تصل الى وادى الأردن مدينة ريحا السابق ذكرها وبينها وبين الوادى ثلاثة أميال وعلى الوادى المسمى الأردن كنيسة عظيمة على اسم شنت يوحنا يسكنها رهبان الاغريقيين »[١] ٠

---

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، جـ٤ ، ص ٣٦١ ٠

ملحـق رقم (٢٤)

أسامة بن منقذ يصـف معرفة الصليبيين الطبية

« ومن عجيب طبهم أن صـاحب المنيطرة كتب الى عمى يطلب منه ايفاد طبيب يداوى مرضى من أصحابه ، فأرسل اليه طبيبا نصرانيا يقال له ثابت ، فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له « ما أسرع ما داويت المرضى » ، قال « أحضروا عندى فارسـا قـد طلعت فى رجله دملة ، وامرأة قـد لحقها نشاف » ، فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة وصلحت ، وحميت المرأة ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجى فقال لهم (هذا ما يعرف شيء يداويهم) وقال للفارس (أيما أحب اليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين ؟) قال (أعيش برجل واحدة) قال (احضروا لى فارسا قويا وفأسا قاطعا) فحضر الفارس والفأس ، وأنا حاضر ، فحط ساقه على قرمة خشـب وقال للفارس (اضرب رجله بالفـأس ضربة واحـدة اقطعها) فضربه ، وأنا أراه ضربة واحـدة ما انقطعت ، ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته وأبصر المرأة فقال (هذه امرأة فى رأسها شيطان قد عشقها احلقوا شعرها) فحلقوه ، وعادت تأكل من مأكلها الثوم والخردل ، فزاد بها النشاف فقال (الشيطان قد حل فى رأسها) فأخـذ الموس وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت فى وقتها ، فقلت لهم (بقى لكم على حاجة ؟) قالوا (لا) فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم أكن أعرفه[1] ٠

---

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ ٠

ملحـق رقم (٢٥)

من امثلة الزلازل التى اجتاحت بلاد الشام فى القرن السادس هـ/ الثانى عشرم من خلال ابن القلانسى

« فى ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وخمسين وخمسمائة الموافق اليوم السابع والعشرين من أيلول ، فى الساعة التالية منها ، وافت زلزلة عظيمة ، رجفت بها الأرض ثلاث أو أربع مرات ، ثم سكنت بقدرة من حركها وسكنها ، سبحانه وتعالى من مليك قادر ظاهر ، ثم وافى بعد ذلك ليلة الأربعــاء الثــانى وعشرين من شعبان المذكور ، زلزلة هائلة ، وجاءت قبلها وبعدها مثلها فى النهار وفى الليل ، ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن ، بحيث أحصين ســت مرات ، وفى ليلة الســبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور ، جاءت زلزلة ارتاع الناس منها ، فى أول النهار وآخره ، ثم سكنت بقدرة محركها ، سبحانه وتعالى ٠

وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماه ، بانهدام مواضع كثيرة ، وانهدام برج من ابراج افامية بهذه الزلازل الهائلة ، وذكر أن الذى احصى عدده منها تقــدر الأربعين ، على ما حكى والله تعالى أعلم ٠ وما عرف مثل ذلك فى السنين المــاضية ، والأعصر الخالية ، وفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من الشهر بعينه ــ شعبان ــ وافت زلزلة تتلو ما تقدم ذكره آخر النهار ، وجاءت فى الليل ثانية فى آخره ، ثم وافى فى يوم الاثنين اول شهر رمضان من السنة زلزلة مروعة للقلوب وعاودت ثانية وثالثة ثم وافى بعد ذلك فى يوم الثلاثاء ثلاث زلازل ، احداهن فى أوله هائلة ، والثانيــة والثالثة دون الأولى ، وأخرى فى وقت الظهر مشاكلة لهن ، ووافى بعد ذلك اخرى هائلة أيقظت النيام وروعت القلوب انتصاف الليل ، فسبحان القادر على ذلك »[١] ٠

---

(١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، صـ ٥١٤ ٠

قـائمة المختصرات

قائمة المختصرات

A.H.R. : American Historical Review.

A.O L. : Arshives de l'Orient Latin.

B.E.O : Bulletin des Etudes Orientales.

B.I.A.C.C. : Bulletin of The Israeli Academic Center in Cairo.

B.S.O.A.S. : Bulletin of The School of Oriental and African Studies.

C.M H. : Cambridge Medieval History.

C.S H.P. : Corpus Scriptorum Historia Pyzantinae.

I C. : Islamic Culture.

.JA. : Journal Asiatique.

J.J.S. : Journal of Jewish Studies.

J.R.A.S. : Journal of The Royal Asiatic Society

M.H. : Medical History.

M.W. : Muslim World.

P.E F. : Palestine Exploration Fund.

P.G. : Patrologia Graecia.

P.L. : Patrologia Latina.

P.O. : Patrologia Orientalia

P.P.T.S. : Palestine Pilgrims Text Society.

R.B. : Revue Biblique.

R.E.A. : Revue des Etudes Arabes.

R.H.C. : Hist. Occ. : Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.

R.O.L. : Revue de L'Orient Latin.

Z.D.P.V. : Zertschrift des Deutschen Palestine Vereins.

قائمـــة المصــادر والمراجع

أولا : المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية(١)

- Adomnan of Lona, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

- Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. by Hubert, New York 1943.

Anastasius IV grants privileges to the Knights of St. John (1154) in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903.

- Annales Regni Francorum, in Loyn and percival The Reign of Charlemagne, documents on Carolingian government and administration, London 1975.

Anonymous, The deeds of The Franks and other pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962.

Anonymous Syriac Chronicle, Trans. by Tritton, J.R.A.S., part II, April 1933.

Antonius Martyr, The Holy Places visited by Antonius Martyr, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. II, London 1896.

Baldric if Dol, English Trans. in Peters, The First Crusade, Philadelphia 1971.

Benjamin of Tudela, in Wright, Early Travels in Palestine, London 1848.

Bernard the Wise, The Itinerary of Bernard The Wise, Trans. by J.D. Benard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.

Breviarius of Jerusalem, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

Burchars of Mont sion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1896.

Cinnamus, Epistome Historiorum, in C.S.H.P., Bonn 1836.

(١) استعنت بالترجمة الانجليزية لأغلب تلك المصادر ٠

— Commorotorium on The Churches of Jerusalem, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

— Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895.

— Epiphanius The Monk, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977

— Eracle, Estoire d'Eracle, in R.H.C., Hist. Occ., T II, Paris 1859.

— Ernoul, Ernoul's Account of Paestine, Trans. by Conder, P.P.T.S., Vol. VI, London 1896.

— Eucherius, The Epitome of St. Eucherius about certain Holy Places, Trans. bp Aubrey Stewart, London 1890, also in Wilkinson, Jerusalem Pilgrins before The Crusades, London 1977.

— Euphrosine, Pelerinage en Palestine, Trans. by De Khitrowo, R.O.L., T. III, Année 1895.

— Eusebius, Extraits from Eusebius Life of Constantine, Trans by John Bernard, P.P.T.S., Vol. I, London 1896.

— Felix Fabri, The Book of Wanderings of Brother Felix Fabri, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. IX, London 1897.

— Fetellus, Description of The Holy Land, Trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S. Vol. V, London 1897.

— Fulcher of Chartres, Hist. of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Univ. of Tennesse, U.S.A. 1969.

— Godffrey of Vinsauf, Hist. of The Expedition of Richard Coeur de Lion, in Chronicles of The Crusades, London 1903.

— Guilbert of Nogent, in Peters The First Crusase, Pennsylvania 1971.

— Jacques de Verone, La Pelerinage de Moine Augustin Jacques de Verone, publié par Ruhricht, R.O.L T. III, Année 1895.

— Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XI, London 1896.

Jean de Joinville, The Life of Saint Louis, in Chronicles of The Crusades, Pengiun Books, Trans. by Shaw, London 1976.

- Jerome, The Pilgrimage of The Holy Places by St. Jerome, Trans. by Aubrey Stewart. P.P.T.S., Vol. I, London 1896.

- Joannes phocas, Abrief Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

- John de Villiers, A letter of John de Villiers, Master of The Hospital describing The Fall of Acre, in King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930.

- John of Wurzburg, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S.. Vol. V, London 1896.

- John Rufus, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

- Ludolph Von Suchem, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1895.

Marino Santo, Secrets for True Crusaders to help them to recover The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896.

Péthachia de Ratisbonne. Tour du Monde, Ou Voyages du Rabbin péthachia de Ratisbonne dans Le XII Siècle, J.A., Année 1881.

Ralph Glaber, Historiorum, English Trans. in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

Raymond d'Aguiliers, English, Trans. in Peters, The First Crusade, Pennsylvania 1971.

Robert The Monk, English Trans. in Peters, The First Crusade, Pennycylvania 1971.

- Saewulf, Pilgrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. IV, London 1896.

— The Itinerary of The Bordeau Pilgrim, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol I, London 1896.

— The Letter of Paula and Eustocium to Marcella about The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P T.S., Vol. I, London 1896.

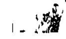
— Theoderich, Description of The Holy Places. Trans by Aubrey Stewart, P P.T.S., Vol. V, London 1896.

— Theodosius, The Topography of The Holy Land, Trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.

— William of Tyre, A History of The deeds done beyond The Sea, Trans. bp Babcok and Krey, New York 1943.

— Willibald, Hodoeporicon, Trans. by Brownlow. P.P.T.S., Vol. III, London 1892.

ثانيا : المخطوطات العربيــة



الحنبلى : (أحمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)
شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٣١ ٠

الخالدى : (بهاء الدين محمد بن لطف الله ت ٩٢٧هـ/ ١٢٧١م)
المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ ٠

السلامى : (شهاب الدين أحمد ـ غير معروف تاريخ الوفاة)

مختصر التواريخ
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ ٠

ثالثا : المصادر العربية والمعربة

ابن أبى الفضائل (مفضل بن أبى الفضائل ق ٨هـ/١٤م)
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد
تحقيق بلوشيه ، الباترولوجيا الشرقية ، الجزء الثانى عشر
P.O, T. XII

ابن الأثير (عز الدين محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
الكامل فى التاريخ
ط٠ القاهرة ١٢٩٠هـ ، ١٣٤١هـ
التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل
تحقيق عبد القادر طليمات
ط٠ القاهرة ١٩٦٣م

ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية
تحقيق صلاح الدين المنجد
ط٠ القاهرة ١٩٦١م ٠

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
الرحلة المسماه ، تحفة النظار فى عجائب الأمصار
ط٠ بيروت ١٩٦١م ٠

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ/١٤٦٩م)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
ط٠ القاهرة ١٩٣٥م

ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)
الرحلة المسماه ، تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسفار
ط· بيروت ١٩٨٠م

ابن الجوزى (ابو الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)
المنتظم فى تاريخ الملوك والامم
الجزء التـاسع
ط· حيدر أباد الدكن ١٣٥٩هـ

ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه
الجزء الأول ، تحقيق محمد محمد أمين
ط· القاهرة ١٩٧٦م

ابن حماد (ابو عبد الله محمد بن على ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م)
اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم
تحقيق التهامى نفره وعبد الحليم عويس
ط· القاهرة ١٤٠١هـ

ابن حزم (ابو محمد على بن احمد ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)
طوق الحمامة فى الالفة والألاف
تحقيق الطاهر مكى
ط· القاهرة ١٩٧٧م

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
صورة الأرض
تحقيق دى جويه
ط· ليدن ١٩٦٧م

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
ط· القاهرة ١٩٤٨م

ابن الراهب (بطرس بن ابى الكرم ت ٦٦٩هـ/١٢٧٠م)
تاريخ ابن الراهب
تحقيق شيخو
ط· بيروت ١٩٠٧م

ابن رسته (ابو على احمد بن على ت ق ٤هـ/ق ١٠م)
الأعلاق النفيسة
ط· ليدن ١٨٩١م

ابن سعيد المغربى (على بن موسى ت ٦٧٢هـ/١٢٧٥م)
بسط الأرض فى الطول والعرض
تحقيق خوان خنيس
معهد مولاى الحسن
تطوان ١٩٥٨م
كتاب الجغرافية
تحقيق العربى
ط· بيروت ١٩٧٠م

ابن شاهنشاه (محمد بن تقى الدين عمر صاحب حماه ت ٦١٧هـ/١٢٢٢م)
مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق حسن حبشى
ط· القاهرة ١٩٦٨م

ابن شاهين (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تحقيق بول رافيس
ط· باريس ١٨٩٤م

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد ت ٨١٥هـ/١٤١٢م)
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب
تحقيق الياس سركيس
ط· بيروت ١٩٠٩م

ابن شـــداد (القاضى بهاء الدين ٦٣٢هـ/١٢٢٤م)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية
تحقيق جمال الدين الشيال
ط· القاهرة ١٩٦٤م

ابن شـــداد (عز الدين ابو عبد الله ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
الأعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة
جـ٢ ، تحقيق سامى الدهان
ط· دمشق ١٩٥٦م

ابن الصابونى (ابو حامد محمد بن على ٦٨٠هـ/١٢٨١م)
تكملة اكمال الاكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب
تحقيق مصطفى جواد
ط· بغداد ١٩٥٧م

ابن عبدالحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع
تحقيق محمد البنجاوى
ط· القاهرة ١٩٥٤م

ابن عبد الظاهر (محيى الدين ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)
تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور
تحقيق مراد كامل

ط. القاهرة ١٩٦١م
الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر
تحقيق عبد العزيز الخويطر
ط. الرياض ١٩٧٦م

ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم ت. ٦٦٠هـ/١٢٦١م)
زبدة الحلب من تاريخ حلب ،
الجزء الثانى ، تحقيق سامى الدهان ،
المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ،
ط. دمشق ١٩٥٤م .
الجزء الثالث ، تحقيق سامى الدهان
ط. دمشق ١٩٦٨م
سيرة راشد الدين سنان ،
تجقيق برنارد لويس ،
R.E.A., T. VIII,
Année 1966
بغية الطلب فى تاريخ حلب ،
القسم الخاص بتراجم الامراء السلاجقة
تحقيق على سويم
الجمعية التاريخية التركية
ط. أنقرة ١٩٧٦م .
ثلاثة تراجم من بغية الطلب
تحقيق برنارد لويس
Melanges Fuad Koprulu
ط. استانبول ١٩٥٣م .

ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن ت ٥٧١هـ/١١٧٦م)
ولاة دمشق فى العصر السلجوقى
تحقيق صلاح الدين المنجد
مجلة المجمع العلمى بدمشق ،
م (٢٤) ، ج (٤) عام ١٩٤٩م

ابن الفــرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)
تاريخ الدول والملوك
المجلد الخامس / الجـزء الأول
تحقيق الشـــماع
ط. البصرة ١٩٧٠م .

ابن قاضى شـهبة (تقى الدين أحمد ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م)
الكواكب الدرية فى
الســيرة النـورية
تحقيق محمود زايد ،
ط. بيروت ١٩٧١م .

ابن القـــلانسى (ابو يعلى حمزه ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)
ذيل تاريخ دمشق
تحقيق اميدروز
ط. بيروت ١٩٠٨م .
تحقيق ســهيل زكار
ط. دمشق ١٩٨٣م .

ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على
ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)
مقتطفات من تاريخ مصر
R.H.C., Hist. Or., T. III

ابن ناظـر الجيش (تاج الدين عبد الرحمن
ت ق ٨هـ/١٤م)
تثقيف التعريف بالمصطلح
الشـــــريف
تحقيق رودلف فسـلى

المعهد الفرنسى للآثار
الشرقيـــة
القاهـــــرة ١٩٨٧م ٠

ابن الوردى (أبو حفص زين الدين عمر ت ٧٤٢/١٣٤٩م)
تتمة المختصر فى أخبار البشر
ط٠ بيروت ١٩٧٠م ٠

ابو الفـــــداء (اسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
تقـــويم البـــلدان
تحقيق رينوودى ســـلان
ط٠ باريس ١٨٤٠م ٠
المختصر فى أخبـــار البشر
ط٠ اســـتانبول ١٢٨٦ هـ ٠
ط٠ بيروت ١٩٦٠م ٠

الادريسى (الشريف الادريسى ت ٦هـ/١٢م)
نزهـــة المشـــتاق الى
اخـــتراق الآفـــاق
تحقيق جابريلى ودبلافيلا
ط٠ نابولى ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧م

اســـامه بن منقـــذ (مؤيد الدولة ابو المظفر ت ٥٨٤هـ/١١٨٥م)
كتـــاب الاعتبـــــار ،
تحقيق فيليب حـــتى ،
ط٠ برنســـــتون ١٩٣٠م
ط٠ بيـــروت ١٩٨١م ٠

بنيامين التطيلى (ابن يونه التطيلى النبارى ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)
الرحلة ،
ت· عزرا حداد
ط· بغداد ١٩٤٩م ·

بيبرس الدوادارى (ركن الدين ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)
زيدة الفكرة من تاريخ الهجرة ·
تحقيق زبيدة عطا ،
رسالة دكتوراة غير منشورة
ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
عام ١٩٧٢م ·

البيرونى (أبو الريحان ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
الآثار الباقية عن القرون الخالية
تحقيق سخاو
ط· لبزج ١٩٢٣م ·

الحنبلى (مجير الدين ت القرن ١٠هـ/١٦م)
الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل
تحقيق محمد بحر العلوم
ط· النجف ١٣٨٧هـ ، ط· عمان

الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)
مفاتيح العلوم
ط· القاهرة ١٩٨١م ·

الذهبى (الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)
العبر فى خبر من غبر
الجزء الرابع ، تحقيق صلاح الدين المنجد
ط· الكويت ١٩٦٣م

رايموند اجيل تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس
ت٠ حسين محمد عطية
ط٠ الاسكندرية ١٩٩٠م ٠

الزهرى (أبو عبد الله محمد ت أواسط القرن ٦هـ/١٢م)
كتاب الجغرافية
تحقيق محمد حاج صادق
B E.O.. T. XXI,
Année 1968

سبط بن الجوزى ((أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ،
ج (٨) ، ق (١) ،
ط٠ حيدر أباد الدكن ١٩٥١م

السيوطى (أبو عبد الله محمد المنهاجى السيوطى ت ٨٨٠هـ/١٤٨٥م)
اتحاف الاخصا بفضائل
المسجد الأقصى ،
القسم الأول ،
تحقيق أحمد رمضان أحمد
ط٠ القاهرة ١٩٨١م ٠

الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)
الديارات
تحقيق كوركيس عواد
ط٠ بغداد ١٩٨١م ٠

شافع بن على (ناصر الدين شافع بن علي بن عباس الكاتب ت ٧٣٠هـ/
١٣٣٠ م)

حسن المناقب السرية
المنتزعة من السيرة الظاهرة ،
تحقيق عبد العزيز الخويطر
ط. الرياض ١٩٧٦م .

شيخ الربوة الدمشقي (أبو طالب الأنصاري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،
تحقيق مهرن ،
ط. بطرسبرج ١٨٣٥م .

العثماني (صدر الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٧٨٠هـ/١٣٨٥م)
تاريخ صفد
تحقيق برنارد لويس
B.S.O.A.S., Vol. XV, 1953.

العظيمي (محمد بن على ت ٥٥٦هـ/١١٦١م)
تاريخ العظيمى
Azimi Tariki
تحقيق على سويم
ط. انقرة ١٩٨٨م .

العماد الأصفهاني (محمد بن محمد ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)
الفتح القسى في الفتح القدسى ،
تحقيق محمد صبيح
ط. القاهرة ١٩٦٥م
ط. القاهرة ب ـ ت .

عماد الدين الأصفهاني (القاضي عماد الدين ت ب بعد عام ٥٩٣هـ/١١٩٦م)
البستان الجامع لجميع

تواريخ الزمـــــان
تحقيق كلود كاهن
B.E.O., T. VII—VIII
Années 1957 1958

العمـــــــرى (شـهاب الدين أحـمد بن يحيى ت ٧٤٢ هـ/١٣٤٢م)
مســـالك الأبصـــار فى ممالك الأمصـــار ،
الجـــزء الأول
تحقيق أحمد زكى
ط· القاهـــرة ١٩٢٤م ·

الفتح البنـــدارى (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)
سـنا البـرق الشـــامى
تحقيق فتحيـة النبـراوى
ط· القاهـــرة ١٩٧٩م ·

القـــزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
آثـار البـلاد وأخبـار العبـاد
ط· بيـروت ١٩٦٠م ·

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
صـبح الأعشى فى صـناعة الانشـاء
ط· القاهـــرة ١٩١٣م ·

الكتاب المقدس خاصة العهد الجديد ، وأفدت منه فى صورة كتاب العهد
الجديد ، ط· القاهرة ب · ت
تم طبعة أخرى بعنوان :
الانجيل كتاب الحياة
ترجمة تفسيرية
ط· القاهرة ١٩٨٩م

لسان الدين بن الخطيب (لسان الدين بن محمد ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)
الاحاطة فى اخبار غرناطة
ط٠ القاهرة ب ـت

مجهول الاستبصار فى عجائب الأمصار
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد
ط٠ الاسكندرية ١٩٥٨م

مجهول قصة حملة الأمير ايغور
ت٠ خميس حرج
ط٠ موسكو ١٩٨٩م

المقدسى (شمس الدين ابو عبد الله ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)
احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
تحقيق دى جويه
ط٠ ليدن ١٩٠٩م ، ط٠ ١٩٦٧م

المقرى (احمد بن محمد المقرى التلمسانى ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
ط٠ القاهرة ١٩٤٩م

المقريزى (تقى الدين احمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)
اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
جـ٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد
ط٠ القاهرة ١٩٧١م

ناصر خسرو (ناصر خسرو بن حارث القباديانى ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)
سفر نامة

ت. الخشاب
ط. القاهرة ١٩٤٥م
ت. احمد خالد البدنى
ط. الرياض ١٩٨٣م

الهروى (ابو الحسن على بن ابى بكر ت ٦٢١هـ/١٢١٥م)
مقتطفات من رحلته
نشر تشارلز شيفز
A.O.L., T. I, Année 1881

اليافعى (ابو محمد عبد الله بن اسعد ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان
جـ٣ ، ط. حيدر اباد الدكن ١٣٤٨هـ

ياقوت الحموى (شهاب الدين بن ابى عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
معجم البلدان
تحقيق وستنفيلد
ط. ليزج ١٨٨٩م ، ط. بيروت ب ـ ت
المشترك وضعا والمفترق صقعا
ط. بيروت ١٩٨٦م

اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م)
كتاب البلدان
تحقيق دى جويه
ط. ليدن ١٩٦٧م

رابعا : المراجع العربية والمعربة

آدم سميث — الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة
ط بيروت ب ـ ت

ابراهيم خميس (د.) — العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين من ١١٩٣ الى ١٢٩١م/٥٨٩ ـ ٦٩٠هـ

رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م

ابو الفرج العش — آثارنا فى الاقليم السورى
ط دمشق ١٩٦٠م

احمد الحفناوى (د.) — « الصراع من اجل صيدا فى العصر الوسيط »
مجلة المنهل ، م (٤٦) عام ١٩٨٣م

احمد رمضان احمد (د.) — الرحلة والرحالة المسلمون
ط. جدة ب ـ ت
المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية
ط. القاهرة ١٩٧٧م

« حول وسائل الصراع الاسلامى ـ الصليبى فى العصور الوسطى »
مجلة المستقبل العربى ، عدد (٨) عام ١٩٨٧م

احمد شلبى (د.) — اليهودية
ط. القاهرة ١٩٨٤م

أحمد عيسى (د٠) البيمارستانات فى الاسلام
ط٠ دمشق ١٩٧٩م

ارشيبالد لويس القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط
ت٠ أحمد عيسى
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

أسامه زكى زيد (د٠) الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية (القرن ١٢م/٦هـ)
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٠م
صيدا ودورها فى الصراع الاسلامى الصليبى
ط٠ الاسكندرية ١٩٨١م

اسحق عبيد (د٠) روما وبيزنطة ، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين
ط٠ القاهرة ١٩٧٠م
« قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصلب ، أسطورة أم حقيقة »
مجلة كلية الآداب ـ جامعة عين شمس م (١٧) ، عام ١٩٧٠م
الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية
ط٠ القاهرة ١٩٧٥م
من الارك الى جستنيان
دراسة فى حوليات العصور المظلمة
ط٠ القاهرة ١٩٧٧م
معرفة الماضى من هيرودوت الى توينبى
ط٠ القاهرة ١٩٨١م

أسد رستم (د٠) الروم ، فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب

ط. صيدا ١٩٥٦م
كنيسة مدينة الله
أنطاكية العظمى
الجزء الثانى
ط. بيروت ١٩٨٨م

اشتور — التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط في العصور الوسطى
ت. أبو عبلة
ط. دمشق ١٩٨٥م

الكس كرمل — تاريخ حيفا فى عهد الأتراك العثمانيين
جامعة حيفا ـ المركز اليهودى العربى ـ معهد دراسات الشرق الأوسط
ط. حيفا ١٩٧٦م

أمين توفيق الطيبى (د.) — « وقعتا حطين والارك نصران متوازيان ضد الغزاة الصليبيين فى المشرق والمغرب »
مجلة البحوث التاريخية ، السنة (١٠) ، العدد (١) يناير ١٩٨٨م

انتونى بردج — الحروب الصليبية
ت. سبانو والجيرودى
ط. دمشق ١٩٨٥م

انور عبد العليم (د.) — الملاحة وعلوم البحار عند العرب
سلسلة عالم المعرفة
ط. الكويت ١٩٧٩م

انيس فريحة — أسماء المدن والقرى اللبنانية
ط. بيروت ١٩٥٦م

الياس ديب
العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية
ط· بيروت ١٨٧٤م

أومان
الامبراطورية البيزنطية
ت· مصطفى طه بدر
ط· القاهرة ١٩٦٠م

باركر
الحروب الصليبية
ت· السيد الباز العرينى
ط· القاهرة ١٩٦٠م

براور
عالم الصليبيين
ت· قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه
ط· القاهرة ١٩٨١م

براون
تاريخ الأدب فى ايران من الفردوسى الى السعدى
ت· الشواربى
ط· القاهرة ١٩٥٤م

برنارد لويس
الدعوة الاسماعيلية الجديدة
ت· سهيل زكار
ط· دمشق ١٩٧١م

بوريس روشنباخ
« تعميد كييف »
ضمن مجلة رسالة اليونسكو العدد التذكارى بمناسبة مرور الف عام على دخول المسيحية فى روسيا القديمة عدد رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م

ترتون : اهـل الذمة فى الاسـلام
ت٠ حسن حبشى
ط٠ القاهرة ١٩٦٧م

توفيق الطويل (د٠) من تراثنا العربى الاسلامى
سلسلة عالم المعرفة
ط٠ الكويت ١٩٨٥م

جب صلاح الدين الأيوبى
دراسات فى التاريخ الاسلامى
ت٠ يوسف أيبش
ط٠ بيروت ١٩٧٣م

جمعه رجب طنطيش الميـاه فى فلسطين
دراسة فى الجغرافية الاقتصادية والسياسية
ط٠ بنغازى ١٩٨٩م

جمعه مصطفى الجندى (د٠) حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر
دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس
رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ـ جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م

جواد على تاريخ العرب قبل الاسلام
ط٠ بغداد ١٩٥٠م

جوزيف داهموس سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
ت٠ محمد فتحى الشاعر
ط٠ القاهرة ١٩٨٧م

جوزيف نسيم يوسف (د٠) « الدافع الشخصى فى قيام الحروب الصليبية »
مجلة كليـة الآداب ـ جامعـة الاسكنـدرية م (١٦)
عام ١٩٦٣م
العدوان الصليبى على مصر
ط٠ الاسكندرة ١٩٦٧م

العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى
ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م
ط٠ بيروت ١٩٨١م
هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل
ط٠ القاهرة ب ـ ت

الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبى
ط٠ بيروت ١٩٨١م
العدوان الصليبى على بلاد الشام
ط٠ بيروت ١٩٨١م
« معركة حطين ، خلفياتها ودلالاتها »
عالم الفكر ، م (٢٠) العدد (١) أبريل ـ مايو ـ يونيو
الكويت ١٩٨٩م

حامد غنيم (د٠) الجبهة الاسلامية فى عصر الحروب الصليبية
جـ٢ ، ط٠ القاهرة ١٩٧٢م

حسن ابراهيم (د٠) الدولة الفاطميه
ط٠ القاهرة ١٩٥٨م

حسن حبشى (د٠) الشرق الأوسط بين شقى الرحى
ط٠ القاهرة ١٩٤٨م
الحرب الصليبية الأولى
ط٠ القاهرة ١٩٤٨م

حسن عبد الوهاب (د٠) تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة
(حوالى ١١٩٠ ـ ١٢٩١م)

ط٠ الاسكندرية ١٩٨٩م
تاريخ قيسارية الشام فى العصر الاسلامى
ط٠ الاسكندرية ١٩٩٠م

حسنين ربيع (د٠) تاريخ الدولة البيزنطية
ط٠ القاهرة ١٩٨٧م

حسين عطيه (د٠) امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدو
الاسلامية المجاورة
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م
امارة انطاكية الصليبية والمسلمون
(١١٧١ ـ ١٢٦٨م)
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٩م

حسين مؤنس (د٠) نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

ديفيد جاكسون « معركة حطين والاستيلاء على القدس »
ضمن كتاب حطين
صلاح الدين والعمل العربى الموحد
ط٠ القاهرة ١٩٨٩م

رأفت عبد الحميد (د٠) « كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى »
المجلة التاريخية المصرية
م (٢٥) عام ١٩٧٨م
الدولة والكنيسة ، قسطنطين
ط٠ القاهرة ١٩٧٤م

راشد البراوى (د٠) حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى
ط٠ القاهرة ١٩٤٨م

رايلى سميث الاسبتارية وفرسان القديس يوحنا فى بيت المقـدس وقبرص
ت٠ صبحى الجابى
ط٠ دمشق ١٩٨٩م

رنسيمان الحضارة البيزنطية
ت٠ عبد العزيز توفيق جاويد
ط٠ القاهرة ١٩٦١م

تاريخ الحروب الصليبية
ت٠ السيد البا زالعرينى
ط٠ بيروت ١٩٦٧م

زابوروف الصليبيون فى الشرق
ت٠ الياس شاهين
ط٠ موسكو ١٩٨٦م

زامباور معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى
ت٠ زكى حسن وحسن محمود وآخرون
ط٠ القاهرة ١٩٥١م

زكى حسن (د٠) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى
ط٠ القاهرة ١٩٤٥م

زكى نقاش (د٠) الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع
رسالة دكتوراه غير منشورة

كلية الأداب ـ جامعه القاهرة عام ١٩٥٠م
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الـ
والافرنج خلال الحروب الصليبية
ط٠ بيروت ١٩٥٨م

سامى الدهان (د٠)
قدماء ومعاصرون
ط٠ القاهرة ١٩٦١م

سامى سعد الأحمد (د٠)
تاريخ فلسطين القديم
ط٠ بغداد ١٩٧٩م

سامية محمد احمد (د٠)
جبيل تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسل
فى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الأداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م

ستيفن جوين
« دور ايرلندا فى تاريخ العصور الوسطى »
ضمن موسوعة تاريخ العالم
نشر جون همرتون
ت٠ مجموعة من الباحثين
م (٥) ، ط٠ القاهرة ب ـ ت

سر الختم عثمان (د٠)
مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
عام ١٩٧١م

سعيد احمد برجاوى
الحروب الصليبية فى المشرق
ط٠ بيروت ١٩٨٤م

سعيد عبدالفتاح عاشور (د٠) الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى
ط٠ القاهرة ١٩٦٣م
اضواء جديدة على الحروب الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٦٤م
العصر المماليكى فى مصر والشام
ط٠ القاهرة ١٩٦٥م

سعيد عبدالله البيشاوى (د٠) نابلس ودورها فى الصراع الاسلامى ـ الصليبى
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٤م
الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية
(١٠٩٩ ـ ١٢٩١م)
ط٠ الاسكندرية ١٩٩٠م

سليمان مظهر « قلعة شقيف ارنون »
مجلة المجمع العلمى بدمشق
عدد عام ١٩٤١م

سميل الحروب الصليبية
ت٠ سامى هاشم
ط٠ بيروت ١٩٨٢م

سهيل زكار (د٠) المدخل الى تاريخ الحروب الصليبية
ط٠ دمشق ١٩٨١م

سيبل اخبار امم المجوس من الأرمن وورنك والروس
نصوص عربية قام بجمعها الكسندر سيبل
ط٠ اوسلو ١٩٢٨م

سيد الحريرى | الأخبار السنية فى الحروب الصليبية
ط. القاهرة ١٩١١م

السيد عبدالعزيز سالم (د.) | طرابلس الشام في التاريخ الاسلامى
ط. الاسكندرية ١٩٦٣م

دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى
ط. بيروت ١٩٧٠م

السيد العزاوى (د.) | فرقة النزارية ، تعاليمها ورجالها على ضوء المرا.
الفارسية
ط. القاهرة ١٩٧٠م

سيد فرج | « القدس عربية اسلامية »
الدارة ، السنة (٨) ، العدد (٢) ، يناير ١٩٨٤م

شارل جنيير | المسيحية نشأتها وتطورها
ت. عبد الحليم محمود
ط. القاهرة ١٩٨٥م

شاكر أبو بدر (د.) | الحروب الصليبية والأسرة الزنكية
ط. بيروت ب ـ ت

شاكر خصباك (د.) | « معطيات الفكر الجغرافى العربى القديم فى بلدا
شرق أوربا »
مجلة أوراق
المعهد الأسبانى العربى الثقافة
العدد (٤) ، عام ١٩٨١م

شاكر مصطفى (د٠) « طغتكين رأس الأسرة البورية »
مجلة كليـة الآداب ـ جامعـة الكويت ، العدد الأول
عام ١٩٧٤م
« دخول الترك الغز الى الشام »
المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام
ط٠ عمان ١٩٧٧م

شوقي ضيف (د٠) الرحلات
ط٠ القاهرة ١٩٥١م

صابر دياب (د٠) سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط
ط٠ القاهرة ١٩٧١م

صباح محمود محمد (د٠) « التنين فى التراث العربى »
ضمن دراسات فى التراث الجغرافى
ط٠ بغداد ١٩٨١م

صلاح الدين المنجد (د٠) المشرق فى نظر المغاربة
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

طه ثلجى الطراونه (د٠) تاريخ مملكة صفد فى عهد المماليك
ط٠ بيروت ١٩٨٢م

عارف تامر سنان وصلاح الدين
ط٠ بيروت ١٩٥٦م

عبدالحافظ عبدالخالق يوسف الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام فى الفترة
من ١٠٩٩ إلى ١٢٩١م

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق عام ١٩٨٩م

عبدالحفيظ محمد علي (د٠) الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين في الش
الأدنى في القرنين ١٢ ، ١٣م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م
مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس واثرها ،
الحركة الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

عبد الحميد زايد (د٠) القدس الخالدة
ط٠ القاهرة ١٩٧٤م

عبد الرحمن زكي (د٠) « العمارة العسكرية في العصور الوسطى »
المجلة التاريخية المصرية
م (٧) ، عام ١٩٥٨م
الجيش المصري في العصر الاسلامي
ط٠ القاهرة ١٩٦٨م
« القلاع في الحروب الصليبية »
المجلة التاريخية المصرية
م (١٥) ، عام ١٩٦٩م

عبد الرحمن زكي ومحمود عيسى الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسط
ط٠ القاهرة ١٩٤٧م

عبد الفتاح وهيبة (د٠) جغرافية العرب في العصور الوسطى
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

عبد القادر اليوسف (د٠) الامبراطورية البيزنطية
ط٠ بيروت ١٩٦٦م

علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر
ط• بيروت ١٩٦٩م

عبد القدوس الأنصارى — مع ابن جبير فى رحلته
ط• القاهرة ١٩٧٦م

عبدالكريم حتامله (د•) — « صلاح الدين الأيوبى وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام »
الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢)
سبتمبر ١٩٨٦م .

عبدالعزيز عبدالدايم (د•) — امارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٧١م

عبد العظيم رمضان (د•) — الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية
ط• القاهرة ١٩٨٣م

عبد الغنى رمضان (د•) — « شرف الدين مودود »
مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض
م (٤) ، السنة (٤) عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧م.

عبدالغنى عبدالعاطى (د•) — السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين
ط• القاهرة ١٩٨٣م

عبداللطيف عبدالهادى السيد — السياسة الخارجية لملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الثالث (١١٤٣ ـ ١١٦٣م)
رسالة ماجستير غير منشورة

كلية الآداب ــ جامعة عين شمس
عام ١٩٩٠م

عبد الله عنان — « قلاع الصليبيين والمسلمين فى سوريا ولبنان »
الهلال ، السنة (٤٢) ، م (٥) عام ١٩٣٣م

عبد المنعم ماجد (د.) — الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه
ط. القاهرة ١٩٥٩م
العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى
ط. بيروت ١٩٦٦م
العصر العباسى الأول ، او القــرن الذهبى فى تا
الخلفاء العباسيين
ط. القاهرة ١٩٧٣م
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر
التاريخ السياسى
ط. القاهرة ١٩٨٥م

عبد الواحد ذنون طه (د.) — الفتح والاستقرار العربى الاسلامى فى شمال افر
والأندلس
ط. بغداد ١٩٨٢م

عبد الهادى شعيرة (د.) — « الرماة ورباطاتها السبعة »
المجلة التاريخية المصرية
م (١٥) عام ١٩٦٠م

عثمان عشرى (د.) — الاسماعيليون فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ٣
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م

العروسى المطوى — الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب
ط. بيروت ١٩٨٢م

عزيز سوريال عطية (د٠) العـلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسـطى
تجارية ، ثقافية ، صليبية
ت٠ فيليب صابر
ط٠ القاهرة ١٩٧٢م

عصام عبد الرءوف (د٠) بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى
ط٠ القاهرة ب ـ ت

عطية القوصى (د٠) « صلاح الدين واليهود »
المجلة التاريخية المصرية
م (٢٤) ، عام ١٩٧٧م

عفاف صبرة (د٠) دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٥م
« الأمير مودود التونتكين »
الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢)
عام ١٩٨٦م

على حسنى الخربوطلى (د٠) الاسلام وأهل الذمة
ط٠ القاهرة ١٩٦٩م

على السيد على (د٠) المجتمع المسـيحى فى بلاد الشـام فى عصر الحروب الصليبية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
عام ١٩٧٩م
القدس فى العصر المملوكى
ط٠ القاهرة ١٩٨٩م
« ملامح الجانب العربى الاسلامى فى المواجهة ضـد الغزو الصليبى »

المستقبل العربى
عدد (٨) عام ١٩٨٧م

علي عبد الواحد وافى (د٠) الأسفار المقدسة
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

علية عبدالسميع الجنزورى(د٠) امارة الرها الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٦م
العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدو
٨٦٧ ـ ١٠٥٦م
ط٠ القاهرة ١٩٨٩م

عماد الدين خليل (د٠) نور الدين محمود وتجربته الاسلامية
ط٠ دمشق ١٩٨٧م

عمر كمال توفيق (د٠) مملكة بيت المقدس الصليبية
ط٠ الاسكندرية ١٩٥٨م
مقدمات العدوان الصليبى
الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية
ط٠ الاسكندرية ١٩٦٦م
تاريخ الامبراطورية البيزنطية
ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م

فايز نجيب اسكندر (د٠) مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الرابع
والخامس عشر
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٨م

فتحى عبد العزيز عبد الله دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى
١١٨٧م

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق
عام ١٩٨٨م

فتحيه النبراوى (د٠) « حياه الامبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م »
المجلة التاريخية المصرية
م (٢٧) عام ١٩٨١م

فيليب حتى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ج٢ ، ت٠ اليازجى
ط٠ بيروت ١٩٥٩م

قاسم عبده قاسم (د٠) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى
دراسة وثائقية
ط٠ القاهرة ١٩٧٩م
دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك
ط٠ القاهرة ١٩٧٩م
« الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية ، الظاهرة ومغزاها »
ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط
م (١) عام ١٩٨٢م
الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٣م
الحروب الصليبية
نصوص ووثائق قام بجمعها وترجمتها
ط٠ القاهرة ١٩٨٥م
« الحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة »
ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ

ط· القاهرة ١٩٨٥م
« الحروب الصليبية فى الأدبيات العربيـة والأور
واليهودية »
المستقبل العربى
م (٨) ، عام ١٩٨٧م
اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العث
ط· القاهرة ١٩٨٧م
ماهية الحروب الصليبية
سلسلة عالم المعرفة
الكويت ١٩٩٠م

كامل حسين (د·)
الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب
ط· القاهرة ب ـ ت
« فى الطب والأقربازين »
ضمن كتاب أثر العرب والاسلام على الحضارة الأو
ط· القاهرة ١٩٧٠م

كامل السامرائى (د·)
مختصر تاريخ الطب العربى
جـ١ ، ط· بغداد ١٩٨٥م

كامل العسلى (د·)
تراث فلسطين
فى كتابات عبد الله مخلص
ط· عمان ١٩٨٧م

كراتشكوفسكى
تاريخ الأدب الجغرافى العربى
ت· صلاح الدين عثمان
ط· القاهرة ١٩٦٣م

كرد على	خطط الشام ط. دمشق ١٩٢٥م غوطة دمشق ط. دمشق ١٩٥٢م
كريستوفر دوسون	تكوين أوربا ت. سعيد عاشور ومصطفى زيادة ط. القاهرة ١٩٦٧م
كشاف البلدان الفلسطينية	ط. القاهرة ١٩٧٣م
كمال بن مارس	العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحرب الصليبية رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ـــ جامعة عين شمس عام ١٩٩١م
ليلى طرشوبى (د.)	اقليم الجليل فتره الحروب الصليبية رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م
ليلى عبد الجواد (د.)	تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ط. القاهرة ١٩٩٠م
لين بول	تاريخ الدول الاسلامية ج٢ ، ت. أحمد السعيد سليمان ط. القاهرة ١٩٧١م

مؤنس أحمد عوض (د.) — التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية فى بلاد الشـ
فى عصر الحروب الصليبية
رسالة ماجستير غير منشوره
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس
عام ١٩٨٤م

« ببليوغرافيا الحروب الصليبية ــ المراجع العربيـ
والمعربة »
ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط م (٣)
عام ١٩٨٥م

سياسة نور الدين محمود الخارجية
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس
عام ١٩٨٨م

الزلازل فى بلاد الشـــام فى عصر الحروب الصــــليبيـ
وآثارها
دراسة تطبيقية على النصف الثانى من القرن ٦هـ
١٢م قيد الطبع
قيد الطبع

« الصراع السنى ــ الشيعى فى بلاد الشام فى القر
السادس هـ/الثانى عشر م من خلال رحلة ابن جبير »
ندوة العرب وآسيا ، جامعة القاهرة
أبريل ١٩٨٩م

تاريخ الطب العربى ومكانة عبد اللطيف البغدادى فيـ
بحث مقدم لمؤتمر تاريخ العلوم عند العرب
سوريا ، الرقة سبتمبر ١٩٩١م

« الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية »
الدارة ، السنة (١٦) ، العدد (٣)
عام ١٤١١هـ

ماهر حمادة (د.) وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى
ط. القاهرة ١٩٧٩م

متى المسكين (الاب) الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار
ط. القاهرة ١٩٧٢م

محسن العابد « الاناجيل بين الأسطوره والتحرر »
مجلة المرجع ، العدد (٤)
عام ١٩٨٥م

محسن محمد حسين (د.) « مسئولية صلاح الدين الأيوبى عن فشل حصار صور »
المجلة العربية للعلوم الإنسانية
م (٢) ، العدد (٦،٢)
الكويت ١٩٨٧م

محمد جمال الدين سرور (د.) دولة الظاهر بيبرس فى مصر
ط. القاهرة ١٩٦٠م
الحضارة الاسلامية فى الشرق
ط. القاهرة ١٩٦٢م
سياسة الفاطميين الخارجية
ط. القاهرة ١٩٦٧م

محمد حلمى محمد حمد (د.) مصر والشام والصليبيون
ط. القاهرة ١٩٧٩م

محمد فتحى الشاعر (د.) احوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية
ط. القاهرة ١٩٨٩م

محمد على المغربى (د٠)	الهزات الزلزالية
ط٠ القاهرة ١٩٥٨م

محمد محمد الشيخ (د٠)	الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها
ط٠ الاسكندرية ١٩٧٢م
الامارات العربيـــة فى بلاد الشـــام فى القـــ
الحادى عشر والثانى عشرم
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٠م

محمد محمد فياض	التقـــاويم
ط٠ القاهرة ١٩٥٨م

محمد محمود محمدين (د٠)	« الزلازل والبراكين فى جزيرة العرب وتراثهم »
الدارة ، السنة (١٤) ، العدد (١)
الرياض ١٩٨٨م

محمود الحويرى (د٠)	الأوضـــاع الحضـــارية فى بلاد الشـــامفى القـــرن
الثانى عشر والثالث عشرم
ط٠ القاهرة ١٩٧٩م

محمود رزق محمود (د٠)	العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصـــلاح الد
الأيوبى حتى معركة حطين ١١٨٧م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس
عام ١٩٧٣م

محمود سعيد عمران (د٠)	الحملة الصليبية الخامسة
ط٠ الاسكندرية ١٩٧٨م
السياســة الشرقيــة للامبراطورية البيزنطية فى عهـ
الامبراطور مانويل الأول

ط· الاسكندرية ١٩٨٥م
« أركولف ورحلته الى الشرق »
ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط
م (٣) ، علم ١٩٨٥م

مزمل حسنين — نيابات الشام فى عهد دولة المماليك البحرية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
عام ١٩٥٣م

مصطفى أنور (د٠) — « نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثانى عشر »
B.E.O, T. XXVII, Année 1974

مصطفى الحيارى (د٠) — « حصن بيت الأحزان ، جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين »
مجلة دراسات
م (١٣) ، العدد (٤)
عمان عام ١٩٨٦م

مصطفى الدباغ — بلادنا فلسطين
عدة اجزاء
ط· بيروت ١٩٧٤ ـ ١٩٨٦م

مصطفى زيادة (د٠) — حملة لويس التاسع وهزيمته فى المنصورة
ط· القاهرة ١٩٦١م

مصطفى الكناني (د٠) — العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى
جـ٢ ، ط· الاسكندرية

مكسيموس مونروند — تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب
ت• ك مكسيموس مظلوم
ط• أورشليم ١٨٦٥م

« اسكنـــدرونة »
دائرة المعارف الاسلامية ، م (٣)
ت• ابراهيم خورشيد وآخرون
ط• القاهرة ب ـ ت

مونتجومرى وات — فضل الاســلام على الحضارة الغربية
ت• حسين أحمد أمين
ط• القاهرة ١٩٨٣م

ميخائيل عواد — صور مشرفة من حضارة بغداد فى العصر العباسى
ط• بغداد ١٩٨٦م

نبيلة مقــامى (د•) — فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام فى القرنين ١٢، ١٣ م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة
عام ١٩٧٤م

نظير حسان سعداوى (د•) — التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين
ط •القاهرة ١٩٥٧م

نفيس أحمد — جهود المسلمين فى الجغرافيا
ت• فتحى عثمان
ط• القاهرة ١٩٦٠م

نقولا زيادة (د٠)

« سوريا زمن الصليبيين »
المقتطف ، يونيو ١٩٣٥م
صور من التاريخ العربى
ط٠ القاهرة ١٩٤٦م
رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى
ط٠ القاهرة ١٩٤٨م
دمشق فى عصر المماليك
ط٠ بيروت ١٩٦٦م
« الطرق التجارية فى العصور الوسطى »
مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة (١٥)
العددان (٥٩) ، (٦٠) عام ١٩٨٣م

وسام عبدالعزيز فرج (د٠)

دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية
(٣٢٤ ـ ١٠٢٥م)
الجزء الأول
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٢م
« الامبراطور باسل الثانى سفاح البلغار ، العوامل
التى اثرت على السياسة فى عصره »
ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط
م (١) عام ١٩٨٥م
« الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط »
حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت
الحولية (٩) ، الرسالة (٥٣)
عام ١٩٨٨م

ول ديورانت

قصة الحضارة ، عصر الايمان
جـ١٤ ، ت٠ محمد بدران
ط٠ القاهرة ١٩٧٥م

وفاء محمد على (د٠)

الدولة البورية ودورها فى عصر الحروب الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

هـــايد — تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى
جـ١ ت٠ محمد رضا
ط٠ القاهرة ١٩٨٥م
جـ٢ ، ت٠ احمد رضا محمد رضا
ط٠ القاهرة ١٩٩٠م

هسى — العالم البيزنطى
ت٠ رأفت عبد الحميد
ط٠ القاهرة ١٩٧٤م ـ ١٩٨٤م

هنرى الامنس — « بلاد سوريا فى القرن الثانى عشر وفقا لرحلة ابن جبير »
المشرق ، السنة (١٠) ، العدد (٧) عام ١٩٠٧م
« الحياة فى بيروت فى عهد الصليبيين »
المشرق ، السنة (٣١) ، العدد (١)
ط٠ بيروت ١٩٣٣م

يوسف الدبس — تاريخ ســـوريا
ط٠ بيروت ١٩٠٠م

يوسف سماره — جولة فى الاقليم الشمالى
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

يوسف ضـــو — تاريخ الموارنة
جـ٢ ، ط٠ بيروت ١٩٧٧م

يوغوليوبسكى — « رحلة السائح الروسى دانيال الى الأراضى المقدسـة فى أول عهد الصليبيين »
المشرق ، السنة (٢٤) العدد (٩) ، ابريل ١٩٢٦م

خامسا : المراجع الاجنبية

Abel (F.M.), «Les deux Mohomerie, El Birah, El qoubeibeh», R.B., T. XXXV, Année 1926.

Adler (E.N.), Jewish Travellers, London 1930.

Alptekin (C.), Dimask A Tabegligi (Tog-Tcginliler), Istanbul 1985.

Asher (A.), The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, Vol. I, London 1840.

Atiya (A.), The Crusades, Historiography and Bibliography, London 1962.

Attwater (D.', The Benguin Dictionary of Saints, London 1975.

Baldwin (M.), The Latin States under Baldwin III and Amalric I» in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958.

Barker (E.), The Crusades, London 1949

Beazley (C.R.), The Dawn of modern geography, A History of expedition and geographical science from the close of the ninth to the middle of the thirteenth century, Vol. II, London 1901.

Beazley (R.), Forber (N.), and Birkett (G.A.), Russia from the varengians to the Bolsheviks, Oxford 1918.

Beyer (G.), «Neapolis (Nablus) und Sein Gebiet inder Kreuzfahrerzeit», Z.D.P.V., T. LXII, 1940.

Blank (S.), Jermiah, man and prophet, New York 1961.

Boak (A.), A History of Rome to 565 A.D., New York 1964.

Brehier (L.), Vie et mort de Pyzance, Paris 1976.

Brown (K.G.), A Literary History of Persia, Vol. I, London 1909.

Browning (R.), The Pyzantine Empire, New York 1980.

Brundage (J.), «The Holy War and the medieval lawyers», in The Holy War. ed. by Thomas Patrick Murphy, Ohio University 1974.

Budge (W.), George of Lydda, A Study of the cults of St. George in Ethiopia, London 1930.

Cahen (C.), La Syrie du nord à l'époque des croisades, Paris 1940.

Bulkin (V.), Novgorod, Trans. by Yuri Pamfilov, Leningrad 1984.

Cambridge Bible Commentary on the new English Bible, Jermiah, Ch. 1- 25, commentary by Nicholson, Cambridge 1973.

Chalandon (F.), Jean II Commnene et Manuel Commnene, Paris 1912.

Citarello, «The Rélation of Amalfi with the Arab world before the crusades», Speculum, Vol. XLII.

Cole (J.P.) and German (F.C.), A Geography of the U.S.S.R., London 1961.

Conder (G.R), The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897.

Christiansen (E.), The Northern Crusades, The Baltic and the Catholic Frontier, Minnesota 1986.

Claude (R.), Conder, Lieut (R.E.), «Medieval Topography of Palestine», P.E.F., 1875.

Cross (F.L.), The Oxford dictionary of Christian church, London 1958.

Cowdrey, «The Genesis of the crusades, The springs of western Ideas of holy war», in the Holy war. ed. by Thomas Patrick Murphy, Ohio University 1974.

Deanesly (M.), History of medieval church, London 1975.

Delaville Le Roulx, «Troix chartres de XII siècle concernent l'Ordre de St. Jean de Jerusalem, A.O.L., T. I, Année 1893.

«Inventaire de pieces terre sainte de l'ordre de l'hospitale, R.O.L., T. II, Année 1895.

Deschamps (R.), Les chateaux des croisés en terre sainte, II, La défense du royaume de Jerusalem. Paris 1939.

Diehl (Ch.), A History of the Pyzantine Empire, Princeton 1925.

Dimond (M.), The Indestructible Jews, New York 1973.

Dawney, A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961.

Drake, «Mr. Tyrwitt Drake's Reports», P.E.F., London 1874.

Dussaud (R.), Topographie de la Syrie Antique et Medievale, Paris 1927.

Eberh (N.), «Der Teich Betsaida beim Pilger Von Borseaux», Z.D.P.V., T. XXIX—XXX, 1906—1907.

Eggemberger, Dictionary of battles, London 1975.

Elsten, The Traveller's Handbook for Palestine and Syria, London 1929.

Epstein (I.), Judaism, A Polican Original, London 1974.

Favier, «Les Templiers ou l'échec des banquiers de la croisade». L'Histoire, T. XLVII, Année 1982.

Fedden (R.), Crusader Castles, Beirut 1957.

Fennell, Ivan the Great of Moscow, London 1961.

Fink (H.S.), «Maudud of Mosul precursor of Saladin», M.W., Vol. XTIII, 1953.

Florinsky (M.), Russia, A short history, New York 1964.

Franzius, History of the Pyzantine Empire, New York 1970.

Fuller, Decisive Battles of Western Europe and their influences upon history, London 1954.

Gabrieli (F.), Arab Historians of the Crusades, Trans. by Costello, London 1969.

Gennadius, Voyages and Travels in Greece, The near East and adjacent regions made previous to the year 1801, Princeton 1953.

Gibb (H.), The Damascus chronicle of the crusades, London 1940.

«The Career of Nur Al-Din», in Setton, A History of the crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958.

Gilman (A.), The Saracens, from the earliest times to the fall of Bagdad, London 1897.

Goitein (S.D.), «Contemporary letter on the capture of Jerusalem by the crusaders», J.J.S., Vol. X, 1952.

, «Geniza sources for the crusader period, Survey», in Outremer Studies in the History of the crusading Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1982.

Grant, (A.), Historical introduction to the new testament, New York 1952.

, The History of Ancient Israel, New York 1984.

Grousset (R.), Histoire des Croisades, T. I, Paris 1934.

Hagenmeyer (H.), Ekkehard Hiersolymita, Tubingen 1876.

, «Etudes sur la chronique de zimmern», A.O.L., T. II, Année 1884.

, «Chronologie de la premiere croisade», R.O.L., T. VII, Année 1899.

, «Chronologie de l'Histoire de royaume de Jerusalem, regne de Boudouin I (1101 1118), R.O.L., T. II, Année 1909- 1911.

Harcave (S.), Russia, A History London 1954.

Hastings, Dictionary of the Bible, New York 1952.

Hitti (P.), Lebanon in History, New York 1967.

Hodgson (M.), The Order of Assassins, Lonson 1955.

Hume (E.E.), Medical work of the knights hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore 1940.

Hussey (G.), «The Later Macedonians, The Comneni and Angeli», C.M.H., Vol. V, Cambridge 1979.

Joranson (F.), «The Great German Pilgrimage of 1064—65», in the crusades and other historical essays, presented to D.C. Munro, New York 1928.

Jipejian (N.), Byblos through Ages, Beirut 1968.

Kimble, Geography in the Middle Ages, London 1938.

King (C.), «The taking of le Krak des chevaliers in 1271», Antiquity, Vol. XXIII. No 89, March 1949.

King (E.J.), The Knights Hospitallers in the holy land, London 1930.

, The Knights of St. John in the British Kingdom, London 1948.

Kitchener (H.H.), «Survey of Galilee», P.E.F., London 1878.

Krueger, «The Italian cities and the Arabs before 1095», in Setton, A History of the crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958

Kochan (L.), The Making of modern Russia, London 1962.

Kohler (Ch.), Chartres de l'Abbeye de notre Dame de la Vallée de Josaphat en Terre Sainte (1108--1291), R.O.L., T. VII.

La Monte (J.), «To what extent was The Pyzantine Empire Suzerian of The Latin Crusading States», Pyzantion, Vol. VII, 1932.

, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge 1932.

Lane-Poole (S.), Saladin and the fall of the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1898.

, A History of Egypt in the Middle Ages, London 1901.

Latourette, A History of Christianity, New York 1953.

Le Strange (G.), Palestine under Islam, London 1890.

Lewis (B.), The Ismailites and the Assassins», in Setton, A History of the crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958

Little (W.), Coulson (F.), The shorter Oxford English dictionary on historical principles, Vol. II, Oxford 1950.

Loyn and Percial, The Reign of Charlemagne, documents on Carolingian government and administration, London 1975.

Mas Latirie (D.), «Les Patriarches Latins de Jerusalem», R.O.L., T. I, Paris 1893.

Mayor (H.), Bibliographie Zur Geschichte der Kruzzuge, Hannover 1965.

, The Crusades , Trans. by Gillingham, Oxford 1978.

Meisner and Halm, Wurzburg, Wurzburg 1975.

Meistermann (B.), Guide to Holy Land. London 1923.

Meyendorff and Payues, «The Pyzantine inheritance in Russia», in paynes and Moss, Pyzantium an Introduction to east Roman civilization, Oxford 1952.

Miller, «The Knights of St. John and The Hospitallers of The Latin West», Speculum, Vol. LIII, 1978.

Mommert (C.), «Das Jerusalem des Pilgers Von Bordeaux», Z.D.P.V.. XXIX, 1906.

Morfille (W.R.), The Story of Russia, London 1904.

, Russia, London 1907.

Munro (D.C.), «The Speech of Popo Urban II at Clermont», A.H.R., Vol. II, 1909.

Neumann, «La Descriptio Terrae Sancte de Berardo d'Ascoli», A.O.L., T. I, Paris 1881.

Northop (L.E.'. The Knights Templars in The Holy Land (1118—1187), M.A. Thesis, University of California 1943.

Oldenbourg (Z.), Les Croisades, Paris 1975.

Oman (Ch.), A History ot The art of war in The middle ages, Vol. 1, London 1924.

Ostrogorsky (G.), A History of The Pyzantine State, Trans. by Hussey, Oxford 1934.

Pares (B.), A History of Russia, London 1962.

Parkes (J.), A History of Palestine from 135 A.D.. To modern Times, London 1949.

Patleyean, «Les Juifs, Les infidels de l'Europe», L'Histoire, T. LXVII, Année 1982.

Pax (W.), Sur les chemis des Jesus, Tell Aviv 1970.

, with Jesus in The Holy Land, Tell Aviv 1979.

Pernoud, The Crusades, Trans. by McLead. London 1962.

Peters (E.), Jerusalem, The Holy City in The eyes of chroniclers, Visitors, Pilgrims and Prophets from the days of Abraham to the beginning of modern times, Princeton 1985.

, The First Crusade, The chronicles of Fulcher of Chartres and other source materials, Philadelphia 1971.

Pirenne (H.', Mohammed and Charlemagne, London 1954.

Prawer (J.). «The Settlement of The Latins in Jerusalem», Speculum, Vol. XXVII, London 1952.

, The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonisation in The middle ages, London 1973.

, «Social Classes in The Crusader States, The Minorities», in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, New Jersy 1983.

, «West Confronts East in The Middle Ages», B.I.A.C.C., Vol. XII, 1989.

Press (T.), Palestine und Sud Syrien Reisehandbuch, Berlin 1921.

Rey (E.), «Les Seigneurs de Giblet», R.O.L., T. III, Année 1895.
, «Resume chronologique de l'Histoire des princes d'Antioche», R.O.L., T. IV, Année 1896.

Richard (J.), Le Comte de Tripolis sous la dynastie Toulousaine (1102--1187), Paris 1945.

, «La bataille de Hattin, Saladin defait l'Occident», L'Histoire, T. XLVII, Année 1987.

, «An Account of the battle of Hattin referring to The Frankish mercenaries oriental muslim states», Speculum XXX.

Rihaoui (A.), Le Crac des Chevaliers, Guide Touristique et Archaeologique, Damas 1975.

Riley-Smith (J.), A History of The Order of The Hospital of St. John of Jerusalem, London 1967.

, The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973.

Roth (C.), Ashort History of The Jewish People, London 1953.

Ruhricht (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie des Heiligen Landes, Bezuglichen Literature Von 333 Bis 1878, Berlin 1890.
, Regesta Regni Hierosolymitani, Oeniponti 1893.

, Geschichte des Konigreichs Jerusalem (1100 1291), InnsBruck 1898.

Runciman (S.), «The Pilgrimages to Palestine before 1099», in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1969.
, A History of The Crusades, London 1978.

Russell (J.C.), «The Population of The Crusader States», in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, Madison 1985.

Rybarov, Early centuries of Russian History, Moscow 1965.

Salibi (K.), «The Maronites of Lebanon under The Frankish rule», R.E.A., T. IV, Année 1957.

Schlumberger (G.), Renauld de Chatillon, Paris 1933.

Schlumberger (G.), Chalandon (F.), Blanchet (A.), Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943.

Sharaf (T.), A Short History of geographical discovery, Alexandria 1963.

Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and The Holy Land, London 1974.

Smith (C.T.), An Historical geography of Western Europe before 1800, London 1969.

Smith (G.A.), Jeremiah, London 1924.

Smith (W.) and Chretham (S.), A Dictionary of Christian Antiquities, Vol. II, London 1880.

Stevenson (W.B.), The Crusaders in The east, Beirut 1968.

Thatcher (O.J.), Source Book of Medieval History, London 1903.

Thompson (J.W.), Economic and Social History of The middle ages, Vol I, London 1959.

Tobler (T), Bibliographica Geographica Palestinae, Leipzeg 1867.

Tout (T.), The Empire and The papacy, London 1971.

Tsugitako (S.), The Syrian coastal town of Jabala, its history and presents situation, Tokyo 1989.

Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago 1964.

Vasiliev (A.), History of The Pvzantine Empire, Madison 1957.

/atikiotis (P.T.), «Al-Hakim Bi-Amrilla, The God King idea realised», I.C., Vol. XXIX, No. I, January 1955.

Vyronis (S.), «Travelers as a source for the societies of the middle east 900—1600», in charanis studies, Essays in Honour of Peter Charanis, ed. A.E. Liaiu Thomadokis, New Jersy 1980.

Whitting, Monnaies Pyzantines, Paris 1975.

Wilkinson (J.), Jerusalem Pilgrims before The Crusades, Lindon 1977.

Woodings (A.), The Medical resources and practice of The Crusader States in Syria and Palestine (1096 - 1193), M.H., Vol. XV, July 1971.

Wren (M.), The Course of Russian History, New York 1958.

Wright (J.), The Geographical Lore of the time of the Crusades, A study in the History of medieval science and tradition in Western Europe, New York 1965.

Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848.

Zeller, «Kefr Kenna», P.E.F., Vol. I, London 1869

خامسا ـ الموسوعات :

Academic American Encyclopedia, New Jersy 1981.

Chamber's Encyclopedia, London 1973.

Dictionnaire Encyclopedique quillet, Paris 1970.

Encyclopedia Americana, U.S.A., 1970, 1985.

Encyclopedia Britannica, U.S.A., Several edditions.

Encyclopedia Judeca, Jerusalem 1973.

Encyclopedia of Islam, London.

Larousse du XXe Siècle, T.V., Paris 1932.

Lexican Universal Encyclopedia, New York 1980.

The Jewish Encyclopedia, Vol. IX, London.

Universal Jewish Encyclopedia, New York 1969.

الفهرس

الرحالة الأوربيون
فى مملكة بيت المقدس الصليبية
(١٠٩٩ ـ ١٨٧م)

---

(١) مـــا بين الاقواس يعنى المرحلة الزمنية التى من المرجح أن الرحلة جرت خلالها ، وهى موضع خلاف بين الباحثين ، ويحاول كل منهم أن يدلو بدلوه فيها .

الصفحة	الموضـــوع

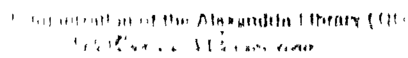
رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٩١/٩٣٥٢

الرقم الدولى

I.S.B.N.

977 - 208 - 069 - 9



شركة دار الاشـــماع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد ـ جنينة قاميش

ت : ٣٦٣٠٤٦٩



الرحالة الأوربيون

في مملكة بيت المقدس الصليبية